كتابي

عدد ممتاز

١٠ قروش



حلمي مراد

توبة خاطئة



الباليه : فن الرقص الرفيع (تيريزا، نجمة باليه باريس. اقرأ القصة ص ٦٢)



((ماری مويلان)) و ((ايجور)) فی منظر من باليه ((هيلين حسناء طروادة))

كتابي

كتاب شهرى للقصة والثقافة الرفيعة
يصدر اول كل شهر
صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

الكتاب الثالث عشر : مارس ١٩٥٣
الاشتراكات ومجموعة الاعداد السابقة : اقرأ التفصيلات بالداخل
المكاتبات : ١٨ شارع العباسيين ــ مصر الجديدة
تليفون ٦٥٦٠٨

عزيزى القارئ ..

ترى هل كنت صادقا أمينا نحوك يوم وعدتك فى كتابى الاول ، بأن أزيدك بذلا وتفانيا وتجديدا ، كلما زدتنى اقبالا وتعضيدا ؟ هذا ما أرجو أن تحسه لاول وهلة وانت تقلب صفحات هذا العدد الممتاز ، الذى افتتح به بعون الله العام الثانى من حياة كتابى .. وكلى ايمان بان يد العناية التى رعت كتابى فى عامه الاول ، سوف تبسط عليه المزيد من رعايتها فى عامه الثانى ، حتى يشتد ساعده ويقوى على اكتساح جميع العراقيل التى تنهض فى طريقه .. وعلى أداء رسالته الثقافية كاملة ، الى ابعد مدى وفى اوسع نطاق ..

وعلى ذكر هذه الرسالة ، فقد طالما نازعتنى نفسى الى أن اقدم اليك الى جانب الادب الرفيع والثقافة المكتوبة ، فنا رفيعا وثقافة «مرسومة» .. ولو كلفنى ذلك مزيدا من العبء ، ومن الجهد ، ومن النفقات .. وكلفك أنت المساهمة فى زيادة النفقات بهذا النصيب الضئيل الذى تلمسه فى ثمن هذا العدد الممتاز .. وهنا — مرة اخرى — حذرنى «المشفقون» من التمادى فى أحلامى ، قائلين : هل تحسب نفسك فى بلد تقدر الفن ، وتفهم الفارق مثلا بين غلاف كتابى العادى الذى بثلاثة الوان ، وبين غلاف هذا العدد الممتاز الذى بستة ألوان !؟.. أو تفهم الفارق بين صور «السابحات الفاتنات» والاجساد العارية المثيرة للحواس ، التى تملأ صفحات اكثرية المجلات .. وبين صور فنانات «الباليه» ، أرفع فنون الرقص وأعظمها سموا بالذوق وتنزيها للنفس عن شهوات الحس ؟

وردا على هؤلاء المشفقين المحذرين أقول : اننى أريد أن اكذب هذا الزعم ! .. لا أريد أن اصدق أن الشرق يقل عن الغرب تذوقا للجمال الرفيع واقبالا على اقتنائه .. أريد أن اقيم الدليل على أن مصر والعروبة بخير ، وانها اذا كانت لم توجد فيها من قبل مجلات من هذا الطراز ، فليس الذنب ذنب البلاد .. وانما ذنب الذين عودوها أن لا تجد فى متناولها غير صحافة التافه من الاسمار والاراجيف ..

نعيب زماننا والعيب فينا
وما بزماننا عيب سوانا

وما دام الله معى .. وما دمت انت ايها القارىء معى .. فلن تكون نتيجة هذه «المغامرة» الخطرة الا معززة لثقتى فى تذوقك وتقديرك لهذه الخطوة، وهذا المجهود ..

حلمى مراد

كتابى

مجموعة الاعداد الســـــابقة

كتابى الاول :	«خطايا الحب»	وكتب اخرى	مارس	١٩٥٢
كتابى الثانى :	«قلب عذراء»	« «	ابريل	«
كتابى الثالث :	«الهاربة من الجنة»	« «	مايو	«
كتابى الرابع :	«حواء الجديدة»	« «	يونية	«
كتابى الخامس :	«احدب نوتردام»	« «	يولية	«
كتابى السادس :	«جريمة حب»	« «	اغسطس	«
كتابى السابع :	«عشيقة نابليون»	« «	سبتمبر	«
كتابى الثامن :	«مذكرات كيوبيد»	« «	اكتوبر	«
كتابى التاسع :	«صنم تحطم»	« «	نوفمبر	«
كتابى العاشر :	«حديقة الله»	« «	ديسمبر	«
كتابى الحادى عشر :	«عندما تحقد المرأة»	« «	يناير	١٩٥٣
كتابى الثانى عشر :	«لعبة الحب والموت»	« «	فبراير	«

◆ **وتطلب من صاحب كتابى (١٨ شارع العباسيين مصر الجديدة) ، وثمن كل عدد ١٠ قروش خالص اجر البريد (المسجل) ، ما عدا العددين الثالث والسادس فثمن كل منهما عشرون قرشا (نظرا لقرب نفاذهما وعدم امكان اعادة طبعهما) ..وما عدا العدد الثانى الذى نفد .**

◆ **ملحوظة : ترسل القيمة فى مصر والسودان باذن بريد عادى ، وفى الخارج بحوالة بريدية نقدية عن طريق مكاتب البريد MONEY ORDER ، ولا تقبل العملة الاجنبية أو اذونات البريد الخارجية .**

الاشـــتراكات

◆ **وتشمل ضمنا الاعداد الممتازة ايضا ـ وترسل جميع الاعداد الى المشتركين : فى مصر والسودان بالبريد المسجل ، وفى الخارج بالطائرة**

◆ **قيمة الاشتراك فى مصر والسودان :** عن سنة (١٢ عددا) : **١٠٠ قرش** ، وعن نصف سنة (٦ أعداد) **٥٥ قرشا** ـ فى الخارج **(العراق وسوريا ولبنان والحجاز والاردن .. الخ)** ترسل القيمة بحوالة بريدية نقدية عن طريق مكاتب البريد فى كل بلد **MONEY ORDER** وتحتسب القيمة بما يوازى **١١٠ قروش** (عن سنة) **و٦٠ قرشا** (عن نصف سنة) ـ أو تدفع قيمة الاشتراك الى مكاتب شركة فرج الله للمطبوعات فى بيروت وبغداد


محطة
ARRÊT
قصة مصرية
للمحرر
أزهار بيضاء

يحتمل قلبى كل شىء ، الا ان يرى حسناء شابة ترتدى السواد ، وفى عينيها ذلك الاعياء الحزين الذى يفيض من القلوب الرقيقة حين يعصرها الالم ، ويسكب فيها عصيره المرير !

ولعل ذلك اول ما لفت قلبى الى «ألطاف» ..

ومنذ عرفتها .. أمسى يضاعف من تأثرى الفطرى ، اشفاق مبهم .. صرت لا ارى مثل هذه الصورة الحية للاسى ، الا ويقبض قلبى احساس خاطف بأن وراء اطارها الاسود يكمن سر مفجع .. وتنعقد خيوط مأساة !

❖

◆ فى ميدان العباسية ، حيث تلتقى خطوط الترام القادمة من قلب العاصمة ، بتلك الصاعدة الى هليوبوليس .. رأيتها واقفة تنتظر

كنت قد غادرت لتوى احدى مركبات الترام رقم ٣ كى استقل ترام مصر الجديدة ، وكان واضحا انها تقصد نفس الاتجاه ، ومن تململها قدرت انها لابد قد عانت طويلا من الانتظار

.. ولم يلبث الترام ان وصل فركبت ، وركبت هى فى العربة الاخرى كي تجلس فى مقصورة السيدات .. فلما رأتها قد ازدحمت ، وقفت خارجها مضطرة

.. وهكذا وجدتها ـ دون قصد ـ امامى ، انا فى طرف العربة الامامية ، وهى فى الطرف المواجه لى من العربة الخلفية، وليس بيننا سوى لوح من الزجاج وفراغ يسير ..

رباه ! كيف انسى صورتها اذ ذاك ؟ اطار شامل من السواد، رقيق بقدر ما هو حزين ، يطل منه وجه يذكر بالنقاء . . والصفاء .. والطفولة .. برغم الظلال الخفيفة التى كانت تلثمه

وتتهالك عليه : من المعطف ، والقبعة ، والشعر المهمل ، والاهداب . لماذا ذكرتني صورتها تلك بالظلام البارد في الصحراء ، والليل في آخره ، والنجوم كلها قد انطفأت ، ما عدا نجمان ؟ .. ألان عينيها كانتا تومضان ببريق حزين ، رغم الغيوم الكثيفة التي كانت تتمشى فيهما ، ببطء رهيب ! .. أم لذاك الظمأ للبكاء الذي لمحته يختلج فيهما ، والذي جذبني ، لانه وشى بقلبها ؟

ان ذوات القلوب الرقيقة هن فقط اللواتي يعجزن عن مغالبة الاسى ، فتفيض عصارة قلوبهن من العيون ، المفتوحة ابدا للبكاء .. اما من يقدرن على الضحك دائما ، رغم الاحزان التي لا تخلو منها حياة ، فقلوبهن لابد غليظة قاسية .. قسوة الطبيعة في ذلك الحين !

.. وتذكرت الطبيعة ، اذ خلت جسد الفتاة ينتفض ، كأنما من رعدة خفيفة .. فاشفقت عليها من الهواء المقرور الذي كان يقتحم ذلك الجزء المكشوف من عربة الترام ، في قوة ودون استئذان ، كأنه يفر من العاصفة العاتية ليختبىء في احد الاركان .. فقد كنا في أواخر الشتاء ، في عصر يوم من الايام التي ينفث فيها الشتاء كل قره وسمومه قبل ان يودع – الى حين – ركنا من الارض نزله منذ شهور ..

◆ **وكما** كان الشتاء في الجو ، كان في قلبي ايضا شتاء ، بضبابه واعاصيره ورعوده .. كان قلبي هو الآخر متشحا بغيوم سوداء ، ولم يكن متفتحا للحب بقدر ما كان للرثاء والبكاء .. فقد كنت عائدا من زيارة صديق عزيز آثر الخلوة والرقاد بعيدا في بطن الصحراء !

كان «احمد» قد عجل بالرحيل من دنيانا قبل قدومي الى مصر – باجازتي تلك – ببضعة ايام . وكم آلمني فراقه ، رغم ان عاما كان قد انقضى منذ رأيته «آخر» مرة ! .. **بل لم**

لا اقول انى احسست بنوع من الندم يقرض قلبى ، فاننا حين نفقد مخلوقا عزيزا ، تعانى قلوبنا التعسة كثيرا من الندم على اننا لم نحببه اكثر مما احببناه !!.. ونتوهم ألوانا من التقصير والاساءات صدرت منا اليه ، فنتمنى لو كنا قد انذرنا قبل رحيله ، اذن لغمرناه بكل ما فينا من عاطفة وتسامح ووفاء ..

.. ومر بخاطرى احمد ، تصورته فى رقاده الموحش الدائم تحت احجار ثقيلة من الرخام البارد ، وزئير العاصفة يعوى فى فضاء الصحراء .. وأعادنى هذا التصور الى الفتاة الواقفة قبالتى ، فقد احسست انى أثمت فى حق احمد حين تركت خواطرى تنساق الى تأملات تنثرها فى خيالى صورة امرأة !

لكن خاطرا انثال الى رأسى هامسا : ما هذا الخبل ؟ ان الامر لا يعدو أنك وجدت عند هذا الطيف الحزين العزاء ، فى صورة اغداق الرثاء .. فان النفوس الحزينة لا يعزيها اكثر من مصادفة نفس اخرى فى حزن أقسى وافجع ، ولا يريحها الا مرآى السواد !.. او تنكر انت ان أساك قد تراجع خجلا من فجيعتها ، وان نفسك قد استراحت من بعض حملها ؟

واقتنعت بوجاهة هذا العذر .. فكم نضحك على انفسنا احيانا ونزين لها ما نريد ، حين نريد !

وهكذا عدت اتأمل العذراء «المنكوبة» من جـديد .. عذراء ؟.. ترى ما الذى ادخل فى روعى هذا الخاطـر ؟.. لعلها قسمات وجهها جميعا ، فقد كانت قسمات ساذجة صريحة ، كصفحة مفتوحة من كتاب .. صفحة ناصعة البياض!

.. وانتقلت بتأملاتى الى الصفحات الاخرى من كتابها، الصفحات المطوية عن العيون ! **حاولت ان اتعمق الى القلب : ترى ما لونه ؟ هل هو الآخر ناصع البياض ، فيمـا عدا الغلالـة السوداء التى يسربله فيها الم فراق الاموات ؟ .. ام انه قد اصطبغ بلون من الوان العواطـف الحادة ، التى قـد تبهت ولكنها لا تزول ؟**

وشجعني على اطالة التأمل ان الفتاة كانت مشغولة عني، فان نظراتها الشاردة كانت تنفذ من اقرب شيء اليها ــ دون ان تراه ــ الى ما وراء افق سحيق مجهول .. وهكذا لم يبد عليها انها احست بوجودي !

..الا حين هممت بالنزول ، فان رجة الترام قبيل الوقوف هزت نظرتها من ذلك الاتجاه الغامض الى حيث قابلت عيني ، ولابد انها رأت فيهما الرثاء الخالص والانعطاف البريء، فانها لم تشمئز ، بل خيل الي انها قدرت لي في سرها هذه المشاركة ، وان كان النفور من الناس جميعا ما لبث ان اعاد نظراتها الى واديها السحيق !

وعند ما وصلت الى غرفتي شكرت لها ، بدوري ، وفي سري ، ان طيفها انساني برودة الهواء ، وادفأني طوال الطريق من محطة الترام الي البنسيون الذي كنت قد اخترته بمجرد وصولي الى القاهرة في اليوم السابق ، كي اقضى فيه مدة اجازتي السنوية ..

✣

◆ **ولكن** ، ما اقصر شهراً في القاهرة بالنسبة لموظف في الاقاليم !؟ انه يعود بعده الى مقر عمله منهوك القوى من فرط الاجهاد ، فان الشهر يجب ان يتسع لعشرات الطلبات .. وفي كل عام كانت الاجازة تفلت مني ــ دون ان اشعر ــ بين المحال التجارية ، والترزي ، والطبيب ، ودور الملاهي ، والمرور على الاصدقاء .. ولكنني في العام الماضي اهملت اكثر هذه المشاغل لاغرق همي في اشجان «ألطاف» !

اعترف اني كنت قد نسيتها عقب تلك المصادفة العابرة في الترام .. حتى لمحتها بعد يومين في نفس الميدان ، وفي نفس موقف الانتظار ! فعادت الى ذاكرتي فجأة الصورة الاولى بكل

دقائقها .. ودهمتنى ، بكل قوة ، جميع المشاعر التى كانت قد تزاحمت فى حسى فى المرة السابقة .. فندمت على انى اهملتها ولم ادعها الى خاطرى طيلة اليومين ، كى اسرى عنها .. ولو فى الخيال !

وكم تحايل القدر بعد ذلك كى يجمعنا خلال الاسبوع التالى مرات ومرات ، فى نفس المكان ونفس الموعد ! .. حتى بدأت احس ان صلة مبهمة كانت تختصر المسافة بيننا يوما بعد يوم ، وان تعاطفا صامتا بات يقربنى اليها اكثر فأكثر - وان ظلت الصلة بلا مفاتحة ، والتعاطف بلا كلام ، ايثارا منى ان احترم حزنها ونفورها من الناس .. وخاصة انى لم اقدر ان سيكون لها شأن فى حياتى ، اكثر من مجرد طيف لطيف عابر ، الا حين ضمنا موقف جديد مفاجىء بعد ذلك بأيام !

فأمام قبر صديقى الراحل «احمد» لمحتها من بعيد وانا مقبل عليه فى احدى زياراتى .. وللحال ملكنى شعور شاذ : احسست اننا لسنا غريبين ، وان رابطة قوية قد جمعتنا منذ امد بعيد ، وكأنى اعرفها منذ دهور !.. واوقفتنى المفاجأة بلا حراك . اعتزمت ان اراقبها من مكانى وان احترم خلوتها معه ، فلا ازعجهما !

كانت منحنية على القبر فى نجوى وخشوع ، وفى عينيها اطياف دموع ، وفى يدها طاقة من الازهار البيضاء .. ورغم تأثرى وحزنى احسست لحظتها ان زهورا اخرى بيضاء تنبت فى قلبى ، الذى كأنما سبقنى الى ادراك مصير مجهول !.. وبينما انا احاول كظم هذا الاحساس فى نفسى ، انقطع صمت الزائرة المفجوعة حين استخرطت فجأة فى البكاء !

ولم اعد احتمل .. شعرت ان قدم مارد جبار تسحق قلبى ، بينما تسحق قدمه الاخرى - بلا رحمة - زهرة نضرة نعسانة! ووجدتنى اقترب منها محاولا جهدى التلطيف من حدة



المفاجأة .. ولن انسى ما احدثه ظهورى من صدى فى نفسها ، فقد أجفلت كفراشة مذعورة .. ثم مالبث الذعر ان ترك مكانه من عينيها لنظرة جامدة جوفاء، بلا معنى ..

وقالت وهى تقمع البكاء فى صوتها: «اذن ، فانت تعرفه ؟» قلت: «نعم .. لقد كان صديقا عزيزا»

ولا اذكر ما تبادلناه بعد ذلك من كلمات قليلة ، لا تعنى كثيرا الى جانب الاستغراق الشامل الذى ضمنا ، أمام ذكرى وقبر العزيز الراحل .. الى ان خرجنا جنبا الى جنب ، صامتين ، كأنما قد فجعنا فيه يومها فمضينا نشيع جنازته ، وفى قلبينا حداد ، ولوقع اقدامنا انات خافتة منتظمة ..

❖

◈ **أن** عاما كاملا قد انقضى ، ولكنى مازلت ارتجف كلما ذكرت كيف مضينا معا ــ على اثر خروجنا اذ ذاك ــ نجول حول الفضاء الذى يضم المقابر الساكنة الخرساء .. **وكم قضينا من الزمن فى ذلك التجوال ، ننبش ذاكرتينا ، ونبعث الى الحياة ماضيا طويلا لاحمد مع كلينا .. ماضيا مليئا بصور وظلال رسمتها الايام بجميع الالوان ، الزاهى منها والضاحك ، والقاتم والعابس .. وكلها صور حية كانت تهمس فى آذاننا او تصرخ ، وترقص امام عيوننا ثم تتلوى ..**

بل اذكر كم عانت «الطاف» وكم عانيت ، وهى تظهرنى على ما كان بينها وبين احمد من مودة ، فصداقة ، فعاطفة نقية ، حتى ذلك اليوم الذى انتهت فيه علاقتهما الى غايتها فخطبها ، ثم تحدد يوم للزفاف .. وراح اليوم يقترب ، وهما يطيران اليه!

«ولكن احمدا تعجل» .. اسمعها الان فى اذنى كما سمعتها يومئذ من نغم ألطاف ، فى خليط من النحيب والحشرجة ، فقد قالتها وبكت .. واتخذت نظراتها تلك السمة الجوفاء الغامضة ، وذلك الاتجاه نحو افق مجهول .. قريب وسحيق معا !

ثم استطردت : «ومنذ فاضت روحه بعد مرض خاطف قبيل زفافنا بأيام ، وانا احضر كل يوم فى الوقت المقابل للحظة وفاته ، لأضع على قبره هذه الطاقة من الازهار البيضاء ، التى كان ينوى اهداءها الى .. ليلة الزفاف !»

كيف نطقت ألطاف بهذه الكلمات ؟ .. لقد اختلط آنئذ ــ فى صوتها ــ مزيج غريب من البكاء والضحك .. ضحك عصبى واهن جعلنى لا استغرب ما حدث على الاثر ، حين غلبها الاعياء والدوار فاستندت الى ذراعى ، فاقدة الرشد !

وكان طبيعيا ان لا استنتج الا ان قلبها قد عجز عن احتمال كل ذلك الارهاق ، فاصيب بنوبة اغماء بسيطة . لذلك لم اضيع وقتا فى الانزعاج ، وحملتها فورا الى طبيب ..

ان عاما كاملا قد انقضى ، ولكن اعصابى ما تزال تخذلنى كلما اذكر كيف صارحنى الطبيب بالحقيقة ، المرة : ان احمدا قد مضى ، ولكن بعد ان ترك انفاسا منه تتردد ، فى احشائها !

اذن فهو حقا قد تعجل .. واستبق الزفاف !

❖

◆ وآثرت الا اصارح الطاف بانى علمت سرها ، فقد اردت الا تكون نظرتها لى ذليلة ، يثقلها اى عار .. اردتها ان تكون

سعيدة موفورة الكرامة فى حياتها «معى» .. **نعم ، فان نواياى كانت قد وضحت ، فى قلبى ورأسى معا .. وحينما لقيتها عائدة من القبر ـ بعد يومين ـ عرضت عليها ان تشاركنى الحياة ، وناشدتها ان تقبل الزواج منى ، على ان اترك قلبها لاحمد ، تملؤه بتذكاراته وتستحضره فيه كلما ارادت ، واعدا بان اقنع من ذلك القلب الكبير بركن منزو ازورها فيه ، حين تشاء ..!**

لكن لمحة من عينيها اسكتتنى ، واظهرت لى أنى قد تماديت فى مسايرة اطماعى ، فقد ازدحمت نظرتها بفيض من المعانى : ادركت منها الشكر ، والنفور ، والتقدير والاعتذار و و ...

ولما رأت الحاحى ، وعدتنى بأن تفكر .. وان تجيبنى فى الغـــد !

❖

ان عاما كاملا قد انقضى ، ولكنى لن انسى كيف انقضت الساعات متباطئة ثقيلة .. حتى ذهبت الى القبر فى عصر اليوم التالى ، وانا فى اعصار من الانفعالات ، لاجد جوابها فى خطاب قصير تركته مع حارس المقبرة فى الصباح ..

يا للمسكينة !.. لقد استعانت بكل ما فى روحـها من البراءة كى «تشكرنى» ، وتعتذر بأن ليس فى طاقتها ان تقابل عاطفتى بمثلها، لان قلبها ملك لاحمد .. ولانها لاتريد ان تغشنى! .. ثم ترجونى فى نهاية الرسالة ان انساها ، فانها لا تستحقنى .. «ولكم انت طيب ومخدوع !»

لن اطيل .. فلقد عمدت هى بعد ذلك الى الاحتجـاب ، وانقطعت عن زيارة القبر ، فرارا من الحاحى الذى توقعته .. وعبثا حاولت الاهتداء الى مقرها ، كى اصارحها بانى لست طيبا ولا مخدوعا .. وانى اعلم سرها !!

ومضى اسبوع ، وانا فريسة لانفعال عنيف ، بعد أن لم يبق امامى باب الا طرقته ، وارتددت عنه يائسا !.. وفيما انا فى حيرتى تذكرت فجأة طاقة الازهار البيضاء ، وخطر لى خاطر: ان امر على محال بيع الزهور فى هليوبوليس وأسأل اصحابها جميعا ، فلعل منهم من يذكر عميلته ذات الرداء الاسود ، التى اعتادت ان تأخذ منه طاقة ظهر كل يوم .. فيهدينى الى مقرها!

❖

◆ **كيف** اصف النظرة التى فاضت من عينى امى حين عدت من القاهرة فى نهاية الاجازة ، ومعى زوجتى .. «الطاف» ؟! لقد زخرت نظرتها لى اذ ذاك بكل ما تسكبه فى العيون عاطفة ام تحقق املها كاملا على غير انتظار !.. ولحظتها ندمت على انى لم احقق لها من قبل امنيتها هذه ، التى طالما لاحقتنى بها فى كل مناسبة ، وعند قيامى بالاجازة فى كل سنة ، راجية منى ان اكون بارا بها ، فأدخل الى حياتى من تملأ البيت وتؤنس وحدتها

وحين لهجت امى باعجابها بتوفيقى الزائد فى اختيار زوجتى الطاف ، وباركت زواجنا ، احسست أن بركتها تصعد رأسا الى السماء .. واننا سنعيش سعداء .

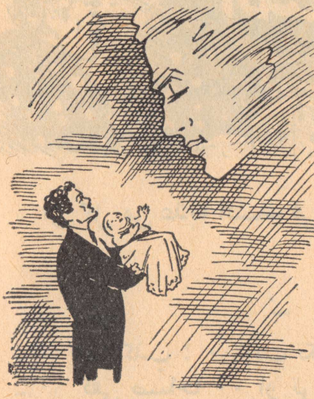
وها قد مضى شهران منذ ولد الطفل ، طفل احمد !

وحين حملته امى الى وهى تشهق بالفرح ، وتقول لى : «انظر يا بنى .. لكم يشبهك !» وخز قلبى نصل حاد ، وان كنت قد اجبتها عندئذ وانا ابتسم ، مبعدا عن خيالى وجه شيطان ساخر : **«نعم يا امى .. انه يشبهنى .. فشكرا لله ، ولك ، ولالطاف !»**

.. اما احمد فقد شكرته لحظتها فى سرى !

❖

.. حتى حضرنا جميعا بالاجازة منذ ايام ، واخذت الطاف والطفل الى قبر ابيه التعس ، لنضع عليه طاقة من .. الازهار البيضاء !



وعندما بكى الطفل ـ كأنما من رهبة المكان ـ رثيت له ، وانا اقمع فى نفسى خاطرا حزينا: ان هناءنا الزاخر لا تشوبه الا غصتان : افتقادنا لاحمد .. ثم هذا الزيف الذى سيلازم الطفل حين ينطق قريبا فيقول «ابى» لمن ليس اباه !

وهمست لابيه فى نجواى :

« اطمئن يا احمد .. فسنرعاه ! »



« الى كل من عذبه الشك فى امرأة ٠٠ أهدى هذه القصة ! »

ح ٠ م

- ١ -

ـ « هذا كذب ! ٠٠ انت تكذبين ! »

ـ « كفى صياحا ٠٠ أو تريد أن يسمعنا الناس جميعا ؟ »

٠٠ وكانت كاذبة فى هذا أيضا ، فانى لم أكن أصيح ٠٠ بل كنت أتكلم بصوت هادىء لطيف ، وأنا ممسك بيدها فى يدى ، وأكذوبتها تسعى كفحيح الافعى فى رأسى !

ثم استطردت قائلة : « انني أحبك ، ويجب أن تصدقنى ٠٠ أفلا تقنعك هذه ؟ » وقبلتنى ! ٠٠ لكننى حين أردت أن أضمها الى صدرى بقوة ، راغت من بين ذراعى ٠٠ ومضت فى الممر المظلم المؤدى الى قاعة الرقص ، فتبعتها فاقد الارادة ٠٠ ووقفت فى ركن القاعة ، بالقرب من منصة عازفى الموسيقى ، أرقب جموع الراقصين والراقصات فى كثير من الملل والضيق ، فلقد كنت غريبا فى أعين الجميع ، عداها ٠٠٠ وطيلة السهرة لم يقترب منى أو يكلمنى أحد !

وبين حين وآخر كانت تقترب من بصرى الزائغ سحابة بيضاء ، معطرة ، لا ألبث أن أتبين فيها شخصها ٠٠ فتلصق كتفها بكتفى لحظة خاطفة ، خشية أن تلحظها العيون ٠٠ وأخفض

أنا عينى الى نحرها الناصع لحظة خاطفة ، خشية أن تأكلنى العيون !٠٠٠ **ثم أرفع بصرى الى عينيها ، الواسعتين الجميلتين الهادئتين ، الظامئتين للنور٠٠ فيكف قلبىعن الخفقان، وأغرق فى لجتهما السوداء العميقة ، المتناهية فى العمق ٠٠ وللحال يتمثل لخاطرى معنى اللانهاية ، بكل رهبته وهيبته ، فأحس ـ مرتاعا مشفقا ـ بوجودى كله ينجذب الى قاع تينك العينين ! ٠٠ ثم تنفلت مبتعدة عنى ، منتزعة حياتى منى ، كى تواصل رقصها مع رفيقها الطويل الانيق ، ذاته !** ٠٠٠ حتى استطعت أن أدرس كافة جزئياته : شكل حذاءيه ، عرض كتفيه ، حركة خصلات شعره الثائرة ٠٠ الخ ـ أما هو فاكتفى بأن يرمينى بنظرته غير المكترثة ، التى سحقتنى سحقا ، وأشعرتنى بضآلتى الى غير حد ٠٠ !

وحين أشرفت الحفلة على نهايتها وبدأ القوم يطفئون الشموع اقتربت منها وهمست لها : « **آن وقت الانصراف ، فدعينى أرافقك حتى منزلك ٠٠** »

فبدت عليها الدهشة وأجابتنى : « **٠٠ ولكنى سأعود بصحبته هو !** » وأشارت الى صاحبها الطويل الانيق ، الذى لم يعبأ حتى بالنظر الينا ونحن نتحدث ٠ ثم قادتنى الى الممر المظلم ٠٠ وقبلتنى !

قلت لها بكل هدوء : « **كاذبة !** »

فقالت متجاهلة : « **سوف نلتقى غدا ٠٠ يجب أن تأتى** »

وحين انطلقت العربة بى صوب دارى ، كان الجليد يكسو كل شىء على جانبى الطريق ، ولم يكن فى الشارع كله غير الحوذى وغيرى ، وقد غطى كلانا وجهه حتى أذنيه تجنبا للسع الهواء ٠٠ وبالطبع كان لكل منا أفكاره التى تشغله ٠ أما أنا ففكرت فيها وفى أكاذيبها ٠٠ حتى وقفت بى العربة أمام البيت، وقد أطل الفجر من فوق أسطح المبانى الساكنة البيضاء !

- ٢ -

◆ **وقد** كذبت .. !

انتظرتها فى الموعد المحدد فلم تحضر .. !

وكان الجو قاتما معتما ، فبدت لى ساعات الانتظار - من وقت الاصيل حتى هبوط الظلام - مثل ليلة طويلة موحشة ! .. أخذت أذرع الرصيف المواجه لبيتها بخطى مملولة رتيبة ، دون أن أخفض بصرى عن باب البيت الامامى الذى انتظرت أن تخرج منه .. وكانت قطع الثلج والبرد ترشق وجهى بابرها الحادة الباردة ، التى كنت أخالها تثقب جلدى وتنفذ الى قلبى ، فتثير فيه الغضب والملل من انتظارى العقيم .. والريح الصرصر القارسة تصفر فى الآذان وهى تكتسح سقوف المنازل ، وتلطم وجهى بسياط من الجليد ، وتلطخ زجاج المصابيح بكرات الثلج حتى تغطيه وتدفن فى داخله ذبالات النور الصفراء المترنحة من البرد والاعياء ..

لكنى عبثا انتظرتها .. فانها لم تأت !

ولا أدرى لماذا لم أصرخ أو أبك من الالم ، وأنا أضم أصابعى كأنها مخالب أسحق بها تلك الجرثومة الحقيرة التى تسعى كالحية : « الاكذوبة » ! .. لقد التفت حول ذراعى وأنشبت أنيابها فى قلبى ، حتى ثقل رأسى بتأثير سمها .. فأغمضت عينى !

ثم فتحتهما ، وتطلعت الى النوافذ المضاءة فى البيت الكبير .. فحدثتنى أنوارها ، بألسنتها الزرقاء والحمراء ، قائلة : « انها تخدعك الآن ! .. وبينما أنت تقبع فى مكانك كالكلب ، تنتظر وتتألم ، تجلس هى هنا بكل فتنتها واغرائها تصغى لهمسات الرجل الطويل الانيق الذى يحتقرك .. ولو اقتحمت البيت وقتلتها لفعلت طيبا . فانك بذلك تكون قد قتلت .. أكذوبة ! »

فشددت قبضتى على السكين فى جيبى وأجبت منفعلا :

« **نعم ٠٠ سوف أقتلها !** » ٠٠ لكن النوافذ رمقتنى فى حزن وأسى قائلة : « **انك لن تقتلها أبدا ، أبدا ٠٠ لان السلاح الذى فى يدك هو بدوره ـ كقبلاتها ـ أكذوبة !** »

ودقت ساعة قريبة ، دقات تردد صداها فى سكون الليل ٠٠ ولم يكد يموت صدى الدقة الاخيرة حتى فتح باب بيتها ، وبرز منه الرجل الطويل الانيق ، وراح يهبط السلم ٠٠ لم أر منه غير ظهره ، ولكنى عرفته ، من خطوته الخفيفة المترنحة ٠٠ خطوة الرجل الذى كان منذ لحظات يتلقى قبلات حارة من شفتى امرأة ٠٠ كاذبة !

- ٣ -

◆ **هددتها** ، رجوتها ، وأنا أصر على أسنانى : « أنبئينى بالحقيقة ! » ٠٠ ولكنها رفعت حاجبيها فى دهشة وبرقت عيناها القاتمتان بريقا غامضا ، وقالت بوجه بارد كالثلج : « لست أكذب عليك ! »

كانت تعرف أنى عاجز عن اثبات كذبها ، وأن كل هواجسى السوداء التى تجثم على صدرى خليقة أن تتبخر بفعل كلمة واحدة منها ، كلمة كاذبة ! فلبثت أنتظر تلك الكلمة ٠٠ وقد فاهت بها أخيرا : « انى أحبك ٠٠ أو لست بكيانى كله لك ؟ »

وكنا بعيدين عن المدينة ٠٠ وكانت حقول الجليد فى الخارج تطل علينا من نوافذ الغرفة المعتمة وتلمع فى وسط الظلمة الثقيلة الساكنة ٠٠ وليست تضىء الغرفة الدافئة غير شمعة واحدة ٠٠ فصحت بها : « أريد أن أعرف الحقيقة ، مهما كانت موجعة ! قد أموت حين أعرفها ، لكن الموت أحب الى من حياة تفتقر الى الحقيقة ! ٠٠ فى قبلاتك أكذوبة ، وفى عينيك خداع ٠٠ أطلعينى على الحقيقة أتركك الى الابد ! »

لكنها ظلت صامتة ، ترمقنى بنظرتها الباردة الفاحصة ، التى

كأنما انتزعت روحى منى وجعلت تتفحصها بفضول غريب .. فصحت بها : « أجيبى .. أو أقتلك ! »

« اقتلنى ! » أجابت فى هدوء : « لكنك لن تستخلص منى الحقيقة بالتهديد .. »

فجثوت على ركبتي وتناولت يدها .. وبكيت ! توسلت اليها ألا تضن على بالرحمة .. والحقيقة !

« يا مسكين .. » قالت وهى تضع يدها على رأسى ، مكررة : « يا مسكين »

قلت ضـــارعا : « ارحمينى .. أريد الحقيقة ! » **وجعلت أتأمل جبهتها الناعمة وأنا أقول لنفسى : « هنا تكمن الحقيقة ، وراء هذا الجدار الرقيق ! » .. وملكني ميل جنونى الى تحطيم جمجمتها ، للوصول الى هدفى .. ثم قلت لنفسى : « وهنا .. خلف صدرها الناصع ينبض قلبها ! » .. وأحسست برغبة مجنونة فى تمزيق صدرها بأظافرى كى أرى - ولو مرة - قلب امرأة على حقيقته ..!**

وكان لهب الشمعة الاصفرقد سكن وبدأ يلفظ آخر أنفاسه .. وكان جو الغرفة كئيبا موحشا ، مخيفا !

وعادت تغمغم : « يامسكين .. يامسكين » .. وخفق لهب الشمعة خفقة أخيرة - كانتفاضة المذبوح - وازرق لونه ، ثم انطفأ .. فاحتوانا الظلام ! لم أعد أستطيع رؤية وجهها ، ولا عينيها .. لكنى أحسست بذراعيها حول رقبتى ، وللحال غاضت من رأسى أكاذيبها ، فأغمضت عينى .. ولم أعد أفكر فى شىء ، وانما استمرأت فقط نعومة ساعديها ، فخامرني احساس بأنها صادقة !.. وفى الظلام بدت لى همستها واهنة غريبة : « ضع ذراعيك حولى .. انى خائفة ! »

وســـاد الصمت فترة ، ثم عاد همسها الواهن الذى يشى بالخوف : « أنت تريد الحقيقة ، ولكن هل أعلمها ؟.. أواه ، احمنى .. لكم أنا خائفة ! »

واذ ذاك فتحت عينى ٠٠ كانت الظلمة الشاحبة قد فاضت من النوافذ العالية الى الغرفة وتجمعت بجوار الجدران ، ثم اختبأت فى الاركان ٠٠ وكأن عينى ميت كانتا تبحثان عنا وتحدجاننا بنظراتهما الباردة !٠٠ فالتصقنا أحدنا بالآخر ونحن نرتجف ، وهمست هى : « لكم أنا خائفة ! »

- ٤ -

◆ **لقد** قتلتها ٠٠!

قتلتها ! وحين رقدت جثة هامدة ، بلا حياة ، تحت النافذة المطلة على الحقول البيضاء ٠٠ وطئت جثتها بقدمى ، وضحكت ! لم تكن ضحكتى ضحكة مجنون ، كلا ٠٠ وانما ضحكة رجل تخفف فجأة من حمله الثقيل وغمر قلبه السلام ٠٠ استراح من الدودة التى كانت تقرض قلبه على الدوام !

وانحنيت عليها ، أتأمل عينيها ، الواسعتين الظامئتين للنور ٠٠ فاذا هما مفتوحتان ، جامدتان ، كعينى دمية من الشمع !٠٠ فلمستهما بأصابعى ، وأغمضتهما وفتحتهما ، دون أن أحس بالخوف ٠٠ فانى لم أعد أرى فى انسانيهما الاسودين شيطان الكذب ، الذى طالما سمم حياتى !

وحين قبضوا على ضحكت ، فحسبونى وحشا ، ونظروا الى باشمئزاز !٠٠ واقترب منى آخرون وشفاههم تغمغم باللعنات ، فلما رأوا الفرحة فى عينى شحبت وجوههم وتسمرت أقدامهم فى الارض ٠٠ وهتفوا مجفلين : ((مجنون !)) ٠٠ وبدا كأن الكلمة قد أراحتهم ، لانها أعانتهم على حل اللغز المعقد : لغز العاشق الذى استطاع أن يقتل معشوقته ثم يضحك !

لم يشذ منهم غير واحد : رجل بدين مرح ، أطلق على وصفا آخر ، وقع فى سمعى كحجر ثقيل ، صدمنى وأظلم النور فى عينى ٠٠ قال لى فى لهجة عطف ، وفى غير غضب : « مسكين ٠٠ مسكين ! »

فصحت به : « صه !٠٠ لا تقل ذلك »

ولا أدرى لماذا وثبت عليه ٠٠ طبعا لم أنو قتله ، أو اصابته بأى أذى ٠٠ لكن أولئـــك القوم الخائفين انزعجوا لحركتى وصرخوا فزعين ٠٠ الامر الذى أضحكنى من جديد ملء شدقى !

وحين اقتادونى الى خارج الغرفة التى بها الجثة ، جعلت أكرر بصوت عال فى عناد ، وأنا أنظر للرجل البدين المرح : « انى سعيد !٠٠ جد سعيد ! »

وكنت صادقا !!

- ٥ -

◆ **وفى** زنزانتى صرت أشبه بالنمر فى القفص ، أمشى من ركن الى ركن وأفكر ، وأنا أحس كما لو كنت أحمل فوق كتفى الدنيا بأسرها ، لا رأسى وحده !٠٠ كانت أفكارى منحصرة فى كلمة واحدة ، لكنها كلمة شـــاملة ٠٠ معذبة ٠٠ مدمرة : « الاكذوبة ! » ٠٠ فلقد عادت تسعى كفحيح الافعى فى رأسى ٠ وحين كان يستبد بى الالم ، فأحس كأن صدرى ملىء كله بالزواحف ، لم أكن أستطيع أكثر من أن أنطق بتلك الكلمة الهامسة المخيفة : « الاكذوبة »

وفيمــا أنا أذرع زنزانتى كان الاسفلت الاغبر الذى يغطى أرضها يتمثل لناظرى فى صورة هوة شفافة ليس لها قرار !٠٠ وكفت قدماى عن الشعور بلمسة الارض فصار يخيل الى كأننى أطفو فوق ضباب من الظلمة على ارتفاع عال ٠٠ **لكن الهمسة المألوفة لم تعجز عن بلوغ مسامعى : « الاكذوبة ! » ٠٠٠ فتملكنى الغضب ودققت الارض بقدمى صائحا : « لم تعد هناك أكذوبة ٠٠٠ لقد قتلت الاكذوبة ! » ٠٠ واستدرت بعيدا كى لا أسمع الجواب المزمع أن يبلغ أذنى ٠٠ وبرغم ذلك فقد جاءنى الفحيح من قاع الهاوية : « كذب ! »**

واذ ذاك أدركت أنى قد ارتكبت خطأ جسيما ، فقد قتلت المرأة ٠٠ لكننى خلدت الاكذوبة !٠٠ فليحذر كل رجل من أن يقتل امرأة الا بعد أن يستخلص منها الحقيقة كاملة ، بالتوسل ٠٠ والتعذيب ٠٠ والنار !!

هكذا كنت أفكر وأنا أذرع زنزانتى من ركن الى ركن ٠٠!

❖

◆ **لكنها** حملت الحقيقة معها الى مكان مظلم مخيف ، هو الذى سوف ألحق بها فيه !٠٠ وهناك، تحت عرش الشيطان ، سوف أظفر بها ٠٠ فأجثو على ركبتى أمامها وأنتحب ، وأنا أناشدها : « أنبئينى بالحقيقة ! »

ولكن ، زباه ٠٠ رباه ٠٠ هذه بدورها اكذوبة ! فلسوف تفصل بيننا الظلمة والفراغ ٠٠ فراغ القرون السحيقة ، واللانهاية ٠٠ لن أجدها هناك ، لن أجدها فى أى مكان ٠ لقد ذهبت وانتهت ٠٠ أما الاكذوبة فباقية ، خالدة ، أحسها فى كل ذرة من الهواء ٠٠ وحين أتنفس تدخل صدرى ، وتمزقه ٠٠ تمزقه !

أواه ٠٠ أى خبل أن يبحث الانسان عن الحقيقة ٠٠ وأى عذاب !

النجدة ٠٠!

أنقذونى ٠٠!

المؤلف

(١٨٧١ ـ ١٩١٩)

◆ **والآن ، هل تريد ايها القارىء ان تعرف شيئا عن مؤلف هذه القصة ؟ تتميز حياة «ليونيد نيكولاييفتش اندرييف» بان عنصر المأساة يكاد يغلب عليها فى أكثر مراحلها ! ـ ولعل هذا سر الطابع الفاجع العنيف الذى يغلب**

على أدبه و قصصه جميعا ! - فهو قد ولد فى مدينة (أوريل) يوم ١٨ يونية سنة ١٨٧١ ، وتلقى علومه فى المدارس الحكومية بها .. وفى سن الثالثة والعشرين ألجأه الفقر ، ومرض وراثى تعس (لعلـه الزهرى) أو اختلال الاعصاب) الى محاولة الانتحار .. فسببت له المحاولة ضعفا فى القلب كان القاضى على حياته بالفعل فى النهاية !

وقد عمل أندرييف فى بداية حياته الادبية محررا فى جريدة ((كورير)) .. وفى سنة ١٨٩٩ نشرت قصته ((لقد عاشوا)) فى صحيفة ((الحياة)) الشهرية ، فظفرت بتقدير عالمى ! - وهى القصة الوحيدة لاندرييف التى تصور غراما سعيدا ! - وحين ظهرت المجموعة الاولى من قصصه سنة ١٩٠١ أطرى عميد ناقدى العصر موهبة أندرييف الادبية ولفت اليه الانظار ..

وكتابات ((أندرييف)) تنزع الى تصوير الفزع من الحياة ، الذى يبدو على أشده فى مسرحياته : ((حياة الانسان)) (سنة ١٩٠٧) ، و ((سطوة الجوع)) و ((أناتيما)) (١٩٠٩) .. على أن الانصاف يقتضى الاعتراف بانه لم يكن متشائما مكتئبا ((يشمت)) فى بؤس الانسانية ! وانما كان على العكس رجلا ذا نزعة انسانية مرهفة ، جعلته يرثى للمعذبين والفقراء ، ويحتقر الذين يقسون عليهم ! .. وهذه النزعة تظهر فى أكثر مؤلفاته ، وأهمها : ((الضحكة الحمراء)) ، وهى صيحة بليغة ضد الحرب .. و ((السبعة الذين شنقوا)) ، وهى تصور حملة عميقة المغزى على فكرة العقاب الاجماعى .. ثم ((النجدة)) - التى صدرت سنة ١٩١٩ - وهى تبرز صيحته القوية ضد الرعب الاحمر (الشيوعية) !

وقد أبى أندرييف أن يحذو حذو زميله ((مكسيم جوركى)) فى الاعتراف بالنظام البلشفى ، وابى قبول الاوسمة التى منحه اياها البلاشفة ، الامر الذى اضطره الى الفرار الى فنلندا .. وبذلك فقد الثروة التى تعب فى جمعها من أعماله الادبية طيلة حياته !.. وهكذا قضى الفترة الاخيرة من عمره يعانى الفاقة والحرمان اللذين قاسى منهما فى شبابه .. حتى مات فى بيته بجهة (كوكالا) بفنلندا فى ١٢ سبتمبر سنة ١٩١٩

النصف الاعلى .. فقط !

◆ عرفت الاديبة الفرنسية المشهورة « مدام دی ستايل » بصداقتها وصلاتها الوطيدة مع عظماء عصرها .. فلما شرعت فى تدوين مذكراتها الخاصة سألتها صديقة لها، مشفقة :

ـ ولكن كيف تجرؤين على تصوير حياتك وغرامياتك على حقيقتها ؟

فأجابتها مدام دی ستايل :

ـ أوه ! اننى لن أجعل من سيرتى غير تمثال « نصفى » !

ضعف الايمـان !

◆ **كان** الراهب الزنجى يقف فى جمع من أبناء جنسه وهم يرفعون رؤوسهم الى السماء ضـارعين الى الله أن ينزل عليهم المطر بعد أن أضر بهم الجفاف . وفجأة التفت الراهب الى الحضور وقال وهو يهز رأسه آسفا :

ـ « ان ايمانكم ضعيف يا أبنـائى ، فها أنتم أولاء مجتمعون لتلتمسوا من الله أن ينزل لنا المطر .. ومع ذلك فان أحدا منكم لم يحضر معه مظلة يتقى بها المطـر عند نزوله ! »

عندما تحب المرأة

◆ **غمغمت** الفتاة لخطيبها وهى تعانقه فى دلال :

ـ ألسنت ترى أن عينى مثل النجوم ؟

ـ نعم ..

ـ وأن أسنانى مثل حبات اللؤلؤ ؟

ـ نعم ..

ـ وأن شعرى الذهبى كحقول الحنطة فى شهر يوليو ؟

ـ نعم ..

ـ أواه ياحبيبى ، ما أجمل العبارات التى تقولها لى .. !

كتب الأولون



كنوز الكتب القديمة

عزيزى القارىء ...

فى اعداد السنة الاولى من «كتابى» استخرجت لك من كنوز الكتب القديمة على التوالى :

«ديكاميرون» تأليف بوكاشيو
«دون كيشوت» تأليف سرفانتس
«الالياذة» تأليف هوميروس
«اميل» تأليف جان جاك روسو
«حى بن يقظان» تأليف ابن طفيل
«روبنسن كروزو» تأليف دانييل ديفو
«غرام الاخوين» تأليف (كاتب فرعونى مجهول)
«يوتوبيا» تأليف توماس مور
«الجمهورية» تأليف افلاطون

واليوم أقدم لك فيما يلى القسم الاول من «الكوميديا الالهية» لدانتى - وهو قسم «رحلة الجحيم» - يليه فى العددين القادمين القسمان الاخيران منها وهما : المطهر .. والفردوس !.. وبعدهما نستأنف سياحتنا معا عبر الاجيال والاقطار فتقرأ معى فى هذا الباب:

الاوديسة تأليف هوميروس
الامير تأليف مكيافيللى
العقد الاجتماعى تأليف جان جاك روسو
السياسة تأليف ارسطو
البخلاء تأليف الجاحظ .. الخ



الرسم مقتبس عن تحفة فن النحت الخالدة (باب الجحيم) للمثال الفرنسى « رودان » ويرى فى أعلى الباب تمثال دانتى مطرقا ، وهو التمثال الذى اشتهر فى العالم بعد ذلك باسم « المفكر »

هذه الملحمة

◆ الكوميديا الآلهية !.. جحيم دانتى !.. المطهر .. الفردوس .. عصر النهضة .. غرام دانتى وبياتريس .. الخ

لابد انك سمعت أو قرات اكثر من مرة - سواء فى كتب التاريخ المدرسية او فى غيرها - اشارات عابرة الى هذه الاسماء والمسميات الخالدة ، التى تفتح امام خيالك آفاقا عريضة من الرؤى والافكار .. ولاشك انك اشتقت فى أكثر من مناسبة الى مطالعة هذا التراث الثقافى المشهور ، الذى كان وما يزال من أعظم مشاعل الفكر فى جميع العصور..

بل دعنى أذهب الى أبعد من ذلك فأقول : أنك قد تكون مررت يوما بمكتبة ، فأغراك عنوان هذا السفر بأن تشتريه ، كى تقرأه وتزود عقلك بما فيه من زاد ذهنى ثمين ..

ولكن ، هل اتسع وقتك - وصبرك ! - حقا لقراءة هذا السفر ، الذى يبلغ باجزائه الثلاثة أكثر من ستمائة صفحة ، فى اى لغة من لغات العالم الرئيسية ؟ اغلب الظن انك - سواء اقتنيته أم لم تقتنه - ستعيش حياتك تمنى نفسك بان تجد الفرصة لمطالعته يوما ما .. لكنك مع ذلك لن تقرأه ابدا !

لذلك أدعوك اليوم كى تصحبنى فى هذه السياحة القصيرة بين صفحات كوميديا دانتى الالهية ، كى تلم منها بما يكفى لتكوين فكرة واضحة عن هذه الملحمة الخالدة التى سأقدم اليك كل جزء من اجزائها الثلاثة فى عدد مستقل

وسواء أعجبتك قصتها أم لم تعجبك ، وهى قد لا تعجبك اذا كنت «واقعيا» تنفر من الاغراق فى الخيال .. فحسبك منها أن تستطيع ، اذا ضمك مجلس يتحدث فيه قوم عنها .. أن تشترك فى الحديث !

أما اذا اعجبتك واردت الاستزادة منها ، والالمام بكافة تفصيلاتها .. فأمامك نصها الكامل تستطيع أن تقرأه بأية لغة تشاء ..

قصة المؤلف : دانتى ٠٠ رائد السماء !
(١٢٦٥ ـ ١٣٢١)

◆ منذ نيف وستة قرون ولد فى مدينة فلورنسا الزاهرة بفنونها وآدابها طفل ايطالى سماه أهله «دورانتى أليجييرى»

وتحت سماء فلورنسا الصافية الاديم نما ذلك الطفل وترعرع ، رائعا بجماله ، واستقامة فطرته ، واستواء عوده ، وقوة بنيته .. مثل روعة زهور ذلك البلد الجميل ، ذات الفتنة والعبير ..

وفيما كان لا يزال صبيا ، اطلق عليه اصحابه اسما من اسماء التدليل التى يطلقها الاتراب على من يؤثرونهم بالمودة : سموه «دانتى» ! فتلقف التاريخ ذلك الاسم الصغير البسيط ، ووعاه فى حافظته ، لانه كان مقدرا لذلك الطفل الجميل أن يدخل من باب التاريخ الضيق .. فلم تعرف ايطاليا له اسما سواه حينما غدا ذكر ذلك الفتى على كل لسان فى شبه الجزيرة ، وقد صار شاعر ايطاليا الاكبر ذا المجد الخالد على مر العصور ..!

بياتريس !

وكان فصل الربيع هو أوان اللهو والقصف والمرح فى مدينة الازهار ـ فهكذا كانوا يسمون فلورنسا فى ذلك الزمان ـ فالاطفال يقطفون البراعم المندية بأناملهم الحلوة الطرية ، والشيوخ يسقون ذلك الفصل بدموع الحسرة والحنين الى ايام خلت ، ملات شيخوختهم بالذكريات ، والاحلام .. أما الشباب فيتلقون ذلك الأوان لقاء الحبيب للحبيب ، فالشباب والربيع صنوان ، لان الربيع شباب الطبيعة ، والشباب ربيع الحياة !

حتى اذا أقبل شهر مايو ، وكفت عن الهبوب من أعالى الجبال رياح الشمال الباردة ، ورفت الاوراق الخضراء اليانعة فوق اغصانها مرصعة بلؤلؤ الندى ، وتفتحت عن أكمامها الورود فى غير حذر ، وتضوعت من عطرها الارجاء .. سكرت الاعطاف ، وتمايلت القدود مع تمايل الاغصان ، وشارك الناس الطبيعة زينتها وتبرجها .. فاحتفلوا بيوم أول مايو الذى كان بمثابة «عيد الطفولة» فى مدينة الازهار ، رمزا للطبيعة التى ولدت فيه من جديد !

.. فلما بلغ دانتى من العمر تسع سنين صحبه أبوه الى ذلك المهرجان ، فرأى بين الاطفال المشتركين فى أفراحه ومواكبه طفلة تصغره بعام واحد ، شقراء

كالمرمر ، حسناء كالبدر رقيقة كالياسمين ، فما ملك ان أحبها منذ وقعت عليها عيناه حبا ملأ فؤاده وفاض .. وكانت تدعى «بياتريس» !

... وراح دانتى يرقب فاتنته وهى تجرى ، وتلعب ، وتقبل ، وتدبر، لاهية بين الورود ، وهى أنضر من براعمها وارق ، ولكنه لم يقترب منها ، ولم يتحدث اليها .. من فرط حيائه وخجله !

ولم يتسن لدانتى أن يسمع صوت بياتريس الا بعد ذلك بزمان طويل . ولكن لئن نجت اذنه من أسار ذلك السحر فان قلبه لم ينج من رشقة السهم الذى نفذ الى السويداء منه منذ وقعت عينه على محاسنها البادية : فلم ينس قط لون ثوبها ، ولا لون حزامها ، ولا زينة اذنيها ومعصمها .. وكأن ذلك كله قد نقش على شغاف قلبه بأحرف لا تزول !

ونقلا عن ذلك التذكار الراسخ ، خلد لنا التاريخ صورة بياتريس الطفلة، لاعبة لاهية ، فى ثوب فاخر من الحرير الاحمر القاتم ، وقد حبك الحزام ثنايا ذلك الثوب حول خاصرتها ، واحاطت بجيدها قلادة بديعة كشفت عنها حركة رأسها الى الوراء وهى تطوح بخصلات شعرها الاشقر الطويل ..

وكان دانتى وبياتريس يسكنان كلاهما مدينة فلورنسا ، ولكنهما لم يتقابلا الا مرات نادرة ، وعلى غير اتفاق . بيد أن حب دانتى لبياتريس كان قويا عنيفا طاغيا ، حتى لقد كان يسلخ الساعات الطويلة المتعاقبة متسكعا فى شوارع فلورنسا الضيقة ، لعله يلمح فاتنته فى طريقها الى الكنيسة ، او الى زيارة بعض ذوى قرباها ، أو مطلة من نافذتها تسقى أصص ازهارها ..!

يمرض .. حبا !

◆ ومع ذلك لم يتح لدانتى أن يسمع صوت محبوبته الا بعد تسع سنوات طوال من رؤيته لها أول مرة ! وكانت يومئذ سائرة فى الطريق بين سيدتين ، فلما رأته حيته ببضع كلمات رقيقة ثم استأنفت سيرها ، وتركته يكاد يجن ويطير لبه فرحا !

ولكن لم تمض ايام حتى مرض دانتى مرضا شديدا لفرط ما أصابه من ضعف وهزال من تباريح هواه ، ثم لما لقيه بعد ذلك من هزة الفرح العنيفة حين سمع صوت محبوبته الساحر يلقى عليه السلام !

واشتدت عليه وطأة الحمى ، وانه لفى غمرتها واذا بخاطر غريب يتسلل الى وجدانه المحموم : «بياتريس النبيلة سوف تموت !» .. وراح يهذى بهذه العبارة فى فراشه بصوت مسموع مرتعد يكاد يخنقه البكاء !

الرؤيا .. !



وزادت عليه وطأة الحمى ، فرأى يوما رؤيا عجيبة حقا : رأى سيدات على قارعة الطريق ينتحبن متفجعات .. ثم كأن الشمس قد كسفت ، والنجوم قد خبت ، وطيور السماء قد تساقطت على الارض ميتة لا حراك بها .. ثم زلزلت الارض زلزالها وهبت عليها عاصفة هوجاء !

وخيل الى دانتي أن رجلا يقف على رأس سريره يقول له :

ــ ألم تعرف النبأ الفادح ؟ ان محبوبتك التي كانت آية في الجمال قد طواها الموت .. !

فلما سمع دانتي هذه الكلمات أخذ يبكي وينتحب ، ثم رفع عينيه الى السماء ، فرأى سربا كبيرا من ملائكة الرحمن يصعدون الى عليائها وقد حملوا على أذرعهم سحابة صغيرة ناصعة البياض !.. فأدرك دانتي وهو في الرؤيا أن تلك السحابة روح حبيبته بياتريس ، وسمع الملائكة يرتلون وهم صاعدين : «المجد لله .. لله المجد !» .. فقال له الرجل الواقف بجوار فراشه : «تعال انظر حبيبتك !»

حينئذ رأى دانتي جسد حبيبته ، وقد غطاها نساء بيتها بغلالة رقيقة وجعلوا على رأسها قناعا ضافيا !! .. ولاحظ الذين كانوا قائمين على تمريض دانتي أنه يبكي في نومه ، ورأوا الدموع تنهمر من عينيه متلاحقة لا ينقطع لها سيل ، فعجبوا وتساءلوا عن علة هذا البكاء الغريب ! فلما أفاق من رؤياه انبأهم بانه رأى روح حبيبته صاعدة الى عليين ، في صورة سحابة صغيرة بيضاء ، وقد فارقت الروح جسدها على الارض بلا حياة !.. فطمأنوه ، وهدؤوا روعه ، وقالوا له :

ــ ان هي الا اضغاث أحلام ، فبياتريس بخير وعافية ..

فصدقهم ، وهدأت ثائرته ، واخلد الى الراحة حتى شفى واسترد قواه .. بيد أن تلك الرؤيا لم تفارق خياله أبدا ، فكان يقضي وقته كله بعد ابلاله من مرضه فى كتابة اناشيد الغرام ومقطوعات الغزل والتشبيب بحبيبته ..

وفيما هو غارق ذات يوم فى ذلك الحلم الفنى البديع جاءه النبأ المحذور، ان بياتريس الحسناء قد طواها الموت ، ولم تكد تنقضى على زواجها من ابن احد رجال المال الاغنياء شهور معدودات !

واستبد بدانتى حزن مروع ، حتى ضاقت الدنيا فى عينيه .. فهذه فلورنسا العامرة تبدو له قفرا لا ديار فيها ولا نافخ نار . وهذا هو يقضى الساعات الطوال ساكنا جامد الاوصال « غير مكترث بما يمر به ، غير ملتفت الى شىء من الاشياء ، فلا الاهل ، ولا الوطن العزيز ، ولا سانحات الفضاء والقدر تقع منه موقع العناية . فقد فارقت بياتريس هذا العالم ، فاصبح من بعدها خاويا موحشا هينا غاية الهوان ..!

وفيما كان غارقا فى تلك الاحزان ذات ليلة ، تراءت له رؤيا غريبة اخرى: فقد رأى محبوبته ، فى جنة الفردوس ، يحف بها الملائكة مسبحين .. وكانت أبهى جمالا مما كانت فى الدنيا واشد اشراقا !

وافاق دانتى من حلمه الجميل وقد ذهبت عنه كآبته : فقد رأى بياتريس رأى العيان ، واستقر فى اعتقاده انها بحيث يمكن أن تراه ، وترعاه ، وتأخذ بيده فى دروب الحياة ، وان كانت لا تسكن هذا العالم الارضى ! !

وقد خلد دانتى هذه الرؤيا الجميلة فى كتاب رائع من أبدع ما عرفه العالم فى فن الشعر . وذلك هو كتابه «الكوميديا الالهية» الذى نظمه بعد ذلك بسنوات طوال ، حينما نضجت ملكاته وصار فنه جديرا بجمال محبوبته وجلال حبه القدسى ..

صورة الصفحة المقابلة : الرقص فوق الصخور

◆ أترى هذه القفزة الرائعة فى الهواء ؟ انها احدى عجائب فن راقصى الباليه العالميين «روزيلا هايتاور» و «اندريه اجليفسكى» ، نجمى باليه (مونت كارلو) .. ويلاحظ توفز اعصاب ذراعى الراقصة ويدها اليسرى ، وتأهب ساقها اليمنى للهبوط على الارض مرتكزة على اطراف أصابعها ! وهو نفس الوضع الذى يقف عليه زميلها الراقص ، برغم العبء الذى يرفعه بيديه ..





حمامة بيضاء ! (جاكلين مورو ، الراقصة الاولى بباليه اوبرا باريس)

دانتى فى المنفى

◆ بيد أن بلاء شديدا نزل بساحة دانتى قبل أن ينظم هذه الملحمة الخالدة. ففى ذلك العصر السحيق لم تكن ايطاليا مملكة موحدة عليها ملك واحد ، وانما كانت كل مدينة قائمة بذاتها ، لها حكومتها المستقلة . وكانت فلورنسا ذات حكومة جمهورية ، يقوم عليها حكام ينتخبهم الشعب ، ويغيرهم كل شهرين مرة .. فكان طبيعيا اذن أن يسود التناحر السياسى والحزبى ذلك البلد الجميل ، ويكون التنافس على السلطة مستمرا متجددا ، لتلاحق دورات الانتخاب ... وكان يتناوب الحكم حزبان كبيران ، يتبادلان الدسائس .. وكلما ظفر بالحكم حزب منهما انتقم من خصومه ونفاهم من المدينة ! وكان ذلك النفى اقسى حكم يمنى به فلورنسى ، لان الفلورنسيين كانوا يحبـون بلدتهم اعظم الحب ولا يطيقون عنها بعدا ، ولان ذلك النفى كان مصحوبا بالحرمان من الحقوق المدنية والسياسية ، ومصادرة الاموال !

وقد شب دانتى فى ذلك الجو الملبد بالاحقاد ، فحز ذلك فى نفسه بحيث آلى على نفسه ان يحاول جمع الكلمة وتوحيد الصفوف . بيد أن الضغائن كانت اعمق جذورا فى النفوس من كل دعوة الى السلام ، فاستعصى الفتق على الراتق ، وابى الصدع أن يجبر ..

فلما بلغ دانتى الخامسة والثلاثين من عمره ، حدث أن دعا أحد ساسة فلورنسا ـ واسمه دوناتى ـ الدوق «شارل دى فالوا» شقيق فيليب الرابع ملك فرنسا ، كى يحضر لزيارة فلورنسا .. وكان الداعى يطمع من وراء ذلك الى ارتقاء مقاعد الحكم بنفوذ ذلك الامير الفرنسى !

ولبى شارل الدعوة ، وتضافر معه دوناتى واعوانه حتى استولوا على مقاليد السلطة فى المدينة ، وحكموا على الكثيرين من خصومهم المخذولين بالنفى وكان دانتى اليجييرى من بين هؤلاء المنفيين ! فحز ذلك فى نفسه كثيرا ، لما كان لمسقط رأسه من منزلة فى نفسه . أليست ملعب صباه ، ومسرح هواه ، ومنبت بياتريس ؟ ولكن ما حيلته وقد حكموا عليه بالاحراق حيا اذا عاد اليها؟

وغادر دانتى المدينة حزينا محسورا ، تاركا فيها زوجته واولاده الثلاثة ، فقد تزوج ـ بعد وفاة بياتريس بثلاث سنوات ـ من بنت عم لدوناتى .. فايقن الآن ان دوناتى لن يتعرض لقريبته بسوء !.. وظل يمنى النفس بانجلاء هذه الغاشية والسماح له بالعودة الى وطنه ..

ولكن خاب فأله ، فقد تلاحقت السنوات وهو بعيد عن فلورنسا ، يذرع

ايطاليا من أقصاها الى اقصاها ولا يستقر فى مكان ، متحملا اقسى ألـوان الحرمان ، والفقر !.. ذلك الفقر الذى ثقل عليه ، لانه كان أبى النفس ، فكانت معونة الناس له تملؤه ألما ومرارة ..

وكان يشتغل فى بعض الاوقات معلما فى الجامعات ، اثناء تنقله بين بلدان ايطاليا ، أو يشتغل لحساب حكومته فى تأدية بعض المهام ، أو ينزل ضيفا معززا مكرما على كبار الامراء والسراة رعاة الفنون والاداب . ولكن روح دانتى الابية كانت تئن تحت هذا الاكرام ، لانه كان يتخيل دائما انهم وهم يكرمونه انما يعتبرونه فى مرتبة الاتباع المحتاجين ، وهو هو السيد الكريم المنبت !

وسلخ فترة من أيام نفيه فى بلدة فيرونا ، فى بلاط أميرها الشاب الذى كان ينزله من نفسه منزلة الصديق العزيز الكريم . بيد أن كبرياء دانتى لم تفتأ تسبب له الالم والعناء ، وكأنه الجواد الجامح على الدوام ! اصغ اليه وهو يصرخ من جرح كبريائه اثناء مقامه فى بلاط فيرونا : «خبز الغرباء ، ما أمره .. انه كالعلقم ! ومسالك الغربة ما اوحشها واوعرها على السالكين !» ..

فلما انقضت على منفاه خمس عشرة سنة طويلة ، ملأ فيها سمع ايطاليا بحنينه وشجوه ، سمح له أن يعود الى موطنه ، بعد أن كلل باكاليل الغار ، وتوج سيدا لشعراء ايطاليا جميعا !

.. ولكن هل عاد الى فلورنسا بالفعل ؟

لقد اشترطوا لعودته شرطين : ان يدفع غرامة ، وأن يعترف على الملأ بانه مذنب ، مستحق للعقاب ، مستجد للعفو .. !

وابت كبرياء الشاعر المنفى أن يعود .. فرفض ذينك الشرطين بكل ازدراء .. وعاد الى التجوال فى ربوع ايطاليا محزونا اسيفا ، حتى بات وجهه صورة للاسى العميق ، فمن رأى صوره فى سنواته الاخيرة لايتصور أن ذلك الوجه العابس الكالح يمكن ان يشرق بابتسامة ، أو أن ذلك الفم المطبق يمكن أن يفتر عن ضحكة ، أو أن هاتين العينين الاسيفتين يمكن ان تومضا بالامل ..

نهاية حياة .. وبداية خلود !

◆ وكان ملاذه الاخير مدينة «رافنا» ، حيث انس الى سيد من سراتها كان شاعرا ، هو السنيور «جويدو» .. فظل فى صحبته وضيافته حتى ادركه الموت بعد تسعة عشر عاما من منفاه ، فى سنة ١٣٢١ ، وقد بلغ من العمر السادسة والخمسين ...

وعندئذ ، وقد فات الاوان ، ندمت فلورنسا على جفوتها لابنها الخالد ، فطلبت الى «رافنا» ان ترد اليها رفاته لتستريح فى أرض فلورنسا التى طالما

حن اليها حيا .. بيد أن هذا الطلب ذهب سدى ، لان «رافنا» اعتزت بتلك الرفات الكريمة وابت أن تنزل عن شرف ضيافته ميتا وقد اضافته حيا طريدا !

ولا زال المنفى الطريد غريبا الى اليوم عن موطنه «مدينة الازهار» ، فكأنه شرب كأس الغربة المريرة حيا وميتا !

.. مات دانتى اذن ، وانتهى ذلك النغم الساحر ...

كلا ! بل بدأ ! فقد ترك للانسانية كوميدياه الالهية ، تلك الرحلة الخارقة فى أرجاء العالم الاخر ، من الجحيم ، الى المطهر ، الى الجنة .. بحيث استحق أن يدعى بحق «رائد السماء» !

وما مات من كانت السماء قبلته، ومن عنصر الفن الرفيع جوهره وفطرته..

والآن ، تعال معى نزور فى ركاب دانتى : مملكة الجحيم !

الكوميديا الالهية

١ ـ رحلة الجحيم !

◆ من منا يجهل مملكة الاحلام ؟ من منا لم يطر اليها على جناح النعاس المسحور ، ليرى فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ؟

انها المهرب لنا جميعا من متاعب الحاضر ، وبشاعة الواقع ، وجمود الحياة اليومية الراكدة . انها الشاطىء الذى نعبر اليه لنبنى على رماله أمانينا العذاب، ونبثه أشجاننا وأحزاننا المكبوتة .

وفى هذه المملكة المستورة عن عين الحس ، قام « دانتى » برحلته الفذة .. الى الجحيم !

وهو في مفتتح هـذه الرحلة يحدثنا أنه ألفى نفسه فجأة في غابة ملتفة الاشجار ، وارفة الظلال ، تسودها الوحشة ، حتى لقد اقشعر بدنه واستولى عليه الوجل الشديد . ولم يدر ماذا جاء به الى تلك الغابة ، وان كان يعلم علم اليقين أنه ضل الطريق ، ولم يهتد الى مخرج له من هذا التيه .. ولا وجد بصيصا من النور بين الاغصان المتشابكة يهديه سواء السبيل ، فملأ الرعب فؤاده ، وأخذ يرتعد خوفا واشفاقا على نفسه مما قد

يحدث له فى هذا المكان الرهيب ٠٠ ثم راح يتحسس متلمسا الطريق ، فكان يخبط خبط عشواء الليل ، فتخدشه الاغصان ، ويتعثر بين الجذور الناتئة ، حتى سقط على الارض ٠٠ بيد أنه تماسك ونهض من سقطته ، وراح يتحسس طريقه مرة أخرى فى جهد اليائس ، الى أن ألفى نفسه عند سفح جبل عظيم ، وقد همت الشمس بالشروق ، فسكبت أشعتها طيلسانا من الذهب والارجوان على جنبات ذلك الجبل ، وتوهجت قمته بنور ساطع ترتد عنه الابصار ٠٠ فعلم أنه أنفق الليل بطوله فى متاهة الغابة المظلمة ، وارتعد لذكر مالقيه فيها من العناء والوحشة والاهوال ، بيد أن سطوع الشمس وانبلاج الصبح بعد ذلك الليل الرهيب رد الى قلبه الامل ، وبسط على نفسه لواء الامان ٠٠ فوقف برهة يسترد أنفاسه المبهورة ، ثم أنشأ يصعد ذلك الجبل الشامخ متجها نحو قمته الناصعة البياض ٠٠

ولكن واأسفاه ! فانه ما ان قطع من مرحلة الصعود شوطا يسيرا جدا حتى برزت أمامه عقبة جديدة لم يحسب لها حسابا . فقد كانت ضبع ضارية تعترض الطريق !

ومن عجب أن دانتى لم يشعر بالخوف من الضبع لاول وهلة ، بل راح يتأمل حركاتها الرشيقة ، وأعضاءها القوية ، وجلدها الارقط ٠٠ غير أن ذلك الاعجاب «الفنى» لم يلبث طويلا حتى انقلب ضيقا بها ، عندما تبين له أن الضبع متشبثة بمكانها ، عاقدة العزم على قطع الطريق عليه والحيلولة بينه وبين مايهدف اليه من بلوغ القمة !

وهم دانتى بأن يعود من حيث أتى ، لولا أن احساسا غريبا بعثه فى أوصاله صفاء السماء ، وسطوع الشمس ، ورقة النسيم المعطر ، جعله يثابر على الصعود ، ويعقد النية على المضى فيه ٠٠!

وما أن أقدم على استئناف الصعود ، حتى برزت أمامه عقبة جديدة : فهذا أسد مفترس ، أخذ منه الهياج مأخذه ، على

سنة السباع حين يعضها الجوع بنابه ، وقد تقدم نحـوه رافع الذنب ، شامخ الهامة ، متقد المقلتين ٠٠!

ومن وراء ذلك الضيغم ذئبة جائعة ، كشفت عن أسـنان كالخناجر ، وقد ألصق الطوى جلدها بعظامها ، فليس من شك فى استماتتها فى طلب الفريسة ، وقدرتها على التهامها بالغـا مابلغ مقدارها ٠٠

فاسودت الدنيا فى عينى دانتى المسكين ، وفقدت الشمس التى كانت مبعث طربه وأمله ماكان لها من أثر سحرى ، فكأنما قد اكفهر لونها كما اكفهر لونه ، وأصابها ما أصابه من فزع وهول

استـغاثة ٠٠!

وتحالفت الضبع والاسد والذئبة عـلى الشاعر السنائح ، فجعل يتقهقر ٠٠ الى أن وصل الى أطراف الغابة التى لقى من قبل فى ظلماتها الويل والثبور ٠٠ فابتلعته تلك الظلمات مرة أخرى ٠

وعظم عليه الامر ، وشعر بالحيرة والعجز والقهر ٠ لـكن رحمة الله تداركته قبل فوات الاوان ، اذ رأى فى العتمة الرائنة من حوله شبحا غامضا يتقدم منه ، فصاح دانتى ملهوفا :

ـ أغثنى ولتأخذك بى الرحمة ، انسا كنت أو روحا من الجن !

فأجابه صوت أجش عجيب الجرس ، كأنه خارج من القبر :

ـ أنا «فيرجيل» !

فقفز قلب دانتى فى صدره فرحا ، فهذا فيرجيل الشاعر اللاتينى القديم ، وأحب الناس الى دانتى بعد محبوبته بياتريس ، وان لم تكتحل برؤيته عيناه ، فقد مات فيرجيل قبل مولد دانتى بأجيال وقرون ، ولكنها معرفة العقل والذوق والفن ٠٠ ففيرجيل أستاذه الاكبر ، ودانتى له بمثابة التابع والمريد ، يكن له أخلص الود ، ويدين له بالوفاء والولاء ٠٠

وصاح دانتى بفيرجيل :

ـ كن مرشدى أيها الاستاذ العظيم ، وخذ بيدى فى هـذه

المتاهة حتى أخرج منها على يديك ، ونجنى من هذه الضوارى التى تريد بى شرا وتقطع على طريق القمة الغراء ٠

فقال له فيرجيل :

ـ بودى أن أعينك ، ولكن لاسلطان لى على هذه الضوارى ، ولاسيما تلك الذئبة الجائعة ٠ ولاأرى لك الا أن تسلك طريقا آخر أعرف دروبه ، فاتبعنى أبلغ بك غايتك ، مخترقا وادى الظلمات الذى يأوى اليه من أفسدوا فى الارض ، واكتسبوا لانفسهم عذاب الابد فى جهنم !٠٠ حتى اذا اجتزت ذلك الوادى اللعين بلغت قمة المطهر ، الذى يكفر فيه الناجون من النار عن أوزارهم الهينة حينا من الدهر ، حتى اذا طهرهم الندم مما لحق بهم من أدران الدنيا وأوضارها ، كانوا أهلا للانتقال الى جنات النعيم ٠٠٠ ولا أكتمك أن العبور الى وادى الاطهار ومقام الابرار ليس مقسوما لى ـ وقد مت على الشرك وعبادة الاوثان ـ وانما سأسلمك عنده الى روح من تلك الارواح النقية التقية ، هو روح صاحبتك بياتريس ، التى أنعم الله عليها نعمة رضوانه ٠٠

وأصغى دانتى لكلام أستاذه فى رهبة وخشوع ، ثم قال له :

ـ شاعر الخلد ودرة الاجيال ، تقدمنى ، فانى على آثارك أينما تكون ٠٠

وانطلقا ٠٠٠

باب الجحيم

◆ **وكانت** ظلال المساء قد أخذت تخيم فوق الارض ، حين شرع دانتى فى اقتفاء أثر فيرجيل ، بادئا تلك الرحلة الى وادى العذاب ، حيث الانين والبكاء وصرير الاسنان ٠٠

وقد بدأ الرحلة صادق العزم ، ناشط الهمة ٠ فكان يترسم خطوات أستاذه ومرشده فيرجيل غير وان ولا متعثر ٠٠ بيد أن شجاعته لم تلبث أن خانته بعد قليل ، فتطرق الى نفسه الشك فى قدرته على اتمام الرحلة ، وجعل يلوم نفسه على تورطه

فى شوط غير مأمون العاقبة ، محفوف بالمكاره والمشاق .. ثم اشتد به التوجس ، حتى ثبطت همته غاية الثبوط ، فصاح بفيرجيل :

ـ أستاذى ! أخشى ما أخشاه أن تكون هذه الرحلة التى أقدمت عليها من قبيل الحمق والنزق ... فهلا صدقتنى القول ـ وأنت الحكيم الفطن ـ ماذا ينبغى أن أصنع ؟

ـ لقد غزا الخوف قلبك حتى ليوشك أن يعوقك عن مواصلة سيرك .. ولكنك اذا أصغيت لما أقوله لك تبددت مخاوفك كما تتبدد سحب الضباب أمام شعاع الشمس الدافق ! انى أيها الشاعر ما أتيت للاخذ بيدك من تلقاء نفسى . فقد كنت فى المكان الذى كتب لى فى الحياة الآخرة حين سمعت صوتا رقيقا عذب النغم ينادينى ، **فنظرت فاذا سيدة بارعة الجمال ، تلمع عيناها كأنهما نجمتان مضيئتان ، وقد أخذت تتوسل الى أن أخف لعون صاحبها الذى ضل طريقه فى مفازة مقفرة محفوفة بالاخطار ، وتساقطت الدموع كحبات اللؤلؤ على وجنتيها ، فلم أطق صبرا أمام ذلك الجمال الباكى ، وخففت الى نجدتك اكراما لها .. فلتعلم أن الدرب الذى سنسير فيه خال من الكواسر ، فلا خوف عليك . وليكن دافعك على السير الشاق ، وعزاؤك فيه ، ان بياتريس الحسناء معنية بأمرك ، مشغولة الفؤاد بمصيرك !**

وكان اسم بياتريس كافيا للقضاء على مخاوف دانتى وهواجسه ، فصاح بصوت قوى :

ـ امض بنا اذن أيها المعلم ، ولن تجدنى بعد الآن متخلفا ولا هيابا ..

وانطلقا مرة أخرى ، فى طريق تحف به الاشجار ، حتى وصلا الى باب كبير نقشت فوقه عبارة .. فتمهل دانتى ليقرأ هذه العبارة ، وارتعدت أوصاله حين وجدها تقول :

ـ أيها الداخلون من هذا الباب ، ودعوا عنده جميع الآمال !
ونظر دانتى الى مرشده الخالد متسائلا ، فقال له فيرجيل:
ـ هذا أيها الصديق باب الجحيم ...
ـ أى أستاذى ! يالها من كلمات قاسية مريرة هـذه التى كتبوها فوقه !
ـ لا خوف عليك ولا بأس ، فهات يدك واتبعنى ...
فوضع دانتى يده فى يد فيرجيل ، ودخلا من باب الجحيم !

عبيد الكسل !

◆ **وما** أن تجاوزا عتبة ذلك الباب حتى خيل الى دانتى أن الهواء قد صار مشحونا بالصراخ والانين والتوجع .. فمس ذلك كله قلب الشاعر ، ووقف ينتحب مشفقا ، والاشباح المعـولة تتناوح من حوله ، تعض البنان حينا ، وتتصادم وتتدافع حينا آخر .. فلما هدأ جأشه سأل فيرجيل :

ـ من هؤلاء الناس أيها المعلم ؟

ـ هؤلاء ياصاحبى من كانوا فى الدنيا عبيدا للكسـل ، فقعد بهم كسلهم عن فعل الخير وفعل الشر جميعا ، فقطعهم الوقت دون أن يقطعوه ، وعاشوا مشغولين بذات أنفسهم عن خدمة الله وخدمة الشيطان على السواء !

فزالت عندئذ من نفس دانتى عاطفة الشفقة عليهم ، ورأى فى حالتهم الراهنة صورة لحالهم فى دنياهم : حركة بلا هدف ، وتصادم وتدافع بغير ثمرة ، وحياة مضيعة فى الاباطيل .. وتبين دانتى بين هؤلاء الناس رجلا كان يوما قسيسا بسيطا ، ثم ارتفع الى مقام البابوية وعرف باسم «سيلستان» بابا روما .. بيد أنه لم يكن على شىء من الشجاعة أوالهمة للنهوض بأعبـاء مركزه السامى وتحمل تبعاته ، فرفض ذلك المنصب ـ نكوصا منه عن الجد والعناء ـ وآثر حياة الكسل والتبطل الى أن مات ..!

نهـــر الاكيرون

◆ **واستأنف** الشاعر ودليله سيرهما حتى وصلا الى نهـــر « الاكيرون » ، فاذا على شاطئه قارب يتولاه نوتى شيخ أشيب الشعر واللحية ، اسمه « شارون » • وكان لايكف عن عبور النهر بين ضفتيه جيئـة ورواحا • فلما اقترب من الشـاطىء ، راح الواقفون عليه من الاشباح يتباعدون عنـه ، وهو يرجمهم بقاسى القول ضاحكا منهم :

ـ انى حاملكم الى مكان لن ترجعوا منه أبدا ، ولن تبصروا فيه نور الشمس ! انه وادى الظلمات الذى تستعر فيه النـار ، ويشتد فيه الزمهرير ••

وأخذت الارواح تدخل فى ذلك القارب جماعات ، كارهة ، ولم تستطع واحدة منها أن تمتنع !•• فلما وقعت عين شارون على دانتى ، حمى وطيس غضبه •• وزمجر فى وجهه بصوت كالرعد : أن ابتعد وابرح هذا القارب !

فتدخل فيرجيل فى الامر ، وأفهم شارون أن دانتى مأمور بالعبور على وجه الاستـــثناء •• فقبل شارون عـــلى مضض أن يفسح لدانتى وفيرجيـــل مكانا فى قاربه • وبين فيرجيل لدانتى سبب غضبة شـــارون ، وكيف ان هذا النهر لايجوز لنفس حية أن تعبره !



وما أن انتهى فيرجيل من ذلك التبرير ، حتى ارعـــدت السماء وأبرقت، واهتزت الارض اهتزازا عنيفـــا ، نخـــر دانتى

على وجهه مصعوقا مذعورا ، وغشى عليه فى قاع الزورق ٠٠ الى أن أخرجته من غشيته قرقعة رعد قوية ، فاذا هو لايجد نفسه فى قارب شارون ، وانما على الضفة الاخرى ٠٠ على شفا هاوية عميقة ، تتصاعد منها أصوات غريبة !

المرج الاخضر ٠٠٠

◆ **كانت** تلك الهوة العميقة هى الجحيم ٠٠ وهى تنقسم الى طوابق ودرجات بعضها دون بعض : فى كل طبقة منها أهل خطيئة بعينها ٠ أما أول طبقاتها وأقربها الى وجه الارض فمأهولة بمن عاشوا فى عهد الوثنية قبل المسيح ــ ومنهم الشاعر فيرجيل ــ وهؤلاء لايقاسون فيها عذابا خاصا ، اذ ليس عليهم فى اثمهم وشركهم لوم ولا جناح ، لانه لا عقاب الا من بعد نذير وبشير ٠٠ وهكذا لايوجد فى تلك الطبقة زمهرير ، ولا زبانية ، ولا نار حامية ٠٠

وقد التقى الشاعر فى هذا المكان بأعلام العالم القديم وأبطاله المشهورين ، وكأنهم فى معسكر اعتقال ، يحال فيه بينهم وبين أمجاد النعيم وكفى ٠٠

وبعد أن قام الزائران بجولة فى هذا الطابق قال الشاعر فيرجيل لدانتى وقد اكفهر وجهه :

ــ آن لنا أن نهبط طبقة أخرى ٠٠

ــ اذا كان هذا الهبوط قد اكفهر له لونك يا أستاذى ، فكيف بى أنا ؟

ــ ما اكفهر لونى خوفا ، وانما هى الشفقة على من سأرى هناك ، مما يلقون !

وهبطا ٠٠ فلم تطرق أذن دانتى أصوات النحيب والبكاء التى صادفها فى الطابق السابق ، بيد أن الهواء كان يحمل الى سمعه شحنات من التنهدات ينوء بها قلبه ٠٠

وكانت تلك الطبقة حالكة الظلمة ، فلاح لهما على البعد

ضوء قوى من نار متوهجة ، واذ ذاك قال فيرجيل : « ان هـذه المنطقة المضيئة التى تلوح لك عن بعد يسكنها من كانت لهم فى الدنيا شهرة عريضة وصيت بعيد ...

ثم أقبل نحوهما أربعة أشباح ، يمشون فى كبرياء وترفع : أولهم سيد شعراء اليونان « هوميروس » ، صاحب الاليـاذة والاوديسة .. ومن ورائه «هوراس» و «أوفيد» و « لوقا » ، أعظم شعراء اللاتين بعد فيرجيل ..

وحيا الاربعة صاحبهم فيرجيل ، فقدمه فيرجيل اليهم. فلما عرفوا أنه شاعر تلطفوا معه فى الحديث .. فامتلأ دانتى زهـوا وسرورا بذلك الشرف العظيم !

ومشى الخالدون الخمسة ، ودانتى سادسهم ، يتحـدثون حديث الحكمة والفن .. حتى اقتربوا من قلعة كبيرة ، تحيط بها سبعة أسوار ، وخندق ماء .. فعبروا الخندق دون أن تبتـل لهم قدم ! ثم اجتازوا الاســوار السبعة ، فرأى دانتى مرجا فسيحا أخضر ، لم ير لخضرته نظيرا فى ربوع فلورنسا ذاتها.. وقد أقام فى ذلك المرج اليانع كثيرون من أعلام الدنيـا ، على رؤوسهم التيجان ، وفى حركاتهم وقار وسكينة تنبى عن علو المكانة .. وكان من بين هؤلاء : هكتور ، وكبار قواد التاريخ ، وأفلاطون ، وسقراط ، وأرسطو ، وكبار الفلاسفة والمفكرين.. فانضم الاشباح الاربعة الى ذلك الفريق المجيد ، وتركهم فيرجيل ودانتى ليستأنفا رحلتهما فى ربوع الجحيم ..

الحمـــأة ..!

◆ **وكانت** الطبقة التالية أضيق من سابقتها ، ولكنها أحفل منها بأنواع العذاب . وعند مدخل الطبقة وحش اسمه مينوس، نصفه دابة ونصفه بشر ، وله ذيل كالسوط ، يلهب به ضحاياه ! فما أن تمثل كل روح أمامه ، حتى ينطق مينوس بعقوبتها على طريقته الخاصة ، فان كان مقضيا عليها بالمقام فى الطبقة الثانية ضربها

بذيله ضربتين ، وان كانت ستقيم فى الطبقة الثالثة ضربها ثلاث ضربات ، وهلم جرا الى تسع ضربات لاهل الطبقة التاسعة ، وهى الدرك الاسفل من الجحيم ٠٠!

كليوباترة ٠٠ فى الجحيم !

فلما رأى مينوس دانتى راح يخوفه من الدخول ، وينذره بأهوال شديدة ٠٠ بيد أن فيرجيل تدخل فى الحديث ، فسمح لهما مينوس بالدخول ٠ واذا اعصار شديد يجتاح الطبقة الثانية ، فيدحرج الارواح ويعبث بها ، فتئن له وتتوجع !

ورأى دانتى فى هذه الطبقة كليوباترا ملكة مصر ، وهيلانة الاسبرطية التى كانت سببا فى نشوب الحرب بين اليونان وطروادة ، وديدون ملكة قرطاجنة ٠٠ وناداهن فيرجيل فتحدث اليهن دانتى حديثا شائقا ، وهو الذى طالما قرأ قصصهن وسيرهن فى متون التاريخ ٠٠٠

وفجأة هبت ريح عاصفة طوحت بهن من أمامه ٠٠٠ فانتقل الشاعران بعد ذلك الى الطبقة الثالثة من وادى العذاب ، وهى التى يقيم بها ذوو الشراهة ٠٠!

والعقاب الذى فرض على هؤلاء من جنس رذيلتهم : فهم فى حمأة من طين مثلوج ، يتساقط عليهم البرد والمطر والثلج بغير انقطاع ، وينهش لحمهم الكلب «سيربير» ذو الرؤوس الثلاثة والعينين اللتين كأنهما شعلتان من نار ٠٠ وهو لاينفك يصم آذانهم بنباحه المزعج اللعين ٠٠

وما أن لمح الكلب المخيف الشاعرين حتى فتح أفواهه الثلاثة الرهيبة وهم بالانقضاض عليهما ليمزقهما اربا ، فانحنى فيرجيل بسرعة وأخذ حفنة من التراب قذفه بها فى أفواهه المفتوحة ٠٠ فهدأ وأطبقها ، وتركهما يمران بسلام ٠٠ حتى وصلا الى الطبقة الرابعة ٠

وعند مدخل هذه الطبقة رأيا آله المال المسمى «بلوتوس» ،

الذى راح يقذف الشاعرين بسباب مقذع وتهـــديد مرعب ، فانتهره فيرجيل قائلا له : « اخرس ! » ٠٠ واذ ذاك ســـقط «بلوتوس» على وجهه وتركهما يمران بسلام ، فرأت عين دانتى منظرا غريبا جدا : **وجد فى ذلك المكان من عبدوا المال ، كما وجد فيه من أسرفوا فى انفاقه بغير حساب ٠٠ فأيقن أن المبذرين ، والبخلاء والمقترين ، جميعهم من اخوان الشيطان !**

وكان هؤلاء وهؤلاء فريقين : المبذرون فى جانب والمقترون فى جانب آخر ، وهم يتقاذفون فيما بينهم قطعا كبيرة من جلمود الصخر ، ويتبادلون التهكم والسخرية من بعضهم البعض ، كل يسفه الآخر ويلومه على سوء فعله ورأيه !

◆ **ثم** انصرف الشاعران بعد ذلك الى الطبقة الخامسة ، فاذا مستنقع عفن يصب فى بحيرة أشد منه عفونة ٠ وتراءت لدانتى فى هذا المستنقع أرواح لا عدد لها ، تتضارب ضربا موجعا فى حقد ولدد ٠ وهؤلاء هم من كانوا فى دنياهم عبيـــدا للغضب والضغائن ٠٠ !

وظل الشاعران سائرين على شاطىء ذلك المستنقع حتى وصلا الى برج يشرف على البحيرة التى يصب فيها ٠ ويقـــابله برج مثله على ضفة البحيرة الاخـــرى ٠ وفى البرجين ســـكان يتبادلون الاشارات الضوئية ٠٠ ونادى فيرجيل نوتيـــا يمخـــر البحيرة فى زورقه ، وطلب اليـــه أن يحملهما معه ، فأطاع ٠ وعندئذ تبين دانتى أن البحيرة العفنة مملوءة بأرواح من كانوا فى الدنيا معروفين بالكبرياء والغطرسة وسوء الخلق !

الابواب المقفـــلة

◆ **وحملهما** الزورق الى مدينة « ديته » ، التى كان ينبغى أن يخترقها الشاعران كي يصلا الى طبقات الجحيم السفلى ٠٠ وكانت أنوار قلعة هذه المدينة وحصنها الشامخ تلمع وتتلألأ فى ظلمات الجحيم ، ثم زاد توهجها حينما اقتربا ، فكأن المدينـــة كلهـــا شعلة واحدة من اللهب !

وكان النوتى ـ واسمه فليجياس ـ يوجه ركاب زورقه الى الخندق المحيط بالمدينة ، فألفى الشاعران نفسيهما عند أقدام سور شاهق الارتفاع ، قوى صلد كأنه شيد من فولاذ ، بحيث لايقوى أحد على التسلل الى مدينة « ديته » ـ عاصمة الطبقة السادسة من طوابق الجحيم ـ الا اذا كان يحمل رخصة خاصة ، أو كان ذا نفوذ !

وخيل الى دانتى أن ذلك السور خلو من ثغرة أو موضع لباب ، فدلهما النوتى فيجياس على موضع الباب الكبير ، وأنزلهما أمامه ثم انصرف عائدا ..

وقف الشاعران أمام الباب المقفل لايدريان كيف السبيل الى الدخول ، فراحا يجيلان الطرف فى الاسوار العالية ، والابراج المتوهجة القانية لشدة ماتعانيه من الحرارة العالية .. فرأيا على قمم تلك الابراج أرواحا أخذ منها الغضب كل مأخذ ، واذا تلك الارواح تصرخ فى دانتى مزمجرة بصوت كالرعد :

ـ من هذا البشر الحى الذى تجاسر على التسلل الى مملكة الموتى ؟

فخشى فيرجيل على تلميذه من شرها وأذاها ، وطلب الى الارواح أن يخاطبها على انفراد ، فأذنت .. وقالت له :

ـ تعال اذن وحدك ، فأنت مثلنا ، أما هذا الانسان الجسور فليرجع من حيث أتى !

فارتعدت أوصال دانتى خوفا : اذ ماذا تراه فاعلا ؟ وكيف يعود وحده بغير مرشده الامين ؟ وتعلق بأستاذه قائلا :

ـ اى أستاذى ! لاتتخل عنى ، واذا لم يكن من العودة بد ، فلنعد كما جئنا معا !

فقال له فيرجيل ، مهدئا من روعه :

ـ لا بأس عليك . انتظرنى هنا ، وسوف أعود اليك حتما ، فلن أتركك وحدك فى هذا المكان الرهيب ...

ثم تقدم فيرجيل نحو المدينة ، فأسرعت الشياطين والارواح النجسة الى لقائه ، وفتحت له الابواب . ولم يسمع دانتى مادار بين الطرفين من مناقشة ، ولكنه رأى الشياطين بعد برهة وجيزة تغلق الابواب فى وجه الشاعر العظيم ، فيعود اليه وجلا مطرق الرأس ، بحيث عظم الامر على دانتى . بيد أن فيرجيل طمأنه ، وأكد له أن سلطانا عظيما من سلاطين الآخرة سيخف الى نجدتهما ويجبر الشياطين على السماح لهما بدخول المدينة !

نساء .. وثعابين !

◆ **وعندئذ** سمع دانتى أصواتا ولغطا شديدا على قمم الابراج ، فرفع عينيه متوجسا .. فرأى الزبانية ، ورأى معهم ثلاثة وجوه جديدة لم يرها من قبل : وجوه ثلاثة نساء ، هن ربات الغضب . وقد التفت حول خصورهن أفعى طويلة ، لهـــا ثلاثة رؤوس . وأما شعرهن فثعابين صغيرة لاينقطع لها فحيح ، وتقذف عيونها بالشرر ، وأفواهها وألسنتها باللهب ! وهن لايكففن عن الصياح والصراخ .. حتى لقد خاف دانتى ، وغشيته رعدة ، فتعـــلق بفيرجيل كما يتعلق الطفل بأمه ساعة الخطر ! فلما رأين فزعه ، جعلن يصرخن قائلات :

ـ أسرعى أيتها «المديز» ، أسرعى وامسخى هـــذا البشر تمثالا من الصخر !

و «المديز» ربة من ربات الاساطير ، لهـــا ذلك السلطان الهائل الذى يجعل كل من نظر اليها ينقلب حجرا على الصورة التى كان فيها حين نظر اليها !.. فلما سمع فيرجيل تلك الصيحة ، أدرك أى خطر ماحق أحدق بصاحبه ، فأمره أن يستدبر السور ، وأن يغمض عينيه . ثم غطى له عينيه بكفيه زيادة فى الحيطة ..!

وفيما هما على هذه الحال من الرعب الشديد ، ترامى الى سمعهما صوت ضجة عالية صادرة من شـــاطىء البحـــيرة التى اضطربت أمواهها وتدافعت أمواجها كأنما هبت عليها عاصـــفة

عاتية ٠٠ فرفع فيرجيل يديه عن عينى دانتى وأمره بأن ينظر الى البحيرة ٠٠ فهدأ روع الشاعر ، واطمأن ، وسرت فى نفسه فرحة كفرحة الطفل الصغير بالنجاة ، فقد رأى على وجه البحيرة سلطانا من سلاطين العالم الآخر يمشى كأنه يمشى على اليابسة ! فلما دنا من الشاطىء تبين دانتى عظم مهابته ، فانطرح على الارض حتى مست جبهته التراب ٠٠!

ورأت الارواح النجسة من أعلى الابراج ذلك الوافد العظيم ، فولت منه فرارا وقد أخذ منها الرعب كل مأخذ ٠٠ بينما تقدم هو الى باب المدينة فمسه بعصا صغيرة فى يده ، فانفتح ذلك الباب على مصراعيه فورا ٠٠ ثم عاد أدراجه عبر البحيرة دون أن يوجه الى الشاعرين كلمة واحدة !٠٠ فلما اختفى عن ناظريهما دخلا من باب المدينة ، عاصمة الطبقة السادسة من طوابق جهنم ، حيث يعذب الاثمة المعتدون ٠٠

جهنم السادسة ٠٠ للفاسقين !

ونظر الشاعران حولهما ، فاذا المدينة من وراء تلك الاسوار العالية المحيطة بها مقفرة خالية ، لا شوارع فيها ، ولا منازل ٠٠ وانما هى صحراء جرداء ، حافلة بالقبور المنثورة ، التى يخرج من كل قبر منها عمود مستعر من اللهب ، لايخبو له أوار !

وفى هذه النار الحامية يصب العذاب على من كانوا فى دنياهم يغلبون شهوة الجسد على مطالب الروح ، فحق عليهم اليوم أن تشوى هذه الاجساد التى استعبدتهم ، وأن تهان بعد أن دللوها وقتلوا فى سبيل لذتها ومتعتها أسمى ماوهب الله الانسان : العقل الذكى والفؤاد النقى !

ثم خرج الشاعران بعد ذلك من المدينة ، ليهبطا الى الطبقة السابعة من طبقات الجحيم ٠٠

◆ **ووصلا** الى فجوة استقر فيها مخلوق غريب الشكل بشع

التكوين ، خليط شائه من الثور والانسان ، هو الوحش الموكل بحراسة المنفذ الى الطبقة السابعة من طوابق جهنم ، واسـمه « مينوتور » !

ولجأ فيرجيل الى وسيلة طريفة لابعاده عن موقف حراسته ، فقد شهر فى وجهه ـ لا سيفا ولا خنجرا ولا رمحا ـ بل أسنة أحد من هذه كلها وأبعد مرمى : شهر فى وجه الوحش نصف الآدمى لسانه القاطع ، فجعل يناوشه بقوارص الكلام ، ولاذع السخرية ٠٠ حتى اشتد الامر على «مينوتور» فنأى بنفسـه لينجو من هذه القوارع ، وترك السبيل أمامهما ممهدا مفتوحا٠٠ فدخلا ٠

نهـر الدم

ولم يكن الامر بعد ذلك سهلا ، فالطريق عبارة عن مهبط شديد الانحدار ، كان عليهما أن يتعلقا للنزول فى شـعابه بالصخور الناتئة ٠ وكان ذلك على صعوبته هينا جـدا ، لولا الحجارة التى كانت تتهاوى من حولهما كالطوفان ٠٠ فما أهول ماتقاذف قلب دانتى ساعتئذ من الخوف ، حتى كادت يداه تخونانه أكثر من مرة ، لولا ماكان فيرجيل يثبت به جنانه من كلامه البليغ!

ووصلا آخر الامر الى قرار الهاوية ، فاذا تحت أقدامهمـا يجرى نهر قانى اللون ، نهر من الدم ٠٠ يضطرب فيـه كل من اقترف فى دنياه جريمة قتل ، ذهبت ضحيتها النفس التى حرم الله قتلها !

وعلى ضفة هذا النهر حرس من الرماة يمنعون أولئـك المجرمين من الخروج منه اذا حاول أحدهم الهرب ٠ وانهم لحراس عجيب أمرهم ، غريب خلقهم ، فنصفهم الاعلى بشر ونصـفهم الاسفل جياد وحشية ! وانهم لعلى يقظة ومهارة لاتوصفان : فما من مجرم أخرج من النهر رأسه وكتفيه الأأصابه سهم مريش فى عنقه !٠٠

فلما أبصروا الشاعرين ، تقدم أحدهم اليهما صائحا :

ـ قفا ! من أنتما ؟ ومن أين جئتما ؟ اذا تقدمتما خطوة واحدة رميتكما !

فأفهمه فيرجيل فى عبارة مهذبة سر حضورهما بدعوة من روح طاهرة تقيم فى نعيم الاطهار الابرار ٠ وطلب أن يصحبهما فى بقية رحلتهما مرشد ، فأجيب الى ذلك الطلب ، وندب حارس من هؤلاء صحبهما فى نزهتهما على طول الشاطىء ٠٠ وخلالها رأى دانتى أشخاصا اشتهروا فى حياتهم بارتكاب الجرائم وسفك الدماء ٠٠

وكان ذلك النهر متفاوت الغور ، ففيه مواضع يصل الدم فيها الى جباه المعذبين ٠٠ ومواضع أخرى يقل غورها حتى لايبلغ الدم أكثر من الخاصرة ٠٠ ومواضع فى نهاية مجراه لايغمر فيها الا الاقدام ٠٠!

وفى هذا الموضع عبر الشاعران النهر بارشاد مرافقهما الحارس ، أما هو فتركهما وعاد أدراجه ٠٠

الغابة الحية

◆ **ولم تكن** الضفة الاخرى لذلك النهر أقل رهبة أو أيسر هولا : فقد ترامت منها أمامهما غابة لم ير دانتى لها على الارض مثيلا ! فهى شديدة الالتفاف والكثافة ـ حتى لايتبين المرء فيها مسلكا أو دربا ـ وأوراق أشجارها المتلاصقة حالكة السواد ، فى لون الموت ، لا خضرة فيها تنبىء عن الحياة ٠٠ وأما أغصانها فمعقدة ملتوية ، لاتحمل زهرا ولا ثمرا ، بل شوكا حادا مسموما ! ولايسمع فى أرجائها تغريد الطيور البهيج ، بل أنين موجع تنفطر له القلوب ، وعواء بوم قابض للصدور ٠٠ فضلا عن حشرجة «الهاربين» ، وهى مخلوقات ممسوخة لها حواصل الطيور وأجنحتها ، وأجساد النساء وأثداؤهن ، ووجوه الرجال وشواربهم ولحاهم !

وقد كانت هذه المخلوقات معلقة بأغصان الغابة ، فخـاف دانتي وتردد في الدخول ، لولا تشجيع فيرجيل ٠٠ فلما أحاطت به الاشجار والظلمات ، خيل اليه أن الهواء يحمل الى أذنيـه عويلا ونحيبا ، فقال له فيرجيل :

ـ اكسر فرعا من أى شجرة مما حولك ، تعرف سبب هذا الذى عجبت له ٠

ففعل دانتى ما أشار به عليه أستاذه ، وكسر فرعا قريبـا منه ، فاذا شىء غريب يقع : فقد خرج من الفرع صوت ينم عن الالم ، قال له : « **لماذا تمزقنى ؟ هل خلا قلبك من الرحمة ؟** » ٠٠ وتساقطت على يده قطرات من دم أسود ٠٠ فقال له فيرجيل :

ـ ان كل الذى حولك من الشجر والفروع كان فى الدنيـا بشرا سويا !

فرمى دانتى الفرع من يده ، وقد غشيته رعدة ، وسـد أذنيه بيديه حتى لايسمع البكاء والانين الصادرين عما جنتـه يده ٠٠ ثم أسرع الشاعران مبتعدين ٠ فلما هدأ دانتى قال له فيرجيل :

ـ هذه غابة المنتحرين ، الذين قتلوا أنفسهم بأيديهم هـربا من الحياة ٠٠ فكتبت عليهم حياة النبات ، لايبرحونها أبدا ٠٠ !

جهنم الثامنة ٠٠ للغادرين !

◆ **وخرج** الشاعران من الغابة الحية ، غابة المنتحرين ، بعد سير طويل ران عليهما خلاله صمت الاسى والحزن عـلى من انتحروا من أعلام الاساتذة والشعراء ، الذين طالما عرفهم دانتى وأحبهم فى مطالعاته أو صحبهم فى صدر شبابه ٠٠

فلما استدبر الشاعران تلك الغابة ، وجدا نفسيهما على شفا هاوية أشد هولا من كل ما مر بهما من قبل ٠٠ فهى أشبه بالشلال الذى يحول ماؤه المنحدر بقوة دون السباحة أوالملاحة ! وفى غور الهاوية مكان يسمى «مالبولج» ، فى الطبقة الثامنة من الجحيم ، هو منزل « أهل الغدر » ٠٠

وقال فيرجيل لدانتى : «اخلع حزامك هذا واعطنيه !» •• فأعطاه دانتى الحزام ، فقذف به فيرجيل الى أعماق الهاوية ! وبعد لحظات ظهر على وجه الشلال ، سابحا من أسفل الى أعلى ، مخلوق وحشى فظيع الخلقة ، لايملك أشجع البشر أن يرتعد فزعا لرؤياه ! •• انه «جيريون» ، الوحش الخرافى ، جسمه جسم حوت ، وذراعاه وصدره ووجهه ولحيته جوارح بشر ، وجناحاه كجناحى خفاش ضخم •• أما لونهما فنارى !

وأشار فيرجيل الى ذلك الوحش أن اقترب منى ، فاقترب جيريون حتى وضع رأسه على حافة الهاوية ، وذيله فى الماء • ثم طلب فيرجيل الى دانتى أن يبتعد قليلا ريثما يسر الى جيريون بشىء • فلما أسر اليه فيرجيل بكلمة السر ، قبل جيريون أن يحمل الشاعرين على ظهره الى قاع الهوة الملعونة ••!

ورأى دانتى أستاذه ومرشده يتربع فوق ظهر جيريون الهائل المخيف ، ففزع وخاف أن يحذو حذوه ، فقال له فيرجيل : تشجع ، لابد مما ليس منه بد • واجلس أمامى ، حتى لاتتعرض لاذى ذيل جيريون الشائك ، ولا خوف عليك فأنت هنا حتى ختام الرحلة فى أمان ••! »

فصدع دانتى بالامر ، ولكنه كان والحق يقال واجف القلب• ولا خجل ولا غرابة ، فما كان ذلك المركب مما يطمئن اليه انسان، ولاسيما عند الهبوط الى مثل ذلك القرار ، وفى شلال عنيف التيار !

وخجل دانتى أن يطلب الى فيرجيل حمايته بذراعيه من السقوط ، ولكن فيرجيل فعل ذلك من تلقاء نفسه ، واحتضنه احتضانا شديدا افرخ له روعه وذهب عنه بعض مايلقى من فزع شديد ••

وتحرك «جيريون» متمهلا مترفقا ، ثم غاص بهما ، فامتلأت

أذناهما بأصوات الانين والنواح ، ولاسيما حين وصل بهما الى «مالبولج» ، مقر الزيف واللعنة والاسفاف !٠٠ والواقع أن هذا المكان كان عبارة عن شوارع سفلية ، أوخنادق ، وأنفـــاق ، وحفر ٠٠ فنزل الشاعران عن ظهر مركبهما المخيف وسارا فى درب يمر ببعض هذه الحفـــائر ، وكان فى كل منها آلاف من الاشرار الذين كانت صفتهم فى الدنيا : الغدر والخداع والايقاع بالناس وخيانة الامانة !

نهاية اللصوص والمختلسين !

وعن لدانتى أن ينزل بنفسه الى بعض تلك الحفـــر ، فلم يملك نفسه من البكاء لهول مارأى من ألوان العذاب والبلاء ، فلم يجد أستاذه وهاديه فيرجيل بدا من حمله على ذراعيه كأنه طفـل صغير حتى ارتقى به قنطرة تعلو فوق ذلك المكان الكريه !

وكانت هذه القنطرة تشرف على الحفرة المخصصـــة لمن سرقوا مال الدولة ، واستغلوا نفوذهم فى نهب الشعب والخزانة العامة ، أو اختلسوا أموال من وثقوا بهم من الاصـــدقاء وذوى القربى !٠٠ وهذه الحفـــرة طافحة بالطـــين المتعفن ، فى درجة الغليان ٠ وعلى حافتها حراس أشداء من الزبانية ، كلما هم مجرم بالهرب من ذلك العذاب ردوه اليه بوخز الحراب !

وجعل دانتى ينظر الى هذا كله وهو يتألم ويرتعد اشفاقا مما يرى ، الى أن نبهته صرخة من أستاذه ٠٠ فنظر ، فاذا شيطان من سلاطين الجحيم يحمل لصا حديث الوصـــول من قدميـــه ، ورأسه الى أسفل ، فيلقى به على ذلك النحو فى الحفرة التى يغلى طينها ، ثم ينطلق ليحضر سواه ٠٠ **فما أكثر لصوص الدول ، وخائنى أمانة الصداقة !**

وانتقل الشاعران بعد ذلك الى حفرة أخـــرى ، يسكنها المراؤون والمنافقون ، وقد ارتدوا ثيابا فاخرة من الارجوان المذهب يرفلون فيها كأنهم ملوك ـ وان كانت بطانتها من الرصـــاص

الثقيل ! - وهم مكلفون بارتداء هذه الدروع التى تثقلهم وينوءون بها ، كناية عن مظهرهم الجميل وباطنهم الرخيص الغث ٠٠!

وفى حفرة ثالثة جمع من أكلوا أموال اليتامى والارامل ، لباسهم من حديد محمى ، وأكلهم من العلقم ، جزاء وفاقا لآثامهم ٠٠!

عقاب يهوذا ٠٠ وابليس !

◆ **وأخيرا** غادر الشاعران هذه الحفر والخنادق الرهيبة ، وتأهبا للهبوط الى الطبقة التاسعة ، أدنى طبقات الجحيم ٠٠ وفيما هما يبحثان عن المدخل الى هذا الدرك الاخير ، سمع دانتى صوتا يزرى بقصف الرعد ، فنظر حوله كمن يبحث عن مصدر ذلك الصوت ، فلم يتبين الأبراجا عالية عن بعد ، فسأل فيرجيل قائلا :

- أستاذى ، ماهذه المدينة ذات الابراج ؟

- ليست هذه أبراجا ياصاحبى ، فان الضباب الكثيف هو الذى خيل اليك أنك ترى أبراجا ٠ ولو نظرت عن كثب لتبينت أنها عمالقة !

وأخذ بيده ليقوى من عزمه ، ثم اقتربا من تلك المردة ، وطلب فيرجيل الى أحدها أن يهبط بهما الى الطبقة السفلى من جهنم ٠ فماكان من ذلك المارد الا أن انحنى على الارض ، وتناول الشاعرين معا بين كفيه الجهنميين ، ثم رفعهما فى الهواء ليضعهما بعد حين على شاطىء بحيرة متجمدة ، هى آخر أغوار النار ، وفيها أخبث صنوف الاشرار ٠٠ وعلى رأسهم يهوذا الاسخريوطى ، حوارى المسيح الخائن الذى باعه بثلاثين شاقلا من الفضة لاعدائه !

وعميد هذه الطبقة هو كبير الشياطين «ابليس» ، الذى يرفرف لواؤه فوق البحيرة المتجمدة ٠ وهو أطول المردة والعمالقة طرا ، حتى ليزرى بالجبل الشامخ !٠٠ وأما ألوان العذاب فى هذا الدرك فانها ممايعجز اللسان عن وصفه ، حتى ان الشاعر

لم يقدر على تفصيله ٠٠ لان مجرد تذكر هذه الاهوال يجمد دماءه فى عروقه رعبا !

كيف لا وقد خر دانتى لمرآها مغشيا عليه ؟

المخــرج ٠٠٠

◆ **ولما** رأى فيرجيل اغماء دانتى ، حمله على ظهره وتسلق به جسد ابليس ، حتى اذا أفاق دانتى من غشيته ، وجد نفسه على أرض غير أرض وادى الظلال والظلمات : فثمة نور ساطع ، لا من الشمس ، بل النجوم ، تتراءى فى سماء صافية الاديم ٠٠!

وهكذا علم دانتى أن رحــلة الجحيم قد انتهت ، وانه مقبل عما قريب على دخول المطهر ، الذى يتوسط مقام الاشرار ومقام الاطهار الابرار ٠٠٠

وفى العدد القادم أقدم لك باذن الله قصة المطهر !

نجـــا من الجحيم !

◆ **كان** المغنى العـــالمى « بنيامينو جيلى » يؤدى دوره ذات ليلة فى أوبرا (فاوست) المشهورة ، على مسرح دار أوبرا بوسطن بأمريكا ٠٠ وكان بين مناظر الرواية منظر يقود فيه الشيطان الشاب (فاوست) الى جهنم ٠٠ فلمـــا فتح المغنى ـ على المسرح ـ الباب المؤدى الى الجحيم ، وشرع يغوص وراءه فى طريقه الى هنــاك ، تعطل الجهــاز الذى يحرك مناظر المسرح ٠٠ فلم يتمكن المغنى من الهبوط الى النهاية ، رغم محاولاته المتكررة !٠٠ واذ ذاك انبعث من «أعلى التياترو» صوت متفرج ايرلندى ظريف يصـــيح فرحا : « الحمد لله ، لقد نجوت ٠٠ فان جهنم قد امتلأت حتى آخرها ! »



فن الباليه ..

◆ الباليه – أى الرقص الايقاعى – هو فن التعبير عن الافكار باليدين ، والقدمين ، وحركات الجسم المتناسقة .. بدلا من النطق باللسان أو التعبير بالاصوات والبيان

وهو ارقى الوان الرقص التمثيلى – أو التمثيل الراقص ! – لانه تمثيل يخاطب نزعة الجمال فى الانسان دون أن يثير الغرائز أو يحرك الشهوات .. وهو اعقد أنواع الرقص جميعا لانه يعتمد على الحركات وحدها ، دون معاونة من لفظ بليغ .. أو القاء مؤثر .. أو صوت جذاب ! .. ثم هو أقسى انواع الرقص أو التمثيل ، لانه حركة دائبة لا تعرف الراحة أو الاستكانة .. وأكثر خطواته انما هى سير سريع على «اصابع» القدمين ، متجاوب مع انغام الموسيقى .. !

هـــذا الباليه ..

◆ وقصة الباليه التى اقدمها لك اليوم ، هى قصة من فصلين كتبها الروائى الفرنسى « تيوفيل جوتييه » ، بايحاء فكرة للشاعر الالمانى المبدع «هاينى» .. ووضع موسيقاها «أدولف آدم» .. وقد مثلت لاول مرة فى باريس على مسرح «الاكاديمى رويال» فى ٢٨ يونية سنة ١٨٤١ .. وفى لندن على مسرح «صاحبة الجلالة» فى ١٢ مارس سنة ١٨٤٢ .. وفى سانت بطرسبرج (ليننجراد) بروسيا على مسرح «مارينسكى» سنة ١٩٠٣ – وقد قامت بدور البطلة «جيزيل» يومئذ الراقصة العالمية «انا بافلوفا» ، التى مثلت الدور بعد ذلك على مسرح كوفنت جاردن بلندن سنة ١٩٢٥ . ومنذ ذلك التاريخ تعاقبت على الاضطلاع بدور جيزيل أشهر راقصات الباليه فى العالم أجمع ..

— ١ —

◆ **نحن** فى قرية من القرى الصغيرة الجميلة المتناثرة فى مناطق الغابات والجبال باقليم « الراين » الالمانى ، حيث ماتزال تتداول بين القرويين البسطاء – فى بداية القرن التاسع عشر – أساطير غامضة عن « جنيات » وأشباح خطرة ماكرة تظهر فى ممرات الغابة المنعزلة بعد هبوط الظلام ، وخاصة فيما بين منتصف الليل والساعة الرابعة صباحا !

وقد كانت من أغرب تلك الاساطير وأروجها أسطورة حوريات الغابة ، وهن أشباح طائفة من العذارى الجميلات اللواتى هجرهن عشاقهن ، فحزت الخديعة فى نفوسهن ومتن غما وحزنا قبل أن تدق لهن أجراس الزفاف !٠٠ وكانت أشباح هؤلاء المنتحرات – وعلى وجه الخصوص أولئك اللواتى كن يعشقن الرقص فى حياتهن – تقضى أكثر ساعات الليل فى الرقص فى الغابة ، فى مجموعات وتشكيلات رائعة ، وأجسامهن « الاثيريه » تتماوج فوق الخضرة الزمردية المرصعة بالزهور ٠٠

ولكن برغم جمالهن كانت أولئك الحوريات العذارى يحقدن حقدا خاصا قاتلا على جميع الاحياء من الذكور ، بحيث لم يكن يبقى منهم على قيد الحياة أى شاب توقعه المصادفة فى طريق جماعة منهن يرقصن فى ضوء القمر فى ساعة متأخرة من الليل، وهو بمفرده أعزل من كل حماية ! ٠٠ اذ كانت الاشباح سرعان ما تحيط به وتجبره على أن يشاركها فى رقصها الدائرى السريع حتى تخور قواه فى النهاية ويسقط على الارض ٠٠ ميتا !

ومن ثم لم يكن غريبا أن يحجم أكثر شباب تلك القرية عن البقاء فى ممرات الغابة المسكونة بعد منتصف الليل ! حتى الفتيات كان أهاليهن يحذرنهن كل حين من التردد على تلك البقاع الخطرة، لا سيما اذا كن من المعروفات بميلهن الى الرقص ، خشية أن

يصبحن بدورهن من الجنيات فيما لو شاءت الاقدار أن يمتن فى شبابهن كسيرات القلوب !

وبين هؤلاء الفتيات اللواتى كن يسمعن من ذويهن دائما ذلك التحذير عذراء فى مقتبل العمر تدعى «جيزيل» ، عرفت بأنهـا أجمل فتيات القرية وأبرعهن فى الرقص على الاطلاق ! وكانت هذه الحسناء القروية من الجمال والفتنة بحيث كان لها عاشقان بدلا من واحد ، أحدهم دليل من أدلاء الغابة يدعى «هيلاريون» كان قد تدله فى حب جيزيل منذ زمن طويل وداعبه الامل فى أن يفوز بالزواج منها ذات يوم ٠٠ لكنه لاحظ فى الايام الاخيرة ان الفتاة لم تعد تأبه له مثلما كانت تفعل فى البداية ، وأن له ـ لابد ـ غريما !

وكانت هذه هى الحقيقة ٠٠ فان جيزيل الحسناء قد ظفرت أخيرا بالتفات واعجاب الشاب الوسيم «ألبرخت» ، دوقسيلزيا، الذى يشرف قصره الشامخ على القرية ٠٠ وسرعان ما وقع الفتى فى هواها فأحبها أعمق الحب وأقواه ٠ لكن حبه كان بلا أمل ، أو كانت تعترضه على الاقل صعاب كثيرة : أولها أنه كان خطيبا رسميا للاميرة « باتيلد » أميرة كورلاند ٠٠ وكان قد تحـدد لقرانهما فعلا موعد قريب ٠٠ وثانى تلك الصعاب أنه كان يدرك حق الادراك أن مكانته الاجتماعية الرفيعة لا تسمح له بالزواج من فتاة قروية !

وقدر الفتى أن العذراء المتواضعة سوف تأبى أن تلقاه باعتباره «دوق» المقاطعة ذا الحول والطول والجاه الرفيع ٠٠ وفى الوقت ذاته أراد أن يكتم غرامه هذا عن الانظار والاسـماع فى تلك الآونة ٠٠ ومن ثم رسم ـ بمعاونة تابعه ووصيفه الخاص المخلص ويلفريد ـ خطة « لاقتحام » حياة محبوبته الحسناء فى ظروف تنكرية ! ٠٠ فاستأجر كوخا صغيرا فى مواجهة البيت العتيق الذى تقطنه جيزيل وأمها « بيرت » ، وصار يذهب اليه كل حين

متخفيا – كى يبدل فيه ثيابه الرسمية بزى فلاح بسيط – ثم يخرج على هذه الصورة كى يخطب ود فاتنته جيزيل ٠٠ وبالفعل أفلح الفتى عن طريق هذا المظهر التنكرى فى التعرف الى حسنائه المرموقة، مقدما نفسه اليها باسم «لويس»، الشاب الريفى الساذج!

وبدا القادم الجديد جذاب الطلعة فى نظر جيزيل ، فأعجبت به ٠٠ ثم أحبته حبا ملك عليها حواسها ٠٠ والتقى العاشقان مرارا ، فكان هناؤهما يتزايد روعة ونشوة فى كل لقاء ! وصارت جيزيل ترقص الآن أكثر من ذى قبل، من فرط غبطتها وفرحتها . وسرها أن تكتشف فى «لويس» بدوره راقصا بارعا يفوق سائر من راقصتهم من شباب القرية رشاقة وخفة ٠٠

وتنسم العاشق الآخر «هيلاريون» رائحة هذا الغرام الجديد، فاشتعل قلبه غيرة وحقدا ، ولا سيما حين كان يرى حبيبته جيزيل بصحبة ذلك الغريب لويس ٠٠ ولم يلبث أن داخلته الشكوك فيما يتصل بهذا الشاب الذى ظهر فى أفق القرية فجأة دون أن يدرى أحد من أين جاء ، وأمدته غيرته وشكوكه بالعزم الكافى للتضحية بأكثر وقته فى مراقبة هذا الدخيل البغيض الذى أفسد عليه أمره وسلبه فى مثل لمح البصر قلب محبوبته !

وكان «ويلفريد» تابع الدوق يحس فى قرارة نفسه أن غرام سيده لن يظل طويلا سرا خافيا ، وأنه لن يلبث أن ينكشف فيودى بصاحبه الى كارثة محققة ٠٠ فحاول اقناع سيده بالاقلاع عن لعبته الخطرة ، لكن هذا أبى أن يصغى الى نصيحته الحكيمة ٠٠ وأمره غاضبا بالعودة الى القصر !

وانتظر «البريخت» خروج جيزيل من بيتها لتلقاه فى موعدهما المضروب ٠٠ فلما ظهرت العذراء الفاتنة تلقاها صاحبها بشغف حار ، وجعل العاشقان يرقصان ويثرثران وقد بلغت بهما النشوة منتهاها ٠٠ فى الوقت الذى كان فيه العاشق المنافس «هيلاريون» يكمن لهما فى مكان قريب ليراقبهما ٠٠ فلما استبدت به غيرته

برز من مكمنه وواجه غريمه بشكوكه فى كونه مغامرا مجهولا لا يوثق به، ثم ناشد محبوبته السابقة أن تقطع صلتها بهذا الدخيل وتتقبل حبه هو الراسخ الجذور بديلا له فى قلبها !

لكن جيزيل قد وهبت قلبها للغريب وانتهى الامر ! ٠٠ واذ مضى هيلاريون فى توبيخه اياها على خيانتها ، انبرى له «لويس» المزعوم مهاجما حتى اضطره الى الفرار الى أقصى الغابة ٠٠ ثم عاد الى محبوبته فاستأنفا مرحهما من جديد ٠ وسرعان ما انضم اليهما فى الرقص عدد من فتية القرية وفتياتها ، حاملين سلال العنب الذى انتهوا من قطفه ٠٠ وأخذ الجميع يرقصون ويصخبون احتفاء بملكة القرية الحسناء جيزيل وحبيبها المجهول !

لكن الضجيج بلغ مسامع الام فى بيتها ، فخرجت الى عتبته توسع الصاخبين لوما وتقريعا ، وتأمر ابنتها بالدخول والكف عن ذلك المجون ، خشية أن تتحول الى جنية مسحورة فيما لو أسرفت فى الرقص ! ٠٠ وهكذا انفض الجمع وانصرف كل الى سبيله ، ومضى ألبريخت يتسكع فى الغابة ، آملا أن يعود فيلقى محبوبته فى فرصة قريبة ٠٠

— ٢ —

◆ **لكن** الجمع لا يكاد يتفرق حتى يسمع صوت نفير وأبواق متجاوبة تقترب ٠ وتصل الى ساحة المكان جماعة من هواة الصيد يتزعمها أمير كورلاند وابنته الاميرة باتيلد ـ خطيبة ألبريخت! ـ وكان بين الجماعة «ويلفريد» تابع هذا الاخير ، الذى يبدو عليه القلق والانزعاج لان سيده لم يعد الى القصر فى الوقت المناسب ليكون فى استقبال خطيبته الاميرة وأبيها وليصحبهما فى رياضتهما المحببة !

ولكى يخفى ويلفريد جزعه بعض الشىء ، يشغل نفسه باعداد شىء من الطعام والمرطبات فى دار أم جيزيل ، من أجل الاميرة وأبيها ٠٠ ثم يقدم للضيوف ما أعد على مائدة ريفية بسيطة خارج الدار ، فينهمك الجميع فى الاكل والشراب ٠٠ ثم تظهر جيزيل

لتحيى ضيوفها فى استحياء٠٠فتشتبك معها الاميرة فى الحديث ثم تهديها عقدها المنظوم من الجواهر الثمينة وتضعه بيدها حول رقبة الحسناء الريفية ، جاهلة أن هذه الساذجة الخجولة هى غريمتها فى حب خطيبها الدوق !

ثم يقبل الضيوف الارستقراطيون دعوة صاحبة الدار لقضاء بعض الوقت فى بيتها المتواضع ، فيدخلون ٠٠ وأثناء وجودهم تتسلل جيزيل الى الخارج فى غفلة منهم لتبحث عن حبيبها ، فتجده مقبلا تسوقه اللهفة والشوق !٠٠ ويلتئم شمل العاشقين من جديد فيعودان الى الرقص والهرج ، وينضم اليهما مرة أخرى نفر من شباب القرية ٠٠

◆ **لكن** خيوط المأساة تلوح فى الافق٠٠فان العاشق هيلاريون يتسلل متسترا بالضجيج الى داخل كوخ غريمه لويس ، ثم يخرج منه بعد حين ثائرا غاضبا ليصيح بالراقصين أن يعيروه التفاتهم ويوقفوا رقصهم ٠٠ ويتقدم من جيزيل وفتاها فيلقى تحت أقدامهما حلة الدوق الاصلية وسيفه المرصع بالجواهر مستشهدا بهما على أن الشاب المجهول ليس فلاحا كما يزعم ، وانما هو نبيل رفيع المقام ، تنكر لغرض فى نفسه !

ثم يردف هيلاريون قوله بالنفخ فى بوق الصيد ، بغية استدعاء أكبر عدد من الشهود الى ساحة المعركة ، فيخرج الامير وابنته من دار مضيفتهما ٠٠ ويتعرفان من فورهما على الخطيب المتنكر ، فيتلو ذلك مشهد غاضب بين الطرفين ٠٠ **ويبلغ الحزن بجيزيل الحسناء غايته لدى اكتشاف خداع حبيبها لها ، فتنتزع عقد غريمتها من رقبتها وتلقيه بعيدا وهى تهوى على الارض فريسة لنوبة عنيفة من البكاء والنشيج ٠٠ وفجأة تهب واقفة وتروح ترقص رقصة جنونية يدرك منها الحاضرون أن الصدمة قد عصفت بعقلها فأودت به !** ٠٠ وتأخذ المسكينة فى تمثيل مشاهد من غرامها مع محبوبها ، على صورة تمزق قلب ألبريخت حسرة وألما ، فيروح يناشدها الصفح ويحاول تهدئتها

بكل الوسائل ، ولكن دون جدوى ٠٠ فان العذراء المحطمة تفلت من ذراعه فى كل مرة كالمذعورة ٠٠ وفى آخر مرة تفلح فى أن تختطف سيفه منه وتدفن نصله فى صدرها !

ثم ـ بما تبقى من قواها ـ تستأنف رقصها الضارى ، فلا يقوى أحد على كبح جماح حركاتها العنيفة التى احتفظت رغم كل شىء بجمال تناسقها وانتظامها ٠٠ ثم تحل النهاية المشئومة حين تتوقف المخبولة المنتحرة عن الرقص ، وقد خارت قواها٠٠ فتترنح فى مكانها لحظة ، ثم تطلق تنهدة ناعمة وتسقط الى الوراء بين ذراعى أمها الباكية ٠٠ جثة هامدة !

— ٣ —

◆ **بعد** مضى وقت قصير على هذه الفاجعة ذهب الدوق « ألبريخت » مع تابعه ويلفريد الى الغابة ٠٠ وكان الدوق بادى الندم والحزن ، لكونه قد تسبب فى النهاية المفجعة التى انتهت اليها محبوبته الفاتنة جيزيل ٠٠ وهو قد جاء الآن يزور قبرها الذى علم أنه يقوم فى ممر طويل بالغابة ، كى يضع عليه طاقة من الزنبق الابيض ، لكنه ضل طريقه ٠٠ وقد انتصف الليل منذ حين ، وحان موعد ظهور أشباح الجنيات الخطرات للانتقام من الشبان العابرين !

وكان تابعه المخلص ويلفريد يقدر مدى الخطر الذى يتعرض له سيده ببقائه فى هذا المكان الخطر بعد انتصاف الليل، فرجاه متوسلا أن يبتعد عن المكان من فوره ٠٠ لكن ألبريخت أبى أن يفعل ، بل أمر ويلفريد أن يتركه ويمضى الى القصر ، كى يتسنى له أن ينفرد بمحبوبته فوق قبرها ويناجى طيفها (أنظر الصورة ص ١٦٧)

فلما انصرف التابع تقدم الدوق التعس فوضع طاقة الزنبق فوق الصليب الابيض الصغير الذى يعلو قمة القبر ، ولبث واقفا

فى مكانه فترة من الوقت وقد أحنى رأسه غما وأسى ٠٠ ثم رفع رأسه آخر الامر ، واذا هو وجها لوجه أمام شبح فاتنته ، وقد لاحت له فى أبهى مظهر وأجمل صورة ، بعد أن خرجت من قبرها بعد انتصاف الليل كي تؤدى رقصاتها الليلية ، على عادة « الجنيات » أمثالها ! فلم يعدل دهشته للامر غير فرحته الغامرة برؤيتها !

وامتلأت البقعة سريعا «بأشباح» بقية زميلاتها من الحوريات ٠٠ وقد رحن يرقصن رقصاتهن الاخاذة ، ولكن عينى ألبريخت لم ترىا أو تلحظا غير محبوبته جيزيل ، التى كانت تظهر ثم تختفى كل حين فيطاردها ببصره أينما ظهرت ويبحث عنها كلما اختفت ! ٠٠ حتى أدركتها الشفقة عليه آخر الامر فسمحت له بأن يخاصرها فى رقصة رائعة ، بعد أن استوثقت من أن زميلاتها قد مضين بعيدا الى طرف الغابة وتركنها وحيدة مع معشوقها القديم !

وكانت الزميلات قد وجدن ما يشغلهن فى الواقع ، فقد عثرن بالدليل ـ الذى عاد الى المكان بمفرده كي يجثو أمام قبر محبوبته جيزيل ويناجى طيفها ـ فأحطن به وأجبرنه على أن يشاركهن فى الرقص ، حتى سقط ميتا من فرط الاجهاد ! ٠٠ وعندئذ جررن جثته ضاحكات الى بركة قريبة مظلمة اخترنها لتكون مقره الاخير، ثم عدن مسرعات مع ملكتهن كى يجهزن على الشاب الآخر الذى تركنه يراقص زميلتهن جيزيل ! ٠٠ **فلم تكد هذه تلمحهن قادمات من بعيد وتدرك نيتهن الرهيبة المبيتة حتى ناشدت حبيبها أن يتعلق بالصليب المثبت فوق قبرها ، كي ينقذه بذلك من الهلاك ، فان سلطان الجن يعجز عن الحاق الاذى بكل من يتعلق بهذا الرمز الدينى المقدس ٠٠**

وثارت ثائرة ملكة الجنيات على تمرد جيزيل وخيانتها ، فأمرت فى صرامة بأن تستخدم جمالها الساحر ورقصاتها الخلابة لاغراء الدوق بترك مكانه الآمن والدنو منها ! ٠٠

— ٤ —

◆ **وعجزت** الجنية التعسة عن مخالفة أمر ملكتها ـ بتأثير عصا الاخيرة السحرية ذات المفعول النافذ على جميع رعاياها ـ فاضطرت الى اجتذاب حبيبها الفانى بحركات جسمها التى تفيض اغراء واثارة للحواس ، حتى عجز عن المقاومة فترك ملجأه الآمن وتبعها ! .. وعبثا حاولت المسكينة استدرار عطف ملكتها على حبيبها .. فقد ردتها خائبة ، وساقت رفضها فى لهجة احتقار قاسية ! .. فمضت جيزيل ، تحت سلطان نظرات الملكة الباردة المتحجرة ، تواصل بالاشتراك مع حبيبها رقصهما المثير المجنون الذى لم تشهد الغابة له مثيلا من قبل .. ولم تلبث الجنيات الاخريات أن التففن حول العاشقين وعمدن الى حثهما على مضاعفة سرعتهما فى الرقص الصاخب العنيف .. تعجيلا بنهاية الشاب التعس !

واستمرت « رقصة الموت » هذه طويلا ، حتى بدأ الشاب يحس بالاعياء والتخاذل ، وأخذت قواه تضمحل تدريجيا بسرعة متزايدة ، وحبيبته التعسة « جيزيل » عاجزة عن مخالفة أوامر ملكتها التى لا ترحم ، رغم علمها بأن قواه الخائرة لن تصمد طويلا !

وانها لفى محنتها الرهيبة ، واذا أول تباشير الفجر تلوح فى الافق من وراء الاشجار .. ثم سمعت دقات الساعة الرابعة خافتة بعيدة ، تنبعث من كنيسة القرية ، مؤذنة بموعد عودة الجنيات الى قبورهن صاغرات ! ترى هل تفشل خطة ملكة الجن الجهنمية فى آخر لحظة ؟!

وبشروق الفجر اضطرت الجنيات للعودة الى قبورهن ، مسوقات بذلك السلطان السحرى الذى لا يقاوم ، فخلت الغابة من أشباحهن تدريجيا .. وكانت آخرهن (جيزيل) ، التى خلفت حبيبها وقد سقط على الارض فى حال من الاعياء تفطر لها قلبها! .. وأثناء ابتعادها بذل المسكين جهدا يائسا كى يتحامل على

المؤلف
١٧٩٩ - ١٨٥٦



◆ هاينريك هايني !.. الشاعر الذى تردد المانيا والعالم اشعاره واهازيجه منذ قرن من الزمان ! ولد فى دسلدورف يوم ١٣ ديسمبر ١٧٩٩ من أبوين يهوديين ، ثم اعتنق المسيحية فيما بعد .. وقد أغرم منذ صباه باللغة الفرنسية ، وبالبطل الفرنسى نابليون ، فنظم - وهو بعد فى السادسة عشرة - اغنية فى تمجيده لحنها الموسيقى العالمى (شومان) !.. وحين رسخ قلمه فى الادب اغراه الاديب الانجليزى والتر سكوت بالكتابة للمسرح ..

وكان هاينى يعتبر العالم كله وطنا له ، فزار انجلترا ثم ايطاليا وفى سنة ١٨٣١ هاجر نهائيا الى فرنسا .. حيث تزوج من فتاة فرنسية ، وعاش بقية حياته يغمس قلمه فى الشهد والعلقم ، فينظم اشعارا واغنيات - بالالمانية والفرنسية - يختلط فيها المرح والكآبة ، والسخرية والسذاجة ، والرقة والقسوة ، والوقار والمجون .. حتى لفظ انفاسه فى باريس فى ١٧ فبراير سنة ١٨٥٦ بعد مرض طويل قاسى منه عذابا مريرا ..

نفسه فيتبعها ، لكنه لم يلبث أن تهاوى على الارض حيث كان ، مستسلما للفراق بقلب كسير مكلوم ..

وابتعد شبح جيزيل الحبيب عن بصره وراء الصليب الرخامى الابيض المقام فوق قبرها .. فلما اختفت العذراء الجميلة عن ناظريه تماما ، سقط رأسه على ذراعه .. وأسلم الروح !

ستار

حوافز الحياة



النفس والجنس .. والمجتمع ..

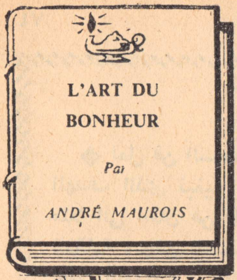
عزيزى القارىء ...

فى هذا الباب قدمت لـك فى اعداد السنة الاولى من كتابى ، الكتب الاتية على التوالى : «كيـف تصارح اولادك وبناتك بالحقائق الجنسية» للعـالم النفسانى ماكدونالد لاديل ، ثم «طريق السعادة الزوجية» لفردريك برينك ، و «مركب النقص» تأليف و. ماكبرايد، و «حواء الجديدة» ـ مرشـد المرأة العصرية المستنيرة الى سعادتها ، قبل الزواج وبعده ـ للدكتور كورتنى بيل، ثم «كيف تقهر الخجل» تألـيف س. تيار ، و «كيف تقهر القلق وتستمتع بالحياة» لجون كنيدى ..

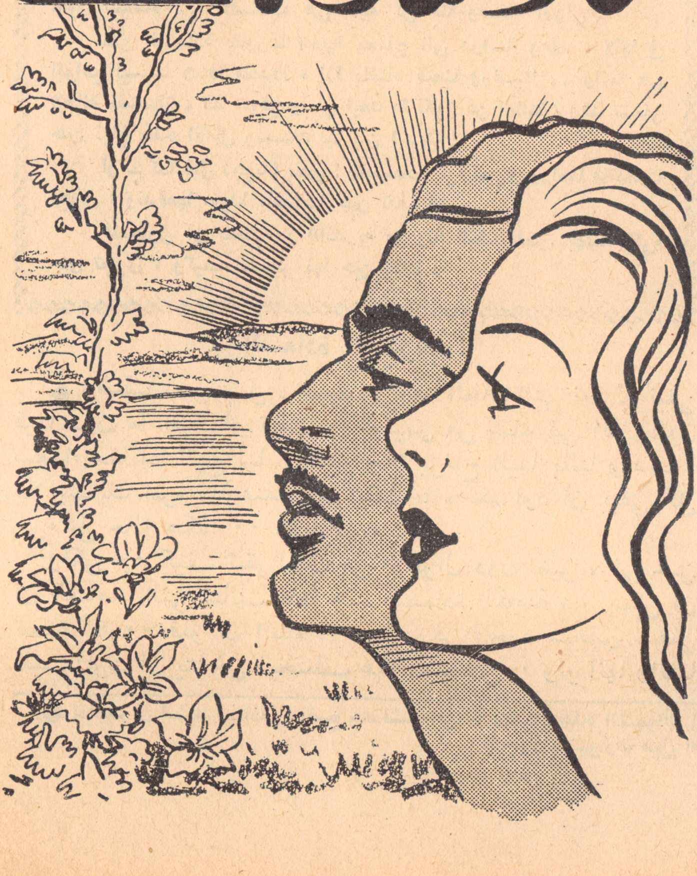
وفى الاعـداد السـنة الماضية قدمت لك من فنون الحياة التى شرحها المفكر العـالمى «اندريه موروا» : فـن الحب ، ثم فن الزواج ، وفن الحياة العائلية ، ففن الصداقة ، وفن العمل، ثم فن الزعامة ..

واليوم اقدم لك فنا سابعا هو فن السعادة ، يليه من هذه السلسلة : فن الاستمتاع بالشباب والشيخوخة .. وفن التفكير السليم، فى المدرسة والبيت والمكتب .. الخ

اندريه موروا



فن السعادة!



هذا الفن ...

◆ لعل فن السعادة هو أهم فنون الحياة على الاطلاق ، فهو بمثابة الهدف الذى نبغيه من جميع فنونها الاخرى .. فنحن حين نسعى مثلا الى اتقان فن العمل ، وفن الحب ، وفن الزواج ، وفن الحياة العائلية ، وفن الصداقة .. الخ .. انما نبغى من وراء ذلك كله أن نكون سعداء .. فالسعادة هى غاية كل منا وقبلته الاولى

لكن السعادة بدورها «فن» يحتاج الى دراسة وفهم ، لانها فى الواقع ليست هدفا محددا ، اذا بلغناه قنعنا ورضينا .. وانما هى «حالة نفسية» ، قد تتوفر ونحن ابعد ما نكون عن آمالنا ، وقد تتبخر حين نبلغ هذه الآمال ونمسك بها بين ايدينا !

أو - كما قال (جوته) بحق : «السعادة كرة نجرى وراءها ما دامت تجرى ، وندفعها بعيدا بأقدامنا حين تقف !»

فلنحاول أن نتعلم من «اندريه موروا» كيف نلحق بهذه الكرة حين تجرى ، وكيف نستأثر بها حين تقف !

السعادة .. سراب !

◆ **وصف** « فونتينل » السعادة بأنها الحال التى نود لو نبقى فيها دون ما تغير أو تبدل .. وليس من شك فى أننا نكون سعداء حقا اذا أتيح لنا أن نبلغ حالا يرتاح اليها بالنا وبدننا ، فلا يتمالك المرء منا عندها أن يقول : « لكم أود أن يبقى كل شىء على حاله هكذا .. الى الابد » !

ولكن .. كيف تبقى حال من الاحوال دون تغير ، فى حين أن العناصر التى تتألف منها هذه السعادة الكاملة ، لا يمكن أن تستقر ؟ .. فلو ان السعادة تمثلت فى وجود شخص ، فلن يلبث الموت أن يتدخل فيختطف هذا الشخص .. ولو أنها واتتنا

◆ تعلمت أن انشد سعادتى بوضع حد لشهواتى، لا باشباع هذه الشهوات !
« جون ستيوارت ميل »

فى قطعة موسيقية ، فان اللحن لابد صائر الى نهاية ٠٠ أو فى كتاب ، فلن نلبث أن نفرغ من آخر صفحاته ٠٠ وهكذا قد نتمنى بقاء حال ما دون تغير ، ولكنا ندرك أن بقاءها مستحيل٠٠ وانه لو قدر لنا أن نوقف مسرى الزمن عند لحظة فان السعادة التى تحملها لنا أية لحظة فى أطوائها لا تلبث أن تتضاءل على أى الاحوال حين تذهب جدتها وطرافتها ٠٠ !

شقوة الاوهام أقسى من شقوة الحقائق

◆ **ولقد** كان من سوء حظنا أن ولدنا فى أيام عصيبة ، ولكن قسوة الزمن لا يجب أن تحرمنا السعادة ، فهى فى الواقع لا تتوقف على الظروف الخارجية وانما هى من نتاج قوة الارادة ٠٠ وأكاد أسمعك تقول معترضا : « من نتاج قوة الارادة ؟ ٠٠ أو ليست التعاسة ، والمرض والاضطهاد ، والحرب ، بخليقة أن تجعل السعادة مستحيلة ٠٠؟ »

وهذا جائز ، ولكنا يجب ألا ننسى أمرين :

أما الامر الاول ، فهو أن الناس تعانى من الشرور الموهومة ، أكثر مما تعانى من الشرور الحقيقية ٠٠ وقد أخبرنى طبيب مشهور ذات مرة أن ثمانية من كل عشرة من المرضى الذين يقصدونه خالين من كل أثر للامراض البدنية ، ولكنهم يعتقدون أنهم مرضى ٠٠ لان المرض الموهوم يسبب من الاوجاع ما يسببه المرض الحقيقى ، بل وأكثر فى بعض الاحيان ٠٠!

وروى لى جندى انجليزى شاب ، انه حين اشتدت الغارات الجوية على الجيش البريطانى أثناء انسحابه من «دنكرك» فى سنة ١٩٤٠ ، أوى الجندى الى حفرة فى الرمال أحس فيها بأنه آمن الى حد ما ٠٠ لولا أن وسوس له فكره أن يدير مذياعا صغيرا كان يحمله ، فسمع مذيع محطة الاذاعة البريطانية يصف المأزق الذى كان الجنود البريطانيون يعانونه فى نفس البقعة

◆ **قدرة الانسان على السرور تموت بموت الآخرين ، أما قدرته على الالم فلا تموت الا بموته هو !** « ليدى بليسنجتون »

التى كان فيها الشاب من ساحل دنكرك ٠٠ واستطرد الشاب قائلا : « وكان وصفه رهيبا ، يشيع اليأس والقنوط ، حتى اننى هلعت وكدت أنطلق هاربا ٠٠ ولم أتمالك روعى الا حين أسكت المذياع ، وتأملت الموقف الحقيقى على ضوء الواقع الذى ألمسه ! »

هذه القصة مثال رائع لما يصيب معظم الناس ٠٠ انهم يعانون من المخاوف الوهمية أكثر مما يعانون من الامور الحقيقية التى تبرر الخوف ! ٠٠ وقد يقضون الليالى الطويلة مسهدين ، قلقين، من جراء أمور قد يحتمل أن تقع، ولكنها لم تقع، وقد لا تقع قط!

من الناس من لا يقنع الا بالهموم

◆ **أما** الامر الثانى فهو ان سوء الحظ ـ مهما كان حقيقيا ـ يمكن تحويله بفضل قوة الخلق والشخصية الى فرص للسعادة ٠٠ فالمريض ـ اذا كان قوى العزيمة ـ يستطيع أن يفيد كثيرا من أوجاعه ، اذ تتيح له آلامه فرصة لاكتساب الصبر والجلد ٠٠ كما ان اعتكافه يفسح له الوقت للقراءة والتفكير ٠٠

بل ان اقتراب الموت لا يحرم الرجل الشجاع حقا من السعادة الداخلية ٠٠ وقد كان سقراط فى سجنه يبدى الكثير من الانفة والابتهاج ـ رغم علمه بأنه مسوق الى الموت ـ حتى لقد شجع جميع أصدقائه الذين جاءوا ليشجعوه !

فالظروف الخارجية اذن تستطيع أن تجعل السعادة متعذرة ولكنها لا تجعلها مستحيلة ٠٠ كما انها من ناحية أخرى لا تجعلها مؤكدة ، فان الذى يصر على اثقال نفسه بالهموم ، يجد دائما من الهموم معينا لا ينضب ! ٠٠

والرجل الطموح لا يقنع أبدا بما أصاب ٠٠ فلو ان « هتلر » عرف كيف يقف عند حده فى الوقت المناسب، لسعد، ووفق الى الاحتفاظ بانتصاراته ٠٠ ولكنه لم يفعل !

◆ **ليست السعادة فى أن يظفر المرء بالكثير ، بقدر ماهى فى أن يقنع بالقليل !**
« ليدى بليسنجتون »

وهناك محظوظون أوتى المرء منهم ثراء ، وصحة ، وزوجة طيبة ، وأطفال لطاف ٠٠ فهل تراهم يركنون الى الراحة ويستمتعون بحظهم ؟ ٠٠ الواقع ان معظمهم يظل مشغول البال مثلا بأن هذه الناحية من نواحى استغلال المال غير مأمونة ، أو بأن الاطفال قد يمرضون، أو بأن الوطن قد يتعرض للغزو ٠٠الخ ذلك ان ثمة صنفا من الناس لا يقوى شىء على اسعادهم ! ٠٠ ومن هنا نستطيع أن نقول ان الظروف الخارجية لا يمكن أن تضمن السعادة ، لان السعادة انما هى فى واقع الامر « حالة نفسية ! »

السعادة اشعاع ينبعث من أعماقنا

◆ **ومن** ثم كان لزاما أن نميز فى العناصر العديدة التى تؤلف لنا حالة « السعادة » بين العناصر التى يتم تبدلها دون أن يقلل ذلك من هنائنا ، وتلك التى لا غنى عنها لتوفر الهناء ٠٠ **والذين قرأوا قصة تولستوى : « آنا كارنينا » يذكرون كيف انطلق بطلها « ليفن » يهيم فى الطرقات عقب فوزه بيد فتاته ، وهو لا يكف عن الاعجاب بكل شىء ٠٠ اذ بدت له السماء أكثر زرقة ، والطيور أشجى تغريدا مما ألفها ٠٠ حتى نظرة حارس الباب ، بدت له أفعم عطفا مما اعتادها ! ٠٠ على ان سعادة «ليفن» ماكانت لتقل لو انه كان فى مدينة أخرى ٠٠ فان أية مدينة كانت خليقة بأن تبدو له أفتن مما اعتاد أن يراها، ويبدو أهلها أرق مما ألفهم! ٠٠ذلك لانه انما يرى كل شىء تحت ضوء يشع من أعماقه ٠٠ وهذا الضوء الكامن هو ٠٠ روح سعادته !**

وليست الاحداث والاشياء التى يستطيبها المرء هى مبعث السعادة ٠٠ بل تنشأ السعادة عن حالة ذهنية تخلع على الاحداث صفة خاصة ٠٠ ومن ثم فعلينا أن نتمنى بقاء تلك الحالة ، لا تكرر الاحداث السارة بالذات !

◆ **لا شىء يغذى الجمال مثل السعادة « ليدى بيلسنجتون »**

الفقر والمرض أول أسباب الشقاء

وقد يكون من الاسهل كى نهتدى الى طريق السعادة أن نحصى العقبات التى تعترض سبيلها ٠٠ فلننفض السدادة عن القمقم السحرى الذى يحبس تعاسات البشرية ، ولندعها تنطلق لنتأمل أكثرها شيوعا :

ان الفقر والمرض هما أول سحابتين معتمتين تنطلقـــان من القمقم فتنعقدان فى الجو ٠٠ وهما أبغض أسباب التعاســة جميعا ، فاذا ما تكرر حلولهما فى أوقات متقاربة ، قلت أسباب « العلاج » التى تؤثر فيهما ٠٠ وقد يكون من السهل أن تزعم ـ كما زعم الفلاسفة الرواقيون ـ ان المعاناة ليست سوى كلمة، وان « معاناة آلام الماضى قد انقضت ولم يعد لها وجـــود ٠٠ ومعاناة متاعب الحاضر غير ملموسة ولا منظورة ٠٠ ومعاناة المستقبل لم نكابدها بعد ! » ٠٠ من السهل أن تزعم هذا ، ولكنه لن يجدى فتيلا ، فليس الامر كما يصوره «الرواقيون» فى الواقع ، لان الانسان لا يستطيع أن يفرق ويفصل بين مراحل وجوده ٠٠ بل أن تذكر آلام الماضى يجعل من عناء الحاضر عبئا مطرد الثقل ٠٠ ولكن الانسان القوى يستطيع بـــلا ريب أن يكافح العناء وأن يحتفظ بجلده ٠ ولقد تحمل « مونتين » فى شجاعة مرضا مقذع الالم ، ولكن ٠٠ ماذا يفعل العاقل الحكيم ، بل القديس ، اذا لم تكن حياته سوى أنات متوجعة متوالية ؟

لقد استطاع « ديوجين » ان يستخف بالفقر ، لانه عاش فى جو دافىء ، ولانه كان يملك قوته ، ودلو مائه ٠٠ ثم ، لانه كان وحيدا فى الحياة ٠٠ ولكن ، ما الذى كان يفعله لو انه كان متعطلا ، يعول أربعة أطفال فى مدينة باردة الجو ، لا سبيل الى طعام فيها أو وقود الا بالنقود ؟ ٠٠ انها لتكون تعاسة حقة ، ومن المهين للمقرورين الجوعى أن تحاول التسرية عنهم بأقوال الفلاسفة ، فهم انما يحتاجون الى القوت والدفء !

◆ السعادة لا تمنح ، وانما تتبادل ! « الكونتة ديانا »

شقاء الاوهام !



◆ **ولا** ينبغى أن نخلط بين هذه الحالات القصوى من المرض والفقر ، وبين المآزق الوقتية التى تعتبر رغم عنائها أهون احتمالا وأقل خلقا للعوائق فى سبيل السعادة ٠٠ وقد كان « الرواقيون » على صواب حين فرقوا بين مطالبنا « الطبيعية الضرورية » ، كالغذاء والشراب ٠٠ ومطالبنا « الطبيعية غير الضرورية » التى سنتحدث عنها فيما يلى ٠٠ فهناك فقر حقيقى ومرض حقيقى يستحق أصحابهما الرثاء فعلا ، غير ان المرضى بالوهم لا يقلون عن المرضى فعلا ٠٠ اذ أن لاذهاننا سلطانا على أجسادنا لا تكاد تصدقه العقول ، ومن ثم كانت معظم آلامنا وهمية !

٠٠ **وكما** ان هناك أمراضا وهمية كذلك فى الدنيا فقر وهمى !٠٠ والمقياس الذى يجب أن تزن به هذه الامور هو انك طالما كنت تملك سقفا يظلك ، وطعاما تأكله ، ولباسا ترتديه ، فأنت تهين الفقير حقا اذا رحت تعلن تعاستك من جراء أزمة طارئة أثرت على سواك كما أثرت عليك وانتقصت من دخلك !٠٠ ومن أمثلة الشقاء الموهوم مارواه صديق لى يوما عن امرأة قتلت نفسها اذ اضطرت الى الانتقال الى غرفة ضاقت بقطعة من أثاثها كانت تعتز بها !!

دع الماضى والمستقبل وتدبر الحاضر !

◆ **ويعقب** الفقر والمرض من أسباب التعاسة الفشل ٠٠ أى الاخفاق فى تحقيق مطمع ، أو الخيبة فى الحب ٠٠ الخ ـ فنحن

◆ **السعادة بضاعة «تبيعنا» اياها الطبيعة بثمن غال !ـ . . . « فولتير »**

نرسم الخطط للمستقبل فاذا بها تحبط أحيانا ، واذا آمالنا تنهار ٠٠ ونحن نبغى أن نكون محبوبين ، فلا نظفر ببغيتنا ، وتروح الغيرة تسمم أيامنا ولياليناا ! ٠٠ وأحيانا نسعى الى عمل ، لكننا نخفق فى الحصول عليه ٠٠ الخ

٠٠ وأغلب هذه التعاسات غير حقيقية ، نخلقها فى تصورنا فقط٠٠ وينبغي أن نسأل أنفسنا : ما الذى يشقى الانسان حين تكون آماله غير ميسورة التحقق ؟٠٠ أهو يشقى لانه يستشعر ألما جسديا ؟٠٠ أبدا ٠٠ وانما يشقى لانه يتذكر التراخى أو الاهمال الذى أدى الى فشله فى الماضى ، ويروح يفكر فيما اذا كانت دسائس خصومه ستعرقل نجاحه فى المستقبل ؟! ٠٠بينما لو أنه بذل جهدا فى ادراك الحاضر ادراكا دقيقا ، بدلا من التفكير فيما كان ينتظر أن يصير اليه الماضى ، أو ما يحتمل أن يكون عليه المستقبل ، لنجمت عن ذلك حال تبعث على الرضى التام ٠٠ وكم أود أن أرى الناس الذين يرزحون تحت متاعب موهومة، يعملون على تبين موضوع رغباتهم بجلاء ودون تحريف ٠٠ فمثلا أنت قد تبغى أن تغدو حاكما أو وزيرا ، ولكنك تخفق ٠٠ فما الذى يترتب على ذلك ؟ ٠٠ يترتب انك لن تغدو مضطرا لان تقضى يومك كله فى مقابلة اناس تؤثر أن لا تراهم ٠٠ ولن تحمل هم مئات المسائل التى لا يتسع وقتك لتنظرها بعناية ٠٠ ولن تتعرض لمعارضة خصوم يفتشون فى حياتك الخاصة عن نواح يستمدون منها مادة لاتهامك بما لم ترتكب!٠٠ بل انك بالفشل تخلد الى حياة هادئة مطمئنة، وتتمكن من الاستمتاع بوقت فراغك ، فتعيد قراءة ما تحب من كتب ، ويتاح لك أن تجاذب أصدقاءك الاحاديث ان كنت ممن يستمرئون الزمالة ٠٠ فهل تسمى هذه تعاسة ؟

◆ نحن نبغى أن نكون اسعد من الآخرين ، وهذا أمر يكون غالبا صعب المنال ، لاننا دائما نظن الآخرين أسعد حالا مما هم فى الواقع ! ـ «مونتيسكيو»

بالعزم ينال المرء ما يريد

◆ **وهكذا** ، لو تدبر الناس أحداث حياتهم بعقول أكثر تفتحا، لتبينوا فى كثير من الاحوال انهم لم يكونوا صادقى الرغبـة فيما فشلوا فى نيله ! ٠٠ فما أبعد الفارق بين الرغبات التى نبديها وتلك التى تكون صادقة ملتهبة تتقد فى كل كياننا ، وتكشف عن نفسها بالاعمال لا الاقوال ٠٠ **وما لم يكن المطلب مستحيلا أو ممجوجا تماما ، كان نيله ميسورا فى أكثر الاحيان اذا ما استخدمنا العزم : فراغب المجد كفيل بأن يناله ، وراغبة الاصحاب خليقة بأن تنالهم ، والساعية الى غزو القلوب لابـد غازيتها ٠٠ بالعزم ! ولقد تمنى « نابليون » فى شبابه السلطان، وكانت العقبات التى تعترض طريقه اليه تبدو صعبة المنال ٠٠ ولكنه اجتازها وتغلب عليها !**

ومن المسلم به ان ثمة حالات كثيرة يكون فيها النجاح مستحيلا بحكم الظروف ، فليس من السهل أن تنال كل ما تشتهى ، أو تزحزح الكون من مكانه ٠٠ ولكن كثيرا ما تكون الصعوبة من خلق الانسان نفسه، اذ يظن انه راغب فى تحقيق نتيجة محددة، ولكن قوة كامنة فى أعماقه تدفعه الى اتجاه معاكس ! ٠٠ ومـا أكثر ما حدثنى كتاب عن رغباتهم فى أن يؤلفوا كتبا عن هذا أو ذاك من الموضوعات ، لولا ان الحياة التى يحيونها تجعل رغباتهم مستحيلة ٠٠ ولو أنهم كانوا راغبين فى تأليف تلك الكتب عن عاطفة صادقة متحمسة ، لغيروا من حياتهم ليتسنى لهم التأليف، وفى الحياة التى كان « بلزاك » يحياها ـ أو بمعنى أدق فى مؤلفاته ذاتها ـ خير دليل على قوة ارادته وتفانيه فى العمل ٠٠

الطمع يقود الى التعاسة ٠٠

◆ **وهذا** حق ٠٠ فمن الناس مثلا من يقرر الزواج من امرأة معينة لما يرجوه من وراء ذلك من نفع اجتماعى أو عملى أو مالى ،

◆ **ما أمر ان ننظر الى السعادة بعيون الآخرين ! « شكسبير »**

وان كان يدرك انها زوجة « من الدرجة الثانية ! » ٠٠ وما ان ينقضى شهران أو ثلاثة ، حتى يبدأ فى الشكوى من حظه و « نصيبه » ٠٠ فى حين انه هو الذى اختار نصيبه بنفسه !٠٠
ولا يحتاج الامر الى خبرة كبيرة كى نتبين أن السعى الجشع وراء المال أو النجاح يؤدى بالناس فى الغالب الى الشقاء ٠٠ وقد يضطرنا الطمع والطموح الى الاصطدام بغيرنا من البشر ، ولكن الاسوأ من هذا أن نكون فى صراع مع أنفسنا ٠٠ لاننا لن نبلغ السعادة الا اذا استعرضنا أعمال يومنا ، وقسناها بأعمالنا طوال حياتنا ، ثم قال الواحد منا لنفسه : « **لعلنى تصرفت فى غير حكمة ، وقد أكون أخطأت ٠٠ ولكننى بذلت خير ما فى وسعى ، ولم أنحرف عن مبادئى ٠٠ وانى لاستطيع أن أردد ثانية ما جاهرت به ، أو أصرح بلا استحياء ـ اذا كانت آرائى قد تغيرت ـ بأن لاخطائى أسبابا قوية ، فقد بنيت على الاصغاء لمعلومات غير صحيحة ، أو على خطأ فى تفكيرى** » ٠٠

وهذا لا يتأتى الا اذا كان المرء على وئام مع نفسه ، بحيث يشعر بالتحرر من القلق والانزعاج ٠٠ ومن ثم فعليه أن يحدد لنفسه هدفا ، وأن يعرف ماذا يبغى معرفة دقيقة ٠ فاذا أراد الحب وجب أن يحدد نوعه : أهو حب الله ، أم حب امرأة ، أم حب الاطفال ، أم حب الوطن ، أم حب العمل ؟ ٠٠ الخ

وفى الحب نوع من الخلاص ، لانه يضطرنا الى أن نفكر فى سوانا ، لا فى أنفسنا ٠٠ فهو يخلق فى حياتنا «وحدة الغاية» ، التى تجعلنا نوقف هذه الحياة ـ حين نحب ـ على اسعاد من أحببنا !

وهكذا نرى مصداق القول ان السعادة وليدة الارادة ٠٠ فهى قرار نصدره بمحض رغبتنا لنضع نهاية للندم غير المجدى ، وللامانى الضائعة ، فنعيش لشىء أكبر من مجرد أنفسنا !

◆ الانسان بطبعه يريد أن يكون منبع كل سعادة من يحب ، أو ـ اذا لم يستطع ـ منبع كل شقائه !

« لابروبير »

واذا ما وجد هذا « الانسجام » الداخلي ، أو السلام النفسى ، تلاشت الحاجة الى الانطواء المؤلم ..

اعرف نفسك ان شئت أن ترضى عنها !

◆ **على** أن اتفاق المرء مع نفسه ــ على هذا النسق ــ نادر فى الحقيقة .. ففى جوف كل منا كائنان : أحدهما عضو فى المجتمع ، والآخر مخلوق آدمى مشبوب المشاعر !.. أو بعبارة أخرى : أحدهما عاقل ، والآخر حيوان !.. ومما لا يسر حقا اننا كثيرا ما نكون فرائس للتساهل مع النفس ومسايرتها .. والواقع انه من الصعب على المرء أن يصل الى توافق منسجم مع نفسه ، لان كثيرا من الافكار التى تخالجنا تختلف كل الاختلاف عن تلك التى نود أن تخالجنا .. وكم نزعم لانفسنا أحيانا اننا نتكلم بتعقل ، بينما نكون جادين فى اثارة حقد قديم عن طريق عتاب لحوح !.. أو قد نعادى جماعة بأسرها من الناس لان « أحد » أعضائها أصابنا بضرر جسيم .. ونحن غالبا نأبى أن نقر بنواحى الضعف هذه ــ وان راح ضميرنا ينبئنا عن وجودها ــ ومن ثم لا نلبث أن نفقد الرضى عن أنفسنا ، وأن نقسو ونعنف ونوغل فى الباطل .. وقد نهين أصدقاءنا ، لاننا ندرك اننا لسنا كما ينبغى أن نكون .. ومن هنا تتجلى قيمة حكمة سقراط اذ قال : « اعرف نفسك » !.. فعلى الرجل الذكى اذا شاء أن يكون رصينا هادئا ، أن يتبين أولا كل العواطف والذكريات التى تشوه تفكيره ، فيستأصلها أو يبعدها عن أفق حياته ..

استباق الحوادث أسوأ من الواقع

◆ **ومن** أسباب التعاسة أيضا : الخوف من الخطر !.. على أن بعض المخاوف تكون مشروعة ، لها ما يبررها ، بل انها قد تكون ضرورية .. فالرجل الذى لا يعنى بتجنب الاصطدام بسيارة مسرعة ، يموت نتيجة قصر نظره وقصور تدبيره ..

◆ **واسفاه لحال الانسان : مامن قطرة من السعادة ينالها الا ومنبعها الجهل!**
« بلزاك »

والامة التى لا تخشى جاراتها حين تتسلح وتظهر لها العداء ، لا تلبث أن تغدو مستعبدة ٠٠ الخ

ولكن المخاوف لا تجدى فتيلا اذا هى نجمت عن أوهام لا وجود لها ٠٠ وكلنا نعرف رجالا تشتد بهم هواجس المرض حتى تقضى على حياتهم ٠٠ والرجل الذى يخشى على ماله أن يضيع ، ينفق عمره فى التحوط من الاخطار العديدة التى قدتفضى به الى الخراب ٠٠ وبذلك يحرم نفسه السعادة الراهنة ، خوفا من الشقاء الذى لن يصيبه ـ اذا تحقق ـ بأسوأ من الحال التى أوصلته اليها مخاوفه !٠٠ والرجل المشبوب العواطف يسبق الزمن فيصور لنفسه مشادات خطيرة مع غيره من الرجال من أجل المرأة التى يحب ٠٠ فينتهى الامر به الى أن يقضى على حبه بالتهور الاحمق أو المغالاة فى الغيرة والحذر ، وبذلك يجلب على نفسه النكبة التى كان يخافها ٠٠!

والعذاب الذهنى الحاد الذى ينشأ عن الخوف واستباق الحوادث يكون عادة أسوأ من الواقع ٠٠ فالمرض فظيع ، ولكنه أقل فظاعة مما يوحى به الينا منظر المرضى من بنى البشر ، لان الحمى وأعراض المرض تخلق من الجسد المريض جسدا آخر يختلف فى تأثره واحساسه بالمرض عن الجسد السليم !٠٠

وكثير منا يخافون الموت ، ولكن كل ما نتصوره عن رهبة ساعات الاحتضار مثلا قد لا يصيبنا قط ، لاننا قد نموت فجأة ! ٠٠ كما ان ظاهرة الموت الطبيعية تصحبها ـ فى الحالات العادية ـ أعراض جسدية تخفف من وقعها ومن وطأة الاحساس بها كثيرا ٠ وانى لاذكر بجلاء حادثا وقع لى وكاد يقضى على ، ففقدت ساعتئذ رشدى ٠٠ ومع ذلك فان ذكرى اللحظات التى تلت الحادث مباشرة ، لم تكن مؤلمة !٠٠ وأعرف رجلا غرق ثم أنقذ ، فقال ان الموت ـ كما بدا له وقت غرقه ـ لم يكن قاسيا ٠٠

◆ احيانا لا يشقينا أن يخدعنا احباؤنا ، بقدر ما يشقينا ان لا يخدعونا !
« لاروشفوكو »

لماذا نزيد الحياة شجونا ومتاعب ؟

◆ **والواقع** ان أغلب الافكار التى تخالجنا عن المستقبل زائفة، فنحن نتصور تعاسات مقبلة ونخافها قبل حدوثها ، فنعيش من خوف الشقاء فى شقاء ٠٠ ومن خوف المرض فى مرض ٠٠ ومن خوف الفقر فى فقر ٠٠ فى حين اننا لو أنصفنا لادركنا ان الحياة صعبة فى وضعها الراهن ، فلماذا نضفى عليها عنصر الهواجس المحزنة ؟٠٠

أذكر من مشاهد مسرحية « قافلة الزمان » التى ألفها الفنان الانجليزى « نويل كوارد » ، مشهدا على سطح باخرة ، نرى فيه زوجين شابين فى طريقهما لقضاء شهر العسل فى أمريكا ، وقد وقفا متكئين على سياج الباخرة ، بينما تصاعدت الى أسماعنا أنغام موسيقية ٠٠ ثم ابتعد الزوجان ، فكشفا عن طوق للنجاة معلق على السياج وقد نقش عليه اسم الباخرة « تيتانك » !٠٠

اذ ذاك بدا المنظر لنا ـ معشر النظارة ـ محزنا ، لاننا نعرف أن « تيتانك » قد غرقت فى تلك الرحلة ، رحلتها الاولى والاخيرة !٠٠ أما بالنسبة لذينك الزوجين فقد كانت أمسيتهما تلك على ظهر السفينة جميلة للغاية ٠ ولو انهما خشيا ليلتئذ حادثا مؤلما ، لكان ذلك كفيلا بأن يفسد عليهما لذة الساعة دون ما جدوى ، اذ ليس فى وسع الانسان أن يطيل فى عمره عن المقدر له لحظة واحدة !٠٠ وهكذا يفسد كثير من الناس حياتهم بتصور تعاسات يخالونها وشيكة الوقوع ٠٠ ولو أنصفوا لذكروا أنه : « يكفى اليوم ما شابه من شر » !

ضجر الاغنياء مبعث تعاستهم

◆ **والسأم** من أكثر أسباب الشقاء شيوعا بين الاغنياء الكسالى ٠٠ بينما قد يعانى أولئك الذين يلقون صعوبة فى كسب عيشهم أشد العناء ، ولكنهم لا يستشعرون سأما على الاطلاق!٠٠

◆ **انى انصح كل من يبغى صنيعا من وزير أن يلقاه بادى الاسى ، لا المرح ٠٠ فنحن لا نحب أن نرى الآخرين اسعد حالا منا !** **« شامفور »**

أما الاغنياء ـ من الرجال والنساء ـ فيصيبهم الضجر لانهم يعتمدون فى التماس المتعة على المسرح مثلا ، بدلا من أن يجعلوا حياتهم ذاتها ممتعة ٠٠ والمسرحيات قد تساهم فى سعادة أولئك الذين لحياتهم قيمة (اذ يوقظ المسرح مواهب الابتكار والخلق فى نفوسهم : فالعاشق يستمتع بمسرحية غرامية هزلية ، لانها تدور حول مشاهد من حياته ٠٠ والسياسى يحلم وهو يشهد مسرحية « يوليوس قيصر » بمجده الخالد ٠٠ الخ) ٠٠ ولكن المتردد على المسرح لا يلبث أن يلقى الضجر فى ارتقابه اذا ما ظل دوره مقتصرا على المشاهدة ولم يشترك فى أداء مسرحية الحياة الواقعة ٠٠ اذ سرعان ما يغدو فريسة الهواجس الوهمية ، ولا يكف عن فحص نفسه ، وعن الندم على الماضى الذى ولى وانقضى ، وعن الخوف من المستقبل المجهول ٠٠ الى آخر هذه القائمة من صور الشقاء الارضى !

◆ ومن الغريب أن كثيرا من الناس يجدون لذة مريرة عليلة فى التشدق بأن لا علاج لتلك التعاسات ، الحقيقية والخيالية٠٠ فهم يستمرئون متاعبهم ، ويظهرون التجهم لكل من يسعى لمساعدتهم ! وليس من شك فى أن الالم كثيرا ما يجل عن العزاء فى الايام الاولى للحزن على شخص أصابه شقاء عظيم ما كان ليستحقه ٠٠ ذلك لان الاصدقاء لا يستطيعون أن يقدموا أكثر من العطف الصامت الصابر !٠٠ ولكن ، ما عذر النساء اللائى يتخذن العويل والنواح صناعة فيبذلن قصاراهن ليحتفظن بالاحزان التى كان ينبغى أن تترك للزمن يمحوها ؟٠٠ **ان المرء قد يغتفر الامر لاولئك الذين يتشبثون بماض لا رجعة له ، اذا كانت أحزانهم لا تؤثر على احد سواهم ٠٠ لكننى لا أقرهم قط حين يرجون بما يشيعون من دعوة القنوط الى « استدراج » الشباب أو ذوى الجلد ممن يرتقبون من الحياة مستقبلا سعيدا**

◆ الحسد الذى تثيره السعادة حقيقة لاشك فيها ، أما السعادة نفسها فمشكوك فيها !
« ايفان بانين »

فمثل هذا المسلك يجب قمعه ، كى لا يشوب هناء الغير .
ولقد رأيت مرة شابة ـ كانت قد نكبت فى مأساة فظيعة ـ ترافق جماعة مرحة .. فكان صمتها ، وابتسامتها العزيزة الضنينة ، والشرود الذى لم تقو على تمالكه ، لا تنفك كلها تفضح أساها .. ولكنها ظلت مع ذلك تحتفظ بهدوء مصطنع مكن لزملائها من الاستمتاع بمرحهم !.. واذا كانت ذاكرتك لا تنشط لاحياء ذكرى أعزائك الراحلين الا بالعزلة غير الطبيعية والنواح اليومى ، فلا بد أنها فقدت دقتها واتزانها .. اذ ليس أفضل لتكريم من مات من الاصدقاء ، من ايلاء الاحياء ما كنا نكنه لهم من ود .

التعب الجسمانى خير دواء للكآبة !

◆ **ولكن ،** كيف ترى يعالج الاكتئاب والانطواء ؟.. اية وقاية يمكن ان نحتمى بها من تلك الحالات الذهنية العنيدة التى تتملكنا ، حتى فى النوم ؟.. الواقع ان الطبيعة تتيح لنا اكبر واسهل الاسباب للوقاية من الكآبة .. فللبحر والجبال والغابات تأثير «مهدىء» لاشك فيه ، يرجع الى مالها من جلال وشموخ بالقياس الى ما نحن عليه من ضآلة الشأن .. وما اكثر ما نرتاح ـ فى اشد اللحظات كآبة ـ الى الاستلقاء على الاعشاب ، فى ظلة من الاشجار ، لائذين بهذه العزلة يوما بأكمله ..!؟

ان علينا فى غمرة أعمق أحزاننا التزامات اجتماعية ، اذا ما انصرفنا عنها وقتا أضعفنا مناعتنا وأوهنا صبرنا .. **ومن هنا كان الترحال علاجا ناجعا للآلام الذهنية . فان المرء اذا بقى فى الجو المشبع بتعاسته ، تجدد اكتئابه باستمرار ، وازدادت ذكرياته احتشادا وايلاما ..**

والموسيقى عالم آخر يستطيع صاحب العناء ان يلجأ اليه .. اذ هى تسيطر على الروح تمام السيطرة . وهى احيانا تشبه السيل يندفع فى الذهن فيطهره ويجتاح آلامه ..

◆ **السعادة الحقيقية رخيصة للغاية ، ومع ذلك فما أغلى الثمن الذى ندفعه لتزييفها !** **«هوسنيا بالو»**

او فلنقل انها «تستدعى» آلامنا ، ثم لا تلبث ان تخلع على كل منها معناه الحقيقى . ذلك ان لكل عبارة تذكرنا بالآلام عبارة مقابلة تخفف من هذه الآلام .. وهذه العبارات المتقابلة الصامتة التى تقودنا الى القرار النهائى ، ذات فعل كله عزاء ومواساة ..

القراءة لا تجدى !

ومن الاخطاء الشائعة ، الزعم بان الاستغراق فى القراءة يكسر من شوكة الاسى .. لكن هذا فى رأيى زعم باطل ، اذ اننى لم اقو مرة على تسرية أساى بالقراءة ، لانى لم اكن اقوى فى مثل تلك الظروف على تركيز انتباهى فى كتاب !.. فالقراءة تتطلب عقلا لا يشغل بسواها ، واعتقد انها قد تؤدى دورا جليلا فى فترات «النقاهة الذهنية» .. اما الكآبة فلا سبيل الى الخلاص منها الا باستخدام وسائل أكثر وضوحا وتحددا ، ولا مجال فيها لعدم الانتباه : كالكتابة ، او ادارة آلة دقيقة ، او السير فى دروب خطرة .. وليس افضل للمرء فى هذه الاحوال من التعب البدنى ، لانه يستجلب النوم !

◆ **ولكن** المكتئب لا يلبث ان يقول فى انين : « لا جدوى لكل هذا .. ان طرق علاجك ضعيفة ، عقيمة . وما من شىء يقوى على ايقاظ اهتمامى بالحياة .. ولا شىء يقوى على ان يحملنى على نسيان أساى »

ولكن ، كيف عرفت ذلك ؟.. هل جربت هذه الطرق فى العلاج ؟.. خليق بك ان تجرب ــ على الاقل ــ قبل ان تتحدث عن النتائج .. فهناك وسائل قد لا تفضى الى سعادة ايجابية ، ولكنها تمهد السبيل اليها ..

ونصيحتى اليك فى هذا الصدد ان تتجنب قضاء وقت اكثر مما ينبغى فى تأمل الماضى !.. ولست اعنى ان التأمل فى ذاته امر غير حكيم ، فالواقع ان كل قرار هام لابد ان يسبقه

◆ **الانسان هو صانع سعادته او شقائه** **«هنرى ثورو»**

تأمل ، ومن ثم لا ضرر من الاستغراق فى التأمل اذا ما تعلق بهدف محدد واضح .. انما الضرر فى ان يظل الانسان يقلب فى رأسه - بلا نهاية - امورا تتعلق بخسارة ، او اهانة ، او اساءة .. أو - بالاختصار - أمورا لا سبيل الى علاجها! .. والمثل الانجليزى يقول : «لا تبك على اللبن المراق» .. كما ينصح «دزرائيلى» المرء بأن لا يسهب فى الايضاح او يضج بالشكوى، أبدا .. ويؤثر عن ديكارت قوله : « لقد تعلمت أن أكبح رغباتى، والا اكافح ضد قوانين الدنيا الازلية ، وان اؤمن بأن مالم يتسن لى ان اصيبه انما كان بالنسبة لى امرا مستحيلا !»

لا سعادة بغير عمل يشغلك !

◆ **ولابد** من تنظيف الذهن وتجديده من آن الى آخر .. فلا سعادة بلا نسيان ! وما عرفت قط رجلا عاملا حقا يستشعر الشقاء خلال العمل ، اذ انه ينسى نفسه فى العمل ، كما يفعل الطفل فى اللعب ..

لذلك يرى الاذكياء فى العمل مهربا من الفكر ، وهو مهرب معقول حكيم ، حتى ليمكن للمرء ان يقول ان «الذى يفكر ولا يعمل انما يزرع الفساد» .. فالتفكير الذى لا يسوق الى عمل ينطوى على خطر .. ونحن نرى الرجل العامل ابعد الناس عن أن يشغل ذهنه بمتناقضات الكون ، ومعقدات الحياة ، وانما هو يتقبلها كما تواتيه ..

على ان العمل وحده لا يكفى ، بل يجب على المرء ان يراعى فى عمله التناسق مع المجتمع الذى يعتبر جزءا منه .. ذلك لان دوام التعارض والتنازع يوهن المرء ، ويجعل العمل عسيرا ، بل مستحيلا فى بعض الاحيان ..

لذلك كان عليك ان تختار لنفسك جماعة تتجه جهودها اتجاه جهودك ، وتجد فى وسطها اهتماما بنواحى نشاطك .. فاذا كنت فى نزاع مع اسرتك ، لانها - فى رأيك - لا تفهمك ،

◆ **الحياة السعيدة فى راحة البال** «شيشرون»

فابحث عن اصدقاء يجارونك فى التفكير ، بدلا من ان تدمر سعادتك وسعادة سواك فى هذا النزاع .. واذا كنت متدينا ، فعش بين أتقياء .. أو ثوريا فعش بين الثائرين أمثالك ـ ولن يمنعك هذا من أن تظل فى سعيك لاقناع من يناقضك ، بل انك ستجد فى هذا السعى تأييدا ممن يتفقون معك فى الافكار ..

ومن الاخطاء التى يؤمن بها كثيرون ، أن لا بد للمرء من ان يظفر باعجاب واحترام عدد كثير جدا من الناس ، كى يكون سعيدا .. لكن الواقع انه يكفى المرء تقدير الجماعة المحيطة به عن قرب ، الاثيرة عنده ، وهذا التقدير يكاد يكون ركنا «ضروريا» من اركان السعادة ..

استمتع بالحاضر .. ودع المستقبل لله !

ولا تشقين نفسك بتوهم مآس بعيدة غير مؤكدة الحدوث .. وهذا يذكرنى برجل قابلته منذ ايام فى حدائق «التويلرى»، وقد راح يسير تحت اشجارها وحيدا ، كئيبا ، لا يشعر بالاطفال المرحين، ولا بالنافورات ، ولا بضوء الشمس ، وانما استغرق فى التفكير فى نكبات مالية او عسكرية توقع انها ستحدث خلال عامين !.. فقلت له : «امجنون انت ؟.. منذا الذى يعرف ما سيحدث خلال العام القادم ؟.. صحيح ان الحياة صعبة ، ولحظات الهدوء والطمأنينة فيها قليلة ، ولكن المستقبل لن يكون ـ بالتأكيد ـ فى مثل ما يصوره تشاؤمك من أظلام .. فاستمتع بالحاضر ، واقتد بهؤلاء الاطفال الذين يمرحون .. او بعبارة اخرى : «أد ما عليك ، ودع الباقى للآلهة» ! ..

◆ **ومن** الجلى ان الانسان يجب ان يتدبر المستقبل ، على أن يكون هذا التدبر فى حدود قدرة المرء على التأثير فى الاحداث .. والرجل الذى خلق للعمل ، لا يجب ان يركن للقدر :

◆ اسعد الناس من يقدر فضائل الآخرين ، ويفرح لافراحهم كما لو كانت افراحه هو ! « جوتـه »

فالمهندس المعمارى يجب ان يفكر فى مستقبل اى بيت يبنيه ، والعامل يجب ان يعد العدة لطمأنينة شيخوخته ، والنائب يجب ان يقدر الآثار المحتملة للميزانية التى سيدلى بصوته بصددها .. ولكن راحة البال يجب ان تتوفر بمجرد فراغ المرء من اتخاذ قرار او تدبير .. فمن العبث ان يحاول احد ان يرى ما فى أطواء الغيب من أمور ، ما دامت تعوزه أسباب ذلك !

◆ **واذا** ما تحققت للانسان السعادة ، فمن أهم واجباته بعد ذلك أن لا يفرط فى الفضائل والعوامل التى ولدت له هذه السعادة .. ذلك لان كثيرين من الرجال والنساء ينسون فى غمرة نجاحهم : الحكمة ، والاعتدال ، والرأفة ، والكرم ـ وهى الاسباب التى أدت بهم الى النجاح ـ فيتكبرون وينتفخون صلفا وغرورا ، ويمنعهم الاعتداد المتزايد بأنفسهم من أن ينجزوا جلائل الاعمال ، فسرعان ما يصبحون غير أهل لما أصابهم من حظ حسن ـ وتراهم يدهشون حين يتبدل سعدهم من طيب الى سيىء ..!

وقد كانت عادة القدماء فى تقديم القرابين والتضحيات الى الآلهة لقاء ما يصيبهم من هناء ، عادة حكيمة .. ولكن أعظم وسائل التضحية فى نظرى ، وأبسطها فى الوقت نفسه : التواضع !

السعادة .. والحب !

ولسنا مبتدعين فيما نذكر من ارشادات الى السعادة ، فهى كلها ارشادات معروفة ، كانت تلقن مذ وجد الفلاسفة الذين يحسنون التأمل والتفكير .. فكان الغابرون منهم ـ من رواقيين وأبيقوريين ـ ينصحون بأن يذعن المرء لقدره ، وأن يقتصد فى

◆ **كثيرا ما يلعن الانسان السعادة التى اشتاق اليها ، ويبارك الشقاء الذى** كان يخشاه .. والتجربة ينبغى أن تعلمه أن يكون عديم المبالاة بالاثنين !

« الكونتة ديانا »

رغباته ، وأن يعيش فى وئام مع نفسه • هذه فلسفة الاقدمين ، وكثير من المحدثين ••

ولكن ثمة فلاسفة آخرين ، مثل «نيتشه» ، يقولون : « ماهذا الاذعان لقدر تافه أهوج ؟•• وما هذه السعادة الفاقدة المعنى والقيمة ؟•• وما هذا العزوف عن حياة مليئة بالمخاطر ؟•• ما هذا الاستسلام ؟•• أهذا كل ما تقدمونه لنا ؟•• لا ، نحن لا نبغى السعادة ، وانما نبغى البطولة •• والعمل ! »

ولكن ، ما الذى يحول دون أن ينشد الانسان السعادة وهو يؤدى عمله ؟•• ان السعادة ليست مجرد راحة ، لا ولا هى البحث عن المسرة ، أو الكسل •• ان أكثر الفلاسفة تجهما يسعى كسواه الى السعادة ، ولكن بأسلوبه الخاص : بالحكمة مثلا، التى هى من أولى مقومات السعادة، فهى تمهد الطريق اليها بتخليص العقل من نزعاته العقيمة •• وهى تسكت الجدل غير المجدى بين أكثر المشاعر تفاهة •• فاذا تحقق ذلك ، أمكن أن توجد السعادة •• ولكن ، ترى كيف تكون هذه السعادة؟•• اننى أعتقد أنها خليط من الحب وانكار الذات •• وللحب أشكال شاسعة التباين ، تبدأ عند الحب الذى يتبادله كائنان من البشر ، وتنتهى عند حب الانسانية ، الذى أجاد الشعراء وصفه ••

وليس فى وسع من لم يقض الساعات ، أو الايام ، أو الاعوام مع شخص يحبه ، أن يدرك معنى السعادة •• اذ لا قبل له بأن يتصور معجزة طويلة الامد كهذه ، تخلق من المناظر والاحداث العادية وجودا ساحرا ••!

ولقد كان « ستندال » واحدا من أولئك الذين فهموا حق الفهم ما بين السعادة والحب من « تفاهم » !•• تجلى ذلك فيما أورده فى قصة له وهو يصف سعادة « فابريس » ــ بطل

◆ **ان سعادتنا تتبخر فى اللحظة التى نتمنى فيها أن نكون أسعد حالا مما نحن !** **« لاندرو »**

القصة ـ فى سجن (بارم) : كان الشاب مهددا بالموت ، ولكن هذا الخطر هان عليه حين أخـــذت « كليليا » تزوره زيارات خاطفة، فتشيع الضوء فى أيامه، وتوشى لياليه بالاحلام السعيدة!

الحب يولد القناعة !

وشبيه بحب المرأة والرجل في جلب السعادة ، عواطف حب أخرى منها : عاطفة الامومة لدى الام، وحب الزملاء بالنسبة للزعيم، وحب العمل لدى الفنان، وحب الله لدى القديس .. فاللحظة التى ننسى فيها أنفسنا تماما ونندمج فيها فى وجود آخر ـ مدفوعين بباعث غامض لا يدركه العقل ـ هى اللحظة التى نبلغ فيهـــا شاطىء السعادة ، فلا تغدو ثمة قيمة للاحداث التى لا تتعلق بهذا الوجود الآخر الذى نفنى فيه .. فالمرأة غير السعيدة لا تكف عن طلب الترف والرفاهية ، أما المرأة التى تحب رجلا ، فتقنع بالارض مرقدا ..!

وصحيح ان المرء اذا ما منح حبه لمخلوقات ضعيفة لا يلبث أن يغدو عرضة للشقاء ، مستعبدا لعاطفته .. فالذى يهيم بامرأة، أو بأولاده ، أو بوطنه ، انما يضع نفسه تحت رحمة الحظ .. فهو لا يلبث أن يعذب ـ وان بدا موفور الصحة .. وأن يضعف ـ وان ظهر قويا .. وأن يضطر الى التماس الرحمة ، مهما كان شجاعا ، ذا صبر وجلد وقدرة على الاحتمال .. ذلك لانه يغدو فى قبضة الحظ ، يرقب فى قلق مشبوب مرض أولئك الذين يهيم بحبهم ، اذا مرضوا ، الامر الذى يسبب له عذابا يفوق عذاب أى مرض يصيبه هو ! اذ انه برغم اكتمال قواه البدنية ، يتوق الى أن يمد يد المساعدة لعزيزه المريض ، ولكنه يشعر بأن مساعدته عديمة القيمة اطلاقا .. وهو يتمنى أن يسلم نفسه للمرض بدلا من « رهائنه » الغالية ، غير ان المرض ـ فى عتوه وطغيانه ـ يختار ضحاياه بملء حريته ، فى غير اشفاق ، فلا

◆ كل الناس يتحدثون عن السـعادة ، ولكن ما أقـل الذين يعرفونها !
« مدام رولان »

يلبث صاحبنا أن يشعر على الرغم من نفسه بأنه جبان غادر ، لانه نجا من المرض ٠٠ وهذا أقسى ما يصيب الانسان من ألوان العذاب !!

وتلافيا لهذه الصدمات والآلام ينصح الفلاسفة الرواقيون بأن لا يودع الانسان ذخيرته من الحب الا حيث يكون واثقا من الدوام والثبات والوفاء ٠٠ ومن هنا تنبعث السعادة الخالدة الخالصة التى يستشعرها الاتقياء الصادقون من المتدينين فى حبهم لله ولانبيائه ٠

السذج أسعد الناس !

ومن أخطر العقبات فى سبيل السعادة ، ما يلازم الانسان فى عصرنا هذا من بلبلة حين يحاول ـ وهو ملء الذهن بالمذاهب والنظريات الحديثـــة المبهمة ـ أن يحلل ويعلل الاحساسات الحقيقية التى تمر به ٠٠ فى حين أن الحيوان والسذج من الناس ينالون السعادة بطرق أكثر تمشيا مع الطبيعة ، لان رغباتهم أكثر بساطة وصدقا من رغبات هذا الانسان الحديث !٠٠ فما الانسان المتمدين سوى ببغاء يعيش أسير ثرثرته ، ولا يكف عن الايحاء لنفسه بما لايشعر به فعلا منعواطف الحب والكراهية٠٠

◆ **وقد** نشرت صحيفة « التايمز » الانجليزية منذ سنوات فى أحد الاعمدة التى كانت تخصصها للشكايات هذا السؤال : « هل ترغب فى أن تعرف سر السعادة ؟ » ٠٠ فانهالت عليها رسائل القراء « الباحثين عن السعادة » ، واذ ذاك أرســـلت الجريدة الى كل منهم خطابا تضمن هـــذه السطور من رسالة القديس متي : « اسألوا تعطوا ٠٠ اطلبوا تجدوا ٠٠ اقرعوا يفتح لكم ٠٠ لان كل من يسأل يأخذ ، ومن يطلب يجد ، ومن يقرع يفتح له » ٠٠ وهذا هو سر السعادة فى الواقع ٠٠ فلا بد لمن ينشد الحب أن يجده ، ولمن يتفانى دون تحفظ فى الود أن يلقى

◆ **السعادة تنمو الى جوار مدفئتنا ، ولا تلتقط من حـدائق الغرباء !**
« دوجلاس جيرولد »

الاصدقاء ٠٠ ولن يجد السعادة سوى ذاك الذى يرغب فيها بكل قلبه ٠٠!

وما السعادة ـ اذا حللناها الى عناصرها الرئيسية ـ الا ألوان من الكفاح والاسى ، يتخللها ذلك الاكسير السحرى الذى يسكب فيها كل متعتها ، وأعنى به : الامل !

لا سعادة بغير تفاؤل !

◆ **من** هذا كله نرى أن ليست هناك حياة سعيدة وحياة شقية ٠٠ وانما هناك شخصية ، أو بالاحرى « نفس » سعيدة ونفس شقية ٠٠ فالمتشائم يقول اذا أحس ببرودة فى الجو : « أف ٠٠ أكاد أموت من هذا البرد الفظيع ! » ٠٠ أما المتفائل فيقول : «ما ألذ الجو البارد» ٠٠فهو ليس سعيدا لانه يستشعر دفئا ، وانما هو يستشعر الدفءلانه سعيد ! ٠٠ وهو يظل متفائلا حتى فى المرض ٠ وأذكر أن أستاذا لى أصيب يوما بداء الصفراء ، وكان فيلسوفا ، كما كان أعقل متفائل رأيته فى حياتى ٠٠ فقد كان يشعر بدائه ، ولكنه يقول : « انى أعرف اننى مصاب بالصفراء ، وهذا خليق بأن يحزننى ٠٠ ولكننى لست حزينا حتى أجد بنفسى ميلا الى الحزن ! »

على أننا لم نخلق كلنا فلاسفة لسوء الحظ ٠٠ **والتفاؤل يقوم على عوامل عدة : أولها الوالدان ، والتربية فى مرحلة الطفولة ٠ فالطفل الذى يولد لابوين على وئام ، يغمرانه بالعطف ، يظل محتفظا طيلة حياته بذلك الشعور الذى داخله منذ طفولته ٠٠ الشعور بعالم من الحب ودفء المشاعر والتفاهم المتبادل ٠٠٠ أما الاسرات المتصدعة المنقسمة على أنفسها فتربى أناسا متشائمين ٠٠ والزوجة النكدة تستطيع أن تخلق من زوجها رجلا ينظر الى الحياة بمنظار أسود !**

◆ **القول بأن أسعد الناس هم أقلهم حساسية يذكرنى بالحكمة الهندية القائلة : ان الجلوس افضل من الوقوف ، والرقاد أفضل من الجلوس ، ولكن الافضل من ذلك كله : الموت ! « شامفور »**

أربع « وصفات » للسعادة !

على أننا قلنا ان السعادة مسألة ارادية ·· ومن ثم ففي وسعنا أن ننشيء نفوسنا وشخصياتنا من جديد ، حتى بعد طفولة تعسة أو زواج غير موفق ·· وعندى لذلك أربع « وصفات » ناجعة أستخلصها من كل ما أسهبت من قبل فى شرحه :

◆ **١ ـ العمل** : أو على حد قول (شيللى) : « ان سعادة التعس تكمن فى العمل » ، فالتفكير العقيم الذى لا يفضى الى عمل ، يقود دائما الى الشقاء ، لانه يولد الشك والحيرة ·· بينما العمل ، أى عمل تصلح له ، كفيل باسعادك ·· وفى هذا يقول (برتراند رسل) : « اننى حين أصغى الى مناقشات أصدقائى الاذكياء المثقفين أغدو متشائما · ولكنى عندما أتحدث مع بستانى بسيط أشعر أن الحياة تستحق أن نعيشها ·· فحتى العمل الذى لا يؤدى الى نتائج ايجابية ، كممارسة الفنون والالعاب ، عظيم الفائدة ·· فالفن يقود خيالنا خلال مسالك ممتعة ·· ومباراة « بريدج » واحدة كفيلة بصرف أفكارنا عن المستقبل المجهول ، والماضى الذى لا يمكن اصلاحه ! ·· أو لم يصدق شيللى اذن فى قوله ان سعادة النفس تكمن فى العمل ، أيا كان نوعه ؟

والعلاقة بين العمل والسعادة وثيقة الى درجة تحتم على المرء أن لا يتقاعد تقاعدا كاملا يوما ما ·· فاذا ترك العمل الذى قضى فيه حياته ، لانه بلغ سن التقاعد وجب عليه أن يبحث عن عمل آخر مهما قل شأنه ·· أو أن يتخذ لنفسه هواية ، أو يقبل على دراسة جديدة ·· أى أنه يجب أن يعمل شيئا على أى حال ، فهذه فرصته الوحيدة كى يبقى محتفظا بشبابه ! وقد قال أحد تلاميذ سقراط له : « ولماذا تدرس الموسيقى وانت فى السجن،

◆ **الانسان الطيب وحده هو الذى يستطيع أن يسعدنا .. ولكن لا يلزم أن يكون المرء شريرا كى يتسبب فى شقائنا ! « ايفان بانين »**

وقد أوشكت أن تلقى حتفك ؟ » فكان جوابه : « لازداد بها معرفة قبل أن أموت » ٠٠ فما أجمله من جواب وما أعمق معناه !

◆ ٢ - **لا تفرط فى التأثر من أعماق قلبك** لكل ما لايتوقف أمره عليك ٠٠ انك قد تقول : « شد ما أنا مستاء لما يجرى فى كوريا » ٠٠ أو « ماذا يمكن أن نفعل من أجل ايران » ٠٠ أو « ان حالة أندونيسيا تقلقنى وتسلبنى النعاس » ٠٠ الخ ٠٠ ولكنك لست وزيرا ولا عضوا فى مجلس الامن ، فخير لك أن تدع شواغل كوريا لمن هم فى مراكز تتيح لهم أن يلموا بها وان يعملوا من أجلها ٠٠ وليس معنى هذا أن لا تحيط علما بالامور ٠ بل يكفى أن تلم بها الماما بسيطا ، أما مهمتك الرئيسية فهى أن تكون مواطنا صالحا فى محيطك الخاص ٠ فاذا أديت هذه المهمة على خير وجه ، و « اذا كنس كل مواطن الرصيف المواجه لبيته، صار الشارع كله نظيفا ! »

◆ ٣ - **تذكر أن تنسى !** ٠٠ عش فى الحاضر أكثر مما تعيش فى الماضى ٠ فهناك كثير من الرجال والنساء يعيشون فى سعادة اذا لم تخالجهم ذكريات تعسة ٠٠ وكم من أزواج وزوجات يفسدون حياتهم المشتركة بتذكر الاحقاد القديمة وتجديدها عند كل مناسبة أو أبسط عتاب ٠٠ بينما يجدر بكل امرىء أن ينسى ويصفح، فالذى يحسن الكراهية يكرهه الناس، والذى لا يصفح انما يجمع حوله الاعداء، والعاقل من يعيش فى اللحظة الحاضرة!

◆ ٤ - **لا تسرف فى استباق الحوادث !** فأن تكون « بعيد النظر » شىء محبب ، ولكن لا تغالى فيه أكثر من اللازم ، سيما وانك لن تستطيع أن تتوقع كل شىء ٠ وقد صدق شكسبير حين قال : «ان ما لا نتوقعه هو الذى يقع دائما !» ونحن لا نجهل المستقبل فحسب ، بل حتى لو صدق حدسنا ووقع ما انتظرناه، فان نفس الاشياء التى توقعناها قد يكون لها علينا تأثير مخالف

◆ **هل توجد سعادة الا ونحن نشتريها بقدر كبير أو قليل من الالم ؟**
« مسز اوليفانت »

للذى كنا نحسبه ! وهناك أشخاص يعيشون فى فزع من حادث سيارة أو كارثة طائرة ، فى حين ان الحادث الذى يخشونه قد يقع لهم ، لكن الوقت لن يتسع لهم يومئذ كى يحسوا بالخوف ! ‥ فالامر يبدو لخيالهم من بعيد مرعبا ، لكنه عند حدوثه لن يكادوا يشعرون به !

والآن ، قد يقول بعضهم : « من المتعذر أن يجد الانسان السعادة فى أعماق نفسه ‥ ومن المستحيل أن يجدها فى الظروف الخارجية ‥ ! »

ولكن ‥ فلنحاول أن نجدها فى أنفسنا ، فقد أثبتت تجارب كثير من الحكماء أن هذا أمر ممكن !

قالوا فى السعادة ‥

◆ قبل أن يموت الانسان ويدفن لا ينبغى أن يوصف بانه سعيد !
« أوفيد »

◆ اسعد فترة من حياة الانسان هى التى يقضيها مضطجعا فى فراشه بعد أن يستيقظ فى الصباح « دكتور جونسون »

◆ من الوان السعادة أن نعرف الى أى حد كان يمكن أن نكون تعساء ! « لاروشفوكو »

◆ السعادة تكمن فى مذاقنا ، لا فى الاشياء الخارجية نفسها ، ونحن نسعد بالحصول على ما نشتهيه نحن وليس ما يجده الآخرون شهيا !
« لاروشفوكو »

◆ المتعة تتسلل احيانا الى مكان السعادة ، لكنها تجده واسعا عليها ! « الكونتة ديانا »

◆ ليس صحيحا أن جميع السعداء متساوون فى سعادتهم ، فقد يكون الفلاح والفيلسوف كلاهما قانعا ، ولكن سعادتهما ليست متساوية ‥ كما أن الكأس الصغيرة والكبيرة قد تكون كلاهما مليئة ، لكن الكبرى تسع من الشراب اكثر مما تسع الصغرى ! « دكتور جونسون »

◆ سر السعادة أن نحب بغير اشتهاء ، وهذه ليست سعادة !
« برادلى »

◆ السعيد لا يقول يوما ولا يسمع كلمة : وداعا ! « لاندور »



شعوب العالم وكيف تعيش – ٤

تعال معى .. نواحى هولنده

للرحالة و . هـ . جيتار

بلاد .. تحت مستوى البحر !

◆ « **هولندا** .. بلاد القنوات ، والزهور ، وطواحين الهواء ! »

هذه هى الفكرة التى سادت الاذهان منذ القدم ، فما أن يذكر اسم «هولندا» حتى تتبادر الى مخيلة السامع صورة أرض منبسطة ، تتخللها القنوات والمسالك المائية ، وتحف الاشجار بطرقها المستقيمة من الجانبين ، وتترنح عند حافة أفقها أذرع الطواحين الهوائية ، وتبهر العين فى كل اتجاه منها ألوان الزهور النضرة التى تملأ حقولها الشاسعة ، ومناظر الثياب القومية الطريفة التى يرتديها أهلها ..

حيث يجتمع القديم والجديد ..

ومع ان هذه الصورة بعيدة كل البعد عن اعطاء فكرة صحيحة عن حقيقة الحياة الهولندية ، فانها تساعد فى الواقع على ايضاح ناحية من أهم نواحيها .. فانه لم يقدر لبلد أن يجمع بين القديم والجديد ، وأن يمزج التقاليد العريقة بمعالم الحياة الحديثة ، مثل ما قدر لهولندا .. واذا شئت أن تستعرض صورة لهولندا فى القرن

العشرين ، فدع عنك الارض وتضاريسها ، واتجه الى شخصيات أهلها : تمثل فى مخيلتك صورة رجل فى ثياب تجار البحر الاقدمين من الاوربيين ، يقف على ظهر باخرة من أحدث طراز!٠٠ أو رجل فى ثياب أهل الصناعة الغابرين ، يقف فى مصنع حديث ٠٠ دون أن يشعر أى منهما بأنه فى جو غير الجو الذى اعتاده ، والذى يلائمه ويليق به !

وأرض هولندا سهلة منبسطة ، تنتهى من ناحية الشرق الى مروج مترامية الاطراف ، ومن ناحية الجنوب الى تلال٠٠ **وتعتبر طواحين الهواء من المعالم التى ترتبط بكيان هولندا وتاريخها ، فان جزءا كبيرا من أراضيها كان تحت مياه البحر فاستخلصه الاهالى وعمروه، ومن ثم نجد ان ثلثى مساحة البلاد ـ على الاقل ـ تنخفض عن مستوى سطح البحر ، مما يحتم نزح المياه عنها باستمرار والا استحالت الى مستنقعات !**

وقد كانت طواحين الهواء من أقدم الوسائل التى لجأ اليها الهولنديون لتوليد القوى المحركة لمضخات نزح المياه ٠٠ وهى لا تزال تؤدى دورا هاما فى هذا الميدان ، رغم ازدياد الاقبال على استخدام الكهرباء فى ادارة المضخات ٠٠

الهولندية ربة بيت تزهو ببيتها !

◆ **والبيت** الهولندى مبعث زهو للمرأة الهولندية ٠٠ فهى لا تألوا جهدا فى مسح واجهته الامامية ـ بل والرصيف الممتد أمامها ـ وتنظيفهما فى صباح يوم السبت من كل اسبوع ، سواء كان البيت قائما فى أحد شوارع المدن الكبرى ، أو فى حارة صغيرة ، وقد حفت به من الخلف احدى القنوات ٠٠

أما فى داخل البيت ، فتروع الزائر مظاهر النظافة التامة أيضا فى كل ركن ٠٠ حتى الموقد الذى يشعل بالفحم الحجرى يبدو كقطعة من الاثاث لفرط نظافته ، ولذلك يبنى فى احدى الحجرات ، لا فى ساحة الدار !٠٠ وفى المطبخ ، يلاحظ الزائر

على الارفف مختلف أنواع الخضر وقد حفظت كميات كبيرة منها فى أوعية زجاجية ٠٠ وقد اختفت من البيت الهولنـدى معظم أنواع الاثاث القديمة الطراز ، غير ان الهولنديين أبوا بديلا بصوان الملابس التقليدى ، وهو صوان ضـخم ذو بابين من الخشب المتين ، يقوم خلفهما بابان آخران من خشب مثقوب فى زخرفة بديعة لتهوية الملابس ولصد الصغار عن العبث بها !٠٠
وتفخر المرأة الهولندية بأنها ربة بيت موفقة ، فبيتها فى الواقع موطن للنظافة والراحة المثاليتين !

القبعة المعدنية ذات « الدانتيلا » والزخارف الذهبية

◆ **والزى** القومى الهولندى ليس فى الحق سوى زى ريفى، لا يزال منتشرا فى اقليم « زيلند » ٠٠ كما ان النعال الخشبية لا تزال شائعة فى الريف ، اذ أنهـا تبعث الدفء في أقدام الفلاحين وتقيها الماء والرطوبة في المناطق السبخة ٠٠ ويرجع بقاؤها الى طبيعة الارض من ناحية ، والى سهولة خلعها عند باب الدار، ليستعيض الشخص عنها بالنعال المنزلية ـ «الشباشب» ـ ومن ثم ففى وسع أى مار بالدار الهولندية الريفية أن يحدس عدد من فيها باحصاء النعال الخشبية المرصوصة أمام الباب !
ولعل الشىء الوحيد الذى لا يزال باقيا وشائعا من الزى القومى التقليدى ، هو القلنسوة المعدنية ذات الحواف «الدانتيلا» ٠٠ ويرجع عهدها الى القرن الخامس عشر ، كما يختلف شكلها باختلاف المناطق والمذاهب الدينية ٠٠ وغالبا ما تزركش بالذهب و « الدانتيلا » الغالية

ابن العامل وابنة الملكة فى المدرسة

◆ **ويستيقظ** الصغار مبكرين ـ سواء كانوا من أهل المدن أو أهل القرى ـ فيتناولون فطورا من الخبز والزبد والجبن ، يصحبه كثير من اللبن ، ثم يرتدون نعالهم الخشبية ويذهبون الى مدارسهم ٠٠ **وتستطيع المدرسة الهولندية أن تفخر بأنها**

حصن حصين للديموقراطية ، فيجد ابن العامل بين زملائه ابن الغنى وابن العمدة أو المحافظ ، وابن البدال وابن رجل المال٠٠ ولعل أكبر مثل على هذه الديموقراطية أن بنات ملكة هولندا يتلقين علومهن فى المدارس العادية، ويجلسن بين مختلف التلاميذ على تباين طبقاتهم ٠٠ فالكل سواء ، بلا استثناء !

ويعود الصبيان الى دورهم عند الظهر فيتناولون غداء يصحبه كثير من اللبن أيضا ٠٠ وما أجمل منظرهم وهم منطلقون على دراجاتهم فى الشوارع عند ساعات الانصراف من المدرسة ، زرافات كالاسراب !

والزراعة أهم ما يعنى الهولنديون بدراسته٠٠ ويدرس الذين يصبون الى العمل فى المستعمرات الهولندية كل ما يختص بالزراعة فى المناطق الحارة ، فى جامعة « فاجيننجن » ، اذ أن اجازة هذه الجامعة تمهد لاى شاب الطريق كى يتبوأ مركز الادارة فى مزارع السكر أو المطاط فى أية جزيرة من جزر الهند الشرقية ٠٠

حفلات الخطوبة والتعارف

◆ **وتعتبر** المواصلات المائية من أهم مواصلات « هولندا » ، اذ أن القنوات والمسالك المائية تتخللها تخلل الشرايين والاوردة جسم الانسان !٠٠ وتدين البيئات الزراعية لهذه المواصلات المائية بكثير من فضل سهولة ارتباطها بالاسواق المحلية، وفضل نجاح محصولاتها فى غزو الاسواق الخارجية ، فان رخص النقل وقلة تكاليف التصدير تمكن المنتجات الهولندية من منافسة مثيلاتها من صادرات الدول الاخرى

ومهما أخذ ابن الفلاح بأسباب المدنية الحديثه ، فهو لا يزال يحرص على تقليد قديم يحمله على أن لا يتزوج الا من احدى بنات الوسط الذى يعيش فيه ٠٠ ويحتم العرف أن يقدم كل من الخطيبين ـ سواء كانا من الريف أو المدن ـ صاحبه الى أهله

وأقاربه ، فى سلسلة من المآدب المتبادلة التى يتجلى فيها الكرم الهولندى فى أقصى مظاهره ٠٠ وتعقبها سهرات راقصة غنائية مرحة ٠ وتدوم هذه المآدب عادة اسبوعا ، تختفى خلاله الكلفة والتظاهر وتنطلق النفوس على سجيتها ٠٠

الحياة فى المــدن الهولندية

◆ **واذا** آثر الشاب عقب تخرجه فى الجامعة أن ينزل الى ميدان الحياة الحرة ، فانه يعمل على الالتحاق باحدى مؤسسات الاعمال فى المدن ، حيث يبدأ العمل فى الساعة الثامنة صباحا ، وينتهى فى ساعة مبكرة من بعد الظهر ، ومن ثم يتسع له الفراغ ليمارس بعض الهوايات الرياضية كالتجذيف والسباحة ولعب التنس وكرة القدم ٠٠ أما الامسيات فيختلف فيها الى المقاهى ، حيث يلتقى بأصدقائه حول أقداح البيرة ، أو القهوة التى تمتاز بكثرة ما يضاف اليها من القشدة « الكريمة » ٠٠ على أن المقاهى ليست كل شىء ، فهنــــاك دور السينما والمسارح وصالات الموسيقى والرقص ٠٠

أما اذا كان الشاب متزوجا ، فهو يؤثر أن يلتقى بأصدقائه فى شرفة داره ، التى تشرف عادة على بستان يتوسطه حوض نمت فيه الزهور ٠٠ وهذا الحوض يحظى بأكبر قسط من الرعاية ، وتستنبت فيه الزهور ذات الالوان البهيجــة ، كالتوليب ، و « البيجونيا » ـ المعروفة باسم « أذن الفيل » ـ و « الداليا » ، كل فى موسمها ٠٠ وفى كثير من المدن ، تقضى اللوائح بمنع اقامة أسوار صماء حول حدائق البيوت ، كى لا يحرم المارة من متعة رؤية الزهور الجميلة !

الرياضة والنزهات ٠٠ على صفحة الجليد

◆ **والرياضة** والتردد على ساحل البحر من أهم ما فى برامج التسلية والترويح بالنسبة للاسرة الهولندية ٠٠ وهناك أيضا المناسبات القومية ، وفى مقدمتها « أحد الابصال » ، عندما

يحج القوم الى حقول أبصال الزهور حول مدينة « هارلم » ، ويتسابقون فى السيارات وعلى الدراجات وظهور الخيل ليمتعوا أنظارهم بمرأى البراعم وهى تنفصل عن الابصال ، ويساهموا فى اقتطافها لكى لا تسطو على غذاء الابصال ذاتها ٠٠ وما أجمل منظر العودة فى مساء ذلك اليوم ، وقد زينت آلاف المركبات والدراجات بأزهار النرجس ، والسوسن وغيرها !

والشتاء من الفصول التى يترقبها الهولنديون بشغف ، رغم برودته القارسة ٠٠ فهو لديهم سلسلة من « الكرنفالات » ٠٠ وعلى الرغم من انتشار وسائل النقل الحديثة ، الا أن الزحافات سرعان ما تظهر على سطوح القنوات بمجرد ظهور الجليد ٠٠ **ويقبل الناس على التزاور مع معارفهم وأقاربهم الذين يقيمون على مسافات بعيدة منهم ، قد تصل أحيانا الى عشرين أو ثلاثين ميلا ، وذلك حبا فى الاستمتاع بالانزلاق على الجليد !٠٠** وهم ينطلقون جماعات فى هذه الرحلات الانزلاقية ، وسط عواصف من المرح والسرور ، عارجين على المطاعم والمشارب الصغيرة التى تقام على الجليد لتبيع للمتريضين وجبات خفيفة قوامها الاسماك المدخنة « الرنجة » ، والشطائر ، والفطائر والكعك ٠٠

ومن ضروب الرياضة الخطرة التى يقبل عليها القوم رغم ما فيها من مغامرات قد تذهب بالحياة ، رياضة الانطلاق فى القوارب الشراعية الجليدية ، التى تندفع على الجليد بسرعة قد تصل الى ٤٥ ميلا فى الساعة اذا كانت الريح قوية ٠٠ فاذا ارتطم القارب منها بموجة متجمدة ، أو اندفع الى مساحة غير مستوية من سطح الجليد ، كان عرضة للانقلاب ٠٠ ولوقوع الكارثة !٠٠ ومع ذلك ، فان القوم لا يسمحون للخطر بأن يحرمهم من لذة هذه الرياضة ٠٠ وكثيرا ما تتسابق القوارب والريح تدفعها بسرعة هائلة !

المراكب المتسللة فى جنح الظلام

◆ **ومن** أجمل المناظر فى هولندا ، ذلك المنظر الذى يبدو للواقف على ضفة أى قناة من القنوات ، والليل مظلم داكن ٠٠ والمراكب تنساب فى هدوء ، وقدما المراكبى توقعان بنعليهما الخشبيين طرقات منتظمة على سطح المركب ، ثم تكفان عن التوقيع ٠٠ ولا يلبث أن يسمع صوت شىء يرتطم بالماء برفق ثم يحركه (صوت المجداف الفردى الذى يحرك « الصندل ») ٠٠ وضوء المصباح الواهن المثبت الى الصارية الامامية يهتز فى اتئاد مع حركة المركب ٠٠

والنقل المائى لا يزال العنصر الاول فى نقل السلع من زهور ولبن وجبن وخضر وفحم وبنجر وسمك وغير ذلك ، الى المدن ٠٠ وان مرأى الزهور والفواكه والخضر وهى مكدسة على المنصات المقامة بين الاشجار على ضفاف القنوات المنسابة بين البيوت التى يرجع طرازها الى القرن الخامس عشر أو القرن السادس عشر ـ فى مدينة مثل « امستردام » ـ ليفوق فى روعته أجمل اللوحات الفنية ٠٠

شعب يولع بالاكل

◆ **والهولندى** بطبعه أكول نهم ، والاستمتاع بالطعام من أشهى ملذاته فى الحياة ٠٠ ومن المألوف فى الايام العادية ، حين يطلق ذوو الميسرة من الهولنديين لشهيتهم العنان ، أن نجد مائدة العشاء ـ التى تمد عادة فى الساعة السادسة مساء ـ حافلة بالقواقع والحساء الدسم ، و « السلمون » ، والشواء ، والدجاج والطيور ، والخضر ، ثم تنتهى الوجبة ببعض الحلوى المثلوجة ، والفطائر المحشوة بالكبد والقوانص !٠٠ ومثل هذه الوجبة الدسمة لا بد أن يصحبها خير أنواع النبيذ المنتقاة ، والشمبانيا الحلوة المذاق ، والبراندى ، والقهوة ٠٠ وكلها كفيلة بأن تساعد الامعاء على هضم الطعام ، فلا يلبث أن يقدم الشاى والفطائر اذا

ما اكتهل الليل !٠٠ وبذلك لا يأوى الهولندى الى الفراش بمعدة خاوية !

أما فطور الهولندى الميسور الحال ، فيتألف من اللبن الزبادى وقد نثر عليه السكر والقرفة ، والخبز الابيض ، وخبز الشوفان الاسمر ، وقطع رقيقة من لحم الخنزير ، والسمك المدخن « الرنجة » بالصلصة ، وعدة أنواع من الجبن تقدم على صحاف صغيرة من الخشب ٠٠ كما يقدم الشاى ليساعد على ابتلاع كل هذه الاصناف ٠٠

ولا يحتفل الهولنديون بأعياد كثيرة ، لذلك فليس بالمستغرب منهم أن يفرطوا فى احتفائهم بأعيادهم القليلة كعيد « سانتاكلوز » وعيد « القديس نيكولاس » ، فتراهم يسرفون فى تبادل الهدايا ، ويوقدون الضوء فى نوافذ الدور ، ويأكلون الكعك المصنوع من الجنزبيل ، ويتركون نعالهم الخشبية خارج الدور طمعا فى أن يجدوها فى الصباح التالى مليئة بالهدايا ٠٠!

الطبقة الاقطاعية فى طريق الانقراض

◆ **وفى** أطراف السهول المنبسطة، أومناطق غابات الصنوبر، يصادف المرء بعض القصور والقلاع التى بنيت منذ خمسة قرون أو أكثر لحراسة بعض الانهار أو القنوات ٠٠ وخلال طريق تحف بها أشجار الدردار والزان ، يصل المرء الى بوابة ضخمة يقوم من خلفها جسر يمتد على خندق غائر، تنعكس على مياهه صورة المنظر محفوفة بشىء من السحر والغموض ٠٠

على أن أول ما يأخذ الزائر فى داخل هذه القصور ، خلوها من مظاهر الترف والرفاهية ٠٠ بل انهـا كثيرا ما تخلو من وسائل الراحة الحديثة ، مما ينم عن الحياة الهادئة الخاملة التى يحياها كبار الملاك ، والتى ساهمت فى استقرار هولندا كأمة ٠٠ لا سيما وان الضرائب الباهظة على التركات ، وقوانين الميراث التى تقضى بتقسيم تركة المتوفى بين أبنائه بالتساوى ، أدت الى تفتت الملكيات الكبيرة واختفاء معظمها ٠٠

وأظهر ما فى المجتمع الهولندى انه مقسم الى ثلاث طبقات رئيسية : ملاك الاراضى ، سواء من يحملون منهم الالقاب أو من لا يحملونها ‥ والتجار ‥ والمزارعون ‥ **ولكن هذه الطبقات جميعا تشترك فى الوفاء والاخلاص للوطن ، والايمان بأن عهد الحياد والعزلة - على ما كان يتسم به من هناء ورخاء - قد ولى وانقضى ‥**

مدمنة زواج !

◆ **فى** احدى الحفلات التى حضرها الناقد الامريكى الكبير « روبرت » بنشلى » اشترك المدعوون فى لعبة مؤداها أن يكتب كل منهم عبارة الرثاء التى يقترح أن تكتب على قبره عند موته ، ثم يتلوها على الباقين ‥

وكانت الى جوار بنشلى ممثلة اشتهرت بكثرة زيجاتها المتوالية من رجل بعد آخر ‥ فالتفتت الى جارها قائلة : « لست أدرى ماذا أكتب رثاء لنفسى ؟ »

فأجابها بنشلى : « دعينى أكتب لك رثاء ‥ »

وكتب الرثاء ، ثم كتب لنفسه رثاء آخر ‥ وبعد حين قرىء على الحاضرين ما كتبه كل منهم ٠ فكان نص رثاء الممثلة المزواجة ما يلى :

- « أخيرا رقدت لتنام وحدها ! »

عذر أقبح من ذنب !

◆ **سأل** القاضى المتهم : « أو تريد أن تقول انك ألقيت بزوجتك من نافذة الطابق الثانى بسبب النسيان ؟ »

فأجاب المتهم : « نعم يا سيدى ، فقد كنا دائما نقطن فى الطابق الارضى ، وقد نسيت اننا انتقلنا الى طابق أعلى ! »

الحياة قصة



روائع القصص العالمى

عزيزى القارىء ...

قرأت معى فى اعداد السنة الاولى من «كتابى» ، القصص العالمية الاتية على التوالى :

- أموك : لستيفان زفايج
- قلب عذراء : جون جالزورثى
- مرتفعات وذرنج: اميلى برونتى
- التلميذ : بول بورجيه
- احدب نوتردام: فيكتورهوجو
- جريمة حب : بول بورجيه
- جين اير : شارلوت برونتى
- ايام بومبى الاخيرة: لوردليتون
- مانون ليسكو : الاب بريفو
- حديقة الله : روبرت هتشنز
- عندما تحقد المرأة: جورج أونيه

واليوم اقدم لك فيما يلى هذه القصة الجميلة التى تهز المشاعر «آسيا» للروائى الروسى الفحل ايفان تورجنيف .. وفى الاعداد القادمة اقدم لك بأذن الله من روائع القصص العالمى :

- ايفانهو : والتر سكوت
- تاييس : اناتول فرانس
- المراهقون : البرتو مورافيا
- الخطاب : سومرست موم
- حب جنونى : فرانك هاريس
- الجريمة والعقاب : دستويفسكى الخ .. الخ


ASYA
Par
IVAN TURGENEV
إيڤان تورجنيف
آسيا

— ١ —

كنت وقتئذ فى الخامسة والعشرين ، شابا قويا أنيقا مرحا ، يملك الكفاية من المال ٠٠ أبعثر مالى وشبابى على هواى، بغير أن يخطر ببالى أن الزهر المورق يمكن أن يذبل يوما ، أو أن من يأكل الطعام الدسم المزود بالتوابل قد يأتى عليه يوم يشتهى فيه الخبز الجاف !

وكنت قد تحررت من سلطان والدى وشددت رحالى الى خارج البلاد ، لا لطلب العلم ، وانما اشباعا لرغبتى فى أن أرى الدنيا! ٠٠ وهكذا لبثت أتنقل فى رحلتى بغير خطة مرسومة أو هدف معين ٠ كنت أحل حيث يطيب لقلبى البقاء ، ثم أرتحل حين يغرينى الشوق الى رؤية « وجوه جديدة » بالرحيل !٠٠ ولم أكن أميل الى زيارة الاماكن الاثرية الهامة أو المتاحف والمعارض التى تزخر بمجموعات من « الجمادات الخرساء » ! ولا كان يشوقنى أن أرى جمال الطبيعة ممثلا فى الجبال والشلالات والغابات ٠٠ وانما كان همى الوحيد أن أعيش مع البشر ، أرى وجوههم الانسانية النابضة بالحياة ، وأستمع الى ثرثرتهم وضجيجهم ٠٠ أذهب حيث يذهبون ، وأصخب حين يصخبون ٠٠ أو قل انه كان يلذ لى أن أراقب الناس ، بل أمتحنهم ، فى كثير من الفضول المرح الذى لا يقنع ولا يشبع !

وفى الوقت الذى وقعت فيه أحداث قصتى كنت قد حللت فى بلدة (ز ٠٠) الالمانية الصغيرة ، على الضفة اليسرى لنهر الرين ، كى أستشفى فى هدوئها من الصدمة النفسية التى أصابتنى من أرملة شابة طروب عرفتها أثناء رحلة لى على ظهر احدى السفن ٠٠ وكانت جميلة ذكية ، لا تكف عن مغازلة جميع الرجال ، فشجعتنى على الوقوع فى شرك هواها ، ثم هجرتنى ذات يوم لتلحق بضابط « بافارى » أحمر الخدين !

وبمجرد وصولى الى بلدة (ز ٠٠) أعجبنى فيها موقعها، تحت سفح تل عال ، وأبراجها العتيقة ٠٠ وجوها العبق بأشجار الزيزفون ٠٠ وأخيرا - بل أولا - نبيذها المعتق الشهى !

وكنا فى شهر يونيو ، فلم تكن تحين ساعة الغروب حتى تغص الشوارع الضيقة بفتيات ألمانيا الشقراوات الجميلات ، اللواتى لا يصادفن أجنبيا حتى يبادرنه بتحيتهن المألوفة « جوتن آبند » بصوت عذب خفيض ٠ وأكثرهن لا يعدن الى بيوتهن قبل أن يشرق القمر من وراء سقوف البيوت الاردوازية المنحدرة ، فيلمع الحصى الصغير المنتثر فوق الارصفة ٠٠

فى هذه الساعات اعتدت أن أتسكع فى شواع المدينة ، فأمتع بصرى وحواسى بمرآى أمواج النهر الخفيفة وهى تتهادى على صفحته، وقد انعكست عليها من نوافذ المبانى ذات الطراز القوطى أشعة الشموع الذهبية المتراقصة ٠٠ وأتقبل على وجهى لثمات النسيم العابر ، وأستنشق عبير الزيزفون العطر بملء رئتى ٠٠ حتى أتعب من المسير فأجلس على مقعد حجرى تحت ظل شجرة دردار منعزلة ، أتأمل تمثالا صغيرا للعذراء ، وقد حملت فى صدرها قلبا قانيا مطعونا بسيف ، وأرسلت عبر أغصان الشجر التى أمامها نظرة ساهمة حزينة ٠٠

وذات مساء ، كنت جالسا فوق مقعدى الحجرى المختار، أنقل بصرى بين النهر والسماء والكروم الدانية القطوف ٠٠ حين ترامت الى سمعى فجأة أنغام موسيقى تعزف على الضفة الاخرى من النهر ، حيث تقوم بلدة « ل ٠٠ » فلما أصخت لها سمعى تبينت فيها لحنا من ألحان الفالس الراقصة العذبة ، تتناوب عزفه كمان رائعة وناى ساحر ٠٠٠ فسألت شيخا كان قد اقترب منى فى تلك اللحظة : « ما هذا ؟ »

فأجابنى وهو ينقل غليونه من ركن فمه الى الركن الآخر : « ٠٠ انهم طلبة يحتفلون بوليمتهم السنوية التقليدية « الكومرز » ٠٠

وأغراني فضولي ، فركبت زورقا الى الضفة الاخرى !

— ٢ —

◆ **كانت** الوليمة تضم شـمل طلاب البلدة الذين ارتدوا جميعا لهذه المناسبة السترة التقليدية للطلبة الالمان، ذات الطابع الهنغاري والالوان الزاهية ، وكانوا في مثل هذه المآدب السنوية يجتمعون باشراف رئيس أو عميد يختارونه من بينهم، فيشربون ويأكلون ويغنون ويضحكون حتى مطلع النهار ٠٠ وقد أقاموا وليمتهم هذه المرة أمام فندق « الشمس » الصغير ، في الحديقة المشرفة على الطريق العام ٠٠ فانتثروا حول الموائد المتفرقة تحت أشجار الزيزفون ، بينمـا انتحى عازفو الموسيقى جانبا في مقصورة تكسوها أغصان اللبلاب ، وراحوا يجددون نشاطهم - كلما تعبوا - بأقداح البيرة الشهية ! وفي الطريق ، خلف جدار الحديقة المنخفض ، وقف جمع حاشـد من أهل البلدة يشاركون الطلبة احتفالهم الشـائق ٠٠ فاندسست بينهم وقد راقني أن أتسلى برؤية الشباب يلهون ويتعانقون ويضحكون ، ضحكاتهم التي بلا سبب - أمتع أنواع الضحك على الاطلاق ! - وجعلت أسائل نفسي وقد استخفتني بهجتهم وجيشان عواطفهم: « لم لا أنضم اليهم ؟ »

وفيما أنا أغالب ترددي، سمعت صوتا خلفي يسأل بالروسية : « آسيا ٠٠ ألا تريدين التحرك من هنا ؟ » ٠٠ فأجابه صـوت امرأة ، باللغة نفسها : « فلنبق أيضا بعض الوقت ٠٠ »

والتفت نحو مصدر الصوت ، برغمي ، لارى شابا وسيما يرتدي سترة واسعة و « كاسكيت » ، وقد تعلقت بذراعه فتاة على رأسها قبعة عريضة من الخوص حجبت أعلى وجههـا ٠٠ فبادرتهما بلا وعي : « هل أنتما روسيان ؟ » ٠٠ فابتسم الشاب وهو يحييني : « نعم » ٠٠ فأردفت : « عفوا ٠٠ فاني لم أكن

أنتظر أن ألتقى بمواطنين لى فى هذه البلدة النائية ! » ٠٠ فقال مقاطعا : « ولا نحن !٠٠٠ لكن هذا من حسن حظنا ، دعنى أقدم لك نفسى : أنا أدعى « جاجين » ، وهذه أختى ٠٠ »

وعرفته بنفسى ، ثم دخلنا فى حديث طويل ٠٠ عرفت منه انه يجول فى البلاد مثلى طلبا للمتعة، وبرغم ايثارى تجنب الاختلاط بمواطنى حين أكون فى الخارج ، فان « جاجين » جذبنى على الفور ٠ كان لطيفا ، عذبا ، ذا عينين واسعتين جذابتين، وشعر ناعم مجعد ٠ وكان يتكلم بحيث تستطيع من مجرد سماع صوته — ولو لم تنظر اليه — أن تحس بأنه يبتسم !

وكانت أخته — كما دعاها — جذابة رشيقة ، ذات قامة فارعة، ووجه خمرى مستدير ، وأنف دقيق، وعينين سوداوين لامعتين، ووجنتين صغيرتين أشبه بخدود الاطفال ٠٠ وكان جسمها بديع التكوين ، عليه مسحة من جلال ٠٠ وان بدت شخصيتها غير كاملة النضوج ٠ لكن أهم ما لفتنى منها أنها لم تكن تشبه « أخاها » فى شئ !

قال « جاجين » موجها الكلام الى : « هلا أتيت معنا ؟ أعتقد اننا رأينا الكفاية من هؤلاء الالمان « المتعقلين » ٠٠ فلو كان هذا الاحتفال فى بلادنا لكسرنا ألواح الزجاج وحطمنا المقاعد ٠٠ ما قولك يا « آسيا » ، ألا تودين الذهاب ؟ »

هزت الفتاة رأسها علامة الموافقة ، فاستطرد جاجين : « نحن نسكن خارج البلدة ، فى منزل صغير منعزل وسط حدائق الكروم ، سوف يعجبك ٠٠ وقد وعدتنا صاحبته الليلة بعشاء من اللبن الزبادى ، فامض معنا لتستمتع بعبور (الرين) فى ضوء القمر ٠٠ »

ومضينا ٠٠ حتى خرجنا من باب المدينة — التى يحيط بها من كل الجهات سور حجرى عتيق — فاستقبلتنا الحقول الممتدة

الى مسافات بعيدة ٠٠ وبعد أن سرنا خلالها بعض الوقت وجدنا أنفسنا أمام باب خشبى صغير لحديقة واسعة ، منزرعة على سفح تل ، ففتحه « جاجين » وأخذنا نصعد الرابية خلال ممر وعر ، وقد ترامت حولنا على الجانبين كروم العنب ٠٠ وكانت الشمس قد غربت لتوها ، تاركة ضــوء الشفق الوردى يلقى حمرته على الدوالى الخضراء، وعلى جدران البيت الصغير البيضاء التى تطل منها أربع نوافذ مضاءة ترى من بعيد متوجة لقمة التل الذى كنا نتسلقه ٠ وحين اقتربنا من البيت صاح جاجين فى مرح : « هذا هو مثوانا الجميل ، وهذه صاحبته الطيبة : « جوتن آبند ، مدام » ـ (أى مساء الخير يا سيدتى) ـ فردت المرأة تحيته باسمة ، بينما استدار الينا جاجين قائلا : « والآن ٠٠ نظرة الى الوراء ، ما رأيكم فى هذا المنظر الطبيعى الساحر الذى نطل عليه ؟ »

وكان المنظر رائعا حقا ٠٠ « الرين » يجرى أمامنا بين ضفتيه كالثعبان الفضى ، وحين تقع عليه أضواء الشمس الغاربة يبدو كأنه يحترق تحت ذهبها الاحمر ٠٠ والبلدة الصغيرة جاثمة على شاطئه ، تحيط بها التلال والحقول ٠٠ والسماء فوق رؤوسنا آية من آيات العمق والنقاء ٠٠ والهواء الشفاف المنعش يتماوج على الوجوه ويميس ، كأنما يحس فوق المرتفع بمزيد من الحرية!

ولم أملك نفسى من القول لجاجين : « لقد أحسنت اختيار مسكنك ٠٠ » ، فأجابنى على الفور : « ان آســيا هى التى اختارته » ٠٠ ثم التفت اليها قائلا : « آسيا ٠٠ مرى باحضار الطعام هنا ، فسوف نتناول عشاءنا فى الهواء الطلق ، كى نسمع الموسيقى التى تعزف هناك ٠٠ ألم تلاحظوا من قبل أن الالحان ـ كهذا « الفالس » مثلا ـ تزداد روعة وسحرا كلما ابتعدت عن مصدرها ؟ »

ودخلت آسيا، ثم عادت بعد حين تصحبها ربة البيت، تحملان

صينية كبيرة عليها آنية اللبن والاطباق والملاعق والخبز والفاكهة، فجلسنا حول مائدة صغيرة نأكل ٠٠ وخلعت آسيا قبعتها فتهدل شعرها الاسود على عنقها وأذنيها ٠٠ وكانت فى البداية تتحاشانى، فقال لها جاجين مازحا : « لا تخافى ٠٠ انه لا يعض ! »

فابتسمت ، وبعد قليل توجهت الى بالكلام ٠ وكانت دائبة الحركة ٠٠ تنهض ، وتجرى الى الداخل ، ثم تعود عدوا وهى تغنى بصوت خافت ، وتضحك لأوهى سبب ، كأنما من أفكار تجول فى رأسها ٠٠ تضحك بعينيها الواسعتين اللتين ترسلان نظرة لامعة جريئة ، ترق حينا ، وتعمق أحيانا !

وقضينا على هذا النحو ساعة أو ساعتين ، نتجاذب الاحاديث خفيفة لينة ، كالهواء الناعم الذى حولنا ، ونصغى للموسيقى البعيدة العذبة ، ونجرع نبيذ الرين الشهى ٠ وكان النهار قد انطفأ تماما ، بعد أن تلون كثيرا ، وشحب ، ثم غاض تدريجا ٠٠ وأضيئت الانوار على الضفة الاخرى، وفى البلدة ٠ **وفجأة خفضت آسيا رأسها فتساقطت خصلات شعرها على عينيها ، وصمتت برهة ٠٠ ثم تنهدت وقالت انها تحس بالنعاس ، وهرعت نحو البيت ٠٠ لكنى لمحتها على الاثر وقد جلست وراء نافذة غرفتها ، بغير أن تضىء نورها !٠٠ وبقيت على هذا الوضع طويلا !**

ونهض القمر من مرقده ، فتمطى وألقى أشعته على أمواج النهر ٠٠ فتغير لون كل شىء ، حتى النبيذ فى كؤوسنا اتخذ لونا غامضا ولمع ببريق غريب !٠٠ وهبت الريح ، ثم طوت أجنحتها وخمدت حركتها ٠٠ ومن الارض فاح شذى فاتر كصلاة الليل ٠٠ فقلت وأنا أنهض :

ـ آن لى أن أنصرف ، والا تعذر على أن أجد ملاحا ينقلنى آلى الضفة الاخرى ٠٠

فقال جاجين : « نعم ، هذا أنسب ٠٠ »

ورحنا نهبط الطريق آلوعرة ، وفجأة بدأت تتدحرج وراءنا

أحجار صغيرة ، واذا آسيا تعدو لتلحق بنا !٠٠ فهتف بهـــا أخوها : « اذن فأنت لم تنامى ؟! » ٠٠ لكنها لم تجب ، وكانت قد لحقت بنا وجاوزتنا وهى مستمرة فى العدو ٠٠ وحين بلغنا ضفة النهر وجدناها تتحدث مع أحد النوتية ، فقفزت أنا الى قاربى وصافحت جاجين مودعا ثم مددت يدى الى آسيا ٠٠ لكنها لم تحرك ساكنا لمصافحتى بل اكتفت بأن نظرت الى ثم خفضت رأسها ٠٠ بينما جذب الملاح شراعه فمرق الزورق بنا ينزلق مع تيار النهر السريع ٠٠ وعلى غير انتظار جاءنى صوت آسيا تصيح بى من البر: « الى اللقاء ! » ، وصوت أخيها يردد وراءها : « الى غد » ٠٠ ثم ابتعد الزورق بى يشق اللجة السوداء ، وعلى جانبيه تصطفق الامواج ٠٠

وحين هبطت منه ، على الضفة الساكنة ، مضيت قدما نحو مسكني عبر الحقول القاتمة ، أستنشق الهواء المعطر ٠٠ حتى بلغت غرفتي وقد استخفتنى نشوة غامضة ٠٠ أحسست انى سعيد ، ولكن بم ؟ ولم ؟ لم أدر ٠٠ فما كنت أحلم بشىء ، أو أفكر فى شىء ، وانما كنتفقط ٠٠ سعيدا !

على هذه الحال أويت الى فراشى فى تلك الليلة ٠٠ وفيما أنا أغمض عينى لانام ، وثب الى ذهنى خاطر مفاجىء : « هل أنا عاشق ٠٠؟ » ٠٠ لكنى قبل أن أجيب على تساؤلى ، سرقنى النعاس من وعيى ٠٠

— ٣ —

◆ **صحوت** فى الصباح التالى على صوت طرق بالعصا تحت نافذتى وغناء مرح ، تبينت فورا انه غناء جاجين ، فأسرعت أفتح له ٠٠ وقال وهو يدخل : « اغفر لى وزر ازعاجك فى هذه الساعة المبكرة ، فان الصباح جميل منعش يستحق أن تستمتع به مثلى ! »

وكان هو ، بشـــعره المصفف اللامع ، وخديه المتوردين ،

وقميصه المفتوح ·· خير صورة للانتعاش ·· فلبست وخرجنا الى الحديقة حيث جلسنا على مقعد وطلبنا قدحين من القهـوة ونحن نثرثر ·· حدثني عن هوايته للرسم واعتزامه تكريس مستقبله له ، ودعاني الى زيارته لرؤية لوحاته التي رسمها ·· وأثناء الطريق حدثته أنا عن غرامي الفاشل للارملة الطروب ، فتنهد مرة أو مرتين على سبيل المجاملة ··

ولم نجد آسيا في البيت ، وقالت صاحبة النزل انها خرجت للنزهة بين أطلال القصر المتهدم الذى خلفه العصر الاقطاعى ، على بعد ميلين من البلدة ·· فلم نكد نفرغ من رؤية الرسوم حتى اقترح جاجين أن نمضى للبحث عن آسيا

كانت الطريق المؤدية الى الاطلال تتلوى على منحدر واد ضيق تكسوه الاشجار، ويجرى في وسطه غدير تصخب مياهه السريعة وهي تصطدم بالحصى ، كأنها ملهوفة للحاق بالنهر الكبير الذى يبرق مجراه من بعيد فى هدوء خلف قمم التلال السمراء ··

ولم نلبث أن أشرفنا على الطلل البالى· كان يقوم فوق صخرة عارية ، أشبه ببرج مربع أسود يحتفظ ببقية من صلابة ، فيما عدا شرخ يكاد يشطره ·· وكانت تتسلقه أغصان اللبلاب ، ويقود الى بوابته التى قاومت الزمن والبلى طريق حجرى لم نكد نقترب منه حتى لمحنا شبح امرأة تجرى فوق كومة من الانقاض فى اتجاه نتوء متطرف من البناء يشرف مباشرة على الهاوية ·· وفجأة صاح جاجين : « يا الهى ، انها آسيا ··· يا للمجنونة !

أما هى فلم تكد ترانا حتى ضحكت ، لكنها لم تتحرك من مكانها ·· فلوح لها أخوها بأصبعه مهددا ، ووجهت أنا اليها عبارة لوم على تهورها ، واذ ذاك قاطعني جاجين هامسا : « صه، انها عنيدة · ولو كررت لومك لما ترددت فى تسلق البرج الى قمته ! »

فما كان مني الا أن أحجمت ·· وكان في ركن المكان كوخ

صغير من الخشب فيه عجوز شمطاء تنسج شرابا من « التريكو»
وهي ترمقنا من وراء نظارتها بين الحين والآخر ٠ كانت تبيع
للسياح زجاجات البيرة وكعك الزنجبيل ٠٠ فجلسنا على مقعد
مستطيل أمام كوخها نجرع البيرة المنعشة فى أقداح كبيرة من
الصفيح ، بينما ظلت آسيا فى مكانها بلا حراك وقد لفت رأسها
بوشاح من الموسلين٠٠ وفيما أنا أفكر فى تصرفها هذا الصبيانى
رمتنى فجأة بنظرة حادة وضحكت ، ثم قفزت من مكانها وأقبلت
تسأل العجوز قدحا من الماء ٠٠٠

لكنها بدلا من أن تشربه ، حملته فى يدها ، وتسلقت الطلل
من جديد وأخذت تسقى بضع أزهار ذابلة متناثرة فى أرجائه
وهى تنحنى عليها فى رشاقة وخفة أعجبتانى ، وفى مكان خطر
أطلقت عامدة صرخة جزع لتوهمنا انها ستقع ، ثم ضحكت من
فزعنا !٠٠ وحين أفرغت قدح الماء استعادت توازنها وتمطت
بحركة لعوب ثم عادت الينا وعلى شفتيها ابتسامة خفيفة غامضة،
وغمزت لنا بعينيها السمراوين غمزة استهتار عابثة ٠٠ وكأنها
تقول لى : « أتجد مسلكى غير لائق ؟ هذا لا يهم ، فأنا موقنة
انك عتيد أن تحبنى ! »

لكنها عادت فأحست فيما يبدو انها قد أفرطت فى عبثها ، فخفضت أهدابها الطويلة وجاءت تجلس فى هدوء بجوارنا ، وقد لاذت بالصمت ٠٠ كالمعترفة بذنبها !

ولم تخرج عن صمتها الا حين خلا لجاجين أن يمازحنى ،
فرفع قدح البيرة الى فمه وقال : « فلنشرب نخب مالكة فؤادك ! »
٠٠ فلم تكد آسيا تسمع العبارة حتى سألتنى على الفور : « ماذا
٠٠ هل ٠٠ هل هناك امرأة تشغل بالك ؟ »

فقال جاجين : « ومن ليس له ؟ »

واذ ذاك صمتت وشردت برهـــة ، وقد تغير محياها ، ثم
عاودتها ابتسامة « الشقاوة » المتحدية !

وفيما نحن عائدون تابعت تصرفاتها الطائشة ، وحماقاتها الصبيانية ، وضحكها وغناءها بصوت عال ٠٠ لكننا لم نكد نبلغ البيت حتى اعتكفت فى غرفتها ولم تبرحها الا ساعة الغداء ، واذ ذاك خرجت الينا مرتدية أجمل ثيابها ، وقفازيها ، وقد صففت شعرها أبدع تصفيف ٠٠ وجلست تأكل وتشرب فى وقار تام ، وكأنها أرادت أن تمثل أمامى دورا جديدا ، دور المرأة كاملة التهذيب ٠٠ بينما اكتفى أخوها بأن ينظر الى من حين لآخر نظرة كأنها تقول : « انها طفلة ٠٠ فكن متسامحا معها ! »

وعندما انتهي الغداء انحنت لنا فى أدب ثم وضعت قبعتها على رأسها واستأذنت أخاها فى أن تذهب لزيارة « فراو (مدام) لويز » ٠٠ فأجابها جاجين باسما : « متى كنت تستأذنيننى فى الخروج ؟ » ٠ وبعد أن مضت قال لى وهو يتجنب عينى : « فراو لويز هذه هى أرملة عمدة البلدة ، وقد أحبت آسيا ، التى بادلتها بدورها الحب ، تمشيا مع طبيعتها التى تميل الى الاختلاط بالطبقات الادنى من طبقتنا فى المستوى الاجتماعى ٠٠ انه نوع من الكبرياء فيما أعتقد ، وآسيا كما ترى مدللة ، وأنا مضطر لمعاملتها بشىء من التسامح ٠٠ »

ولم أعلق على كلامه ٠٠ وقضيت معه الساعات الاربع التالية فى أحاديث متشعبة ، خرجنا منها صديقين ٠٠ وحين مالت الشمس للمغيب وفكرت فى الانصراف اقترح جاجين أن يصحبنى فى طريق العودة ، كى يعرفنى « بفراو لويز » ٠٠ فمضينا حتى بلغنا شارعا ضيقا متعرجا ووقفنا أمام بيت من ثلاثة طوابق مقام على أعمدة ضخمة ومنقوش على الطراز العتيق ، فصاح جاجين :

ـ آسيا ٠٠٠ هل أنت هنا ؟

وعلى الاثر فتحت نافذة غرفة مضاءة فى الطابق الثانى وبرز منها رأس آسيا الاسمر الصغير ، ثم اتكأت بمرفقيها على حافة النافذة فى رشاقة وقالت لاخيها : « نعم أنا هنا ٠٠ اليك ، خذ



هذا الغصن وتخيل انى مالكة فؤادك ! » ٠٠ وألقت اليه بغصن من زهر « الجرانيوم » ، فاستغرقت مدام لويز فى الضحك - وكانت واقفة خلفها - واذ ذاك استطرد جاجين مشيرا الى :

- صديقنا يريد الانصراف ، وهو يود أن يودعك ٠٠

- حقا ؟ اذا كان الامر كذلك فاعطه الزهرة هدية منى ٠٠

ثم أغلقت النافذة ، فمد جاجين يده الى بالزهرة بغير أن ينطق بكلمة ٠٠ فوضعتها فى جيبى ومضيت ، وقد أحسست بثقل غريب على قلبى ! ورحت أسائل نفسى فى شك متزايد وأنا أفكر فى آسيا ، برغمى : « أهى حقا أخته ؟ » ٠٠ وحين دخلت غرفتى خلعت ثيابى وأويت الى فراشى محاولا أن أنام ٠٠ لكنى بعد ساعة وجدت نفسى أجلس فى فراشى ، وأنا أفكر ٠٠ أفكر من جديد فى الفتاة ذات النزوات الغريبة والضحكة المصطنعة ٠٠ وعدت أهمس لنفسى : « نعم ٠٠ انها ليست أخته ! »

— ٤ —

◆ **وفى** صباح اليوم التالى عدت الى الاخوين ، زاعما لنفسى اننى أتوق الى رؤية جاجين ، وأنا فى الحقيقة مشوق الى رؤية آسيا ، ومراقبة أطوارها الغريبة ٠٠ وفى هذه المرة بدت لى ، بثوبها القديم وشعرها المرسل الى الوراء ، روسية أصيلة غاية فى البساطة ٠٠ لا سيما وهى جالسة الى النافذة تطرز ، صامتة ، الا حين تنفرج شفتاها بين الحين والآخر بأغنية روسية « تدندن » بها بصوت خفيض ٠٠

وتأملت محياها .. فاذا هو منطفىء ، أميل الى الاصفرار . وفيما أنا مشغول بالتفكير فى أمرها اقترح جاجين أن نخرج الى الخلاء لنستمتع بالطقس الجميل، وليرسم هو شيئا من الطبيعة. وأوصى آسيا أن تعنى بمراقبة ما تعده صاحبة النزل لطعام الغداء .. ثم مضينا ، هو وأنا ، حتى وصلنا الى الوادى .. فجلس على حجر وأخذ يرسم شجرة بلوط ضخمة عتيقة ، بينما تمددت أنا على الحشائش أقرأ كتابا .. لكنه رمى فرشاته بعد برهة وأقبل فارتمى بجوارى وجعلنا نتحدث .. فى كل شىء .. حتى حان وقت العودة فنهضنا . وفى البيت وجدت آسيا كما تركتها ، لا يبدو عليها أثر من روح الطيش أو الصبيانية .. وفى المساء تثاءبت عدة مرات ثم استأذنت فى أن تأوى الى فراشها . وبعد برهة انصرفت أنا بدورى مبكرا . وقبل أن أنام سمعت نفسى أقول بصوت مسموع ، دون وعى منى :

ـ يا لها من حرباء ... هذه الفتاة !

وبعد أن فكرت بعض الوقت أضفت قائلا : « ولكن ، برغم كل شىء ، فانها ليست أخته ! »

— ٥ —

وانقضى اسبوعان ، تابعت خلالهما ترددى كل يوم على بيتهما ، لكن آسيا بدت كمن تتعمد أن تتجنبنى ! ولاحظت انها كفت عن حماقاتها وصارت أميل الى الكآبة والوجوم .. وظهر لى من اختلاطى بها أنها تتقن الفرنسية والالمانية ، وان اختلفت تربيتها وطباعها عن أخيها كل الاختلاف . كانت هى مستوحشة بقدر ما هو رقيق دمث ، بل كانت ما تزال فجة فائرة ، كالنبيذ الحديث العهد !.. وبرغم طبيعتها الخجولة كانت تحاول دائما أن تصطنع الجرأة والتهور ، فتفشل فى تمثيلهما . **وذات يوم فاجأتها وحيدة تقرأ كتابا ، وهى معتمدة رأسها بين كفيها وأصابعها مدفونة فى شعرها ، فقلت لها مهللا : « برافو ! » ..**

واذ ذاك رفعت رأسها قليلا ورمقتني بنظرة جـــدية صارمة ، وقالت : « أو ظننتني غير قديرة الا على الضحك ؟ » ٠٠ ثم قذفت بالكتاب على المنضدة وأضافت : « أفضل أن ألهو قليلا » ٠٠ ثم هرعت الى الحديقة !

وبالاختصار ، فانها بدت لى مخلوقة غامضة ٠٠ وبمرور الايام ازداد يقينى بأنها ليست أخت جاجين ، فقد كان يعاملها غير معاملة المرء لاخته ، ويجزل لها العطف والتســامح والرعاية ٠ وذات ليلة حدث ما ضاعف شكوكى فى هذا الشأن : كنت فى طريقى الى بيتهما فوجدت البوابة مقفلة ، وآثرت ألا أزعجهما بالنداء فاتجهت نحو ثغرة فى الحائط المهدم وقفزت خلالها ، وفيما أنا أقترب من البيت سمعت فجأة صوت آسيا من وراء احدى الاشجار تقول والغصة فى حلقها :

ـ كلا ، لا أريد أن أحب سواك ٠٠ أبدا ، أبدا ، لا أريد أن أحب غيرك أنت وحدك ، والى الابد ٠٠

ـ هدئى من روعك ٠ تعلمين انى أصدقك ٠٠

ـ نعم ، أحبك أنت ، أنت وحدك !

وارتمت على صدره وهى تشهق بانفعال شديد ، ثم ضمته اليها ، وعانقته بكل قوتها ٠٠ فمر بيده فى رفق على شعرها وهو يكرر : « اهدئى ٠٠ اهدئى ٠٠ »

لبثت جامدا فى مكانى برهة أرقبهما ٠٠ ثم تسللت بخطى خفيفة عائدا من حيث أتيت ، وأنا أعجب للمصادفة التى أيدت ظنونى فى حقيقة الصلة بينهما ، وقلبى مفعم بالمرارة من هذه النتيجة المفاجئة! ٠٠ ولم ألبث أن همست لنفسى محنقا : « يا لهما من ممثلين ٠٠ ولكن فيم كل هذا العناء ، وماذا يبغيان من خداعى ؟ »

ولم أنم تلك الليلة !

وفى الصباح كان عزمى قد استقر على القيام برحلة فى الجبال

القريبة لبضعة أيام ، لعلها تنسيني انفعـال الايام الاخيرة ، وتطفىء جذوة حقدي على صديقي من أجل اكذوبتهما الكبرى على ٠٠ بغير داع !

وفى الحال شددت رحالى ومضيت أجوب التلال والوديان ، وأقضى ليالى فى حانات الطريق ٠٠ وكان الطقس جميلا رائعا ، فاستمتعت بالطبيعة أكمل متعة وأقصاها ، وأنا أتأمل الغيوم فى دلالهـــا مع الشمس والقمر ٠٠ وأستنشق عبير الحقول والغابات ٠٠ وأنصت لخرير الغدران الشفافة والانهار ، وتغريد الطيور فوق الافنان٠٠ وأملأ عينى وحواسى من الجبال والصخور السمراء ، والقرى بكنائسها العتيقة ومبانيها المتنافرة الطراز، وطواحينها الهوائية ، ووجوه وأزياء أهلها ، وعرباتها ودوابها ، وسيل المسافرين فى الطرق النظيفة التى تحف بهـا أشجار التفاح والكمثرى ٠٠ ألا سلامى اليك أيها الركن المتواضع من الارض الالمانية ، سلامى اليك ٠٠ ولتعش أبد الدهر فى سلام !

— ٦ —

◆ **عدت** من رحلتى بعد ثلاثة أيام فوجدت فى انتظارى رسالة من جاجين يعتب فيها على سفرى بغير اخطاره ، ويطلب منى أن أتصل به بمجرد عودتى ٠ فلما ذهبت اليه في اليوم التـالى استقبلنى مرحبا مكررا عتابه ، أما آسيا فلم تكد ترانى حتى استغرقت فى الضحك وولت هاربة !٠٠ وخجل أخوها من تصرفها فاعتذر نيابة عنهـا ٠٠ وتظاهرت بأنى لم آبه للامر وشرعت أقص عليه تفصيلات رحلتى القصيرة ٠٠ وحين فرغت منها زعمت أن لدى عملا عاجلا يحتم على العودة الى غرفتى ، فاقترح جاجين أن يصحبنى خلال الطريق ٠٠ وعند خروجنا اقتربت منى آسيا ومدت لى يدها ، فتناولت أطراف أصابعها مصافحا وحييتها تحية فاترة !

وعبرنا (الراين) ٠٠ وبعد ما بلغنا مكانى المفضل ، حيث شجرة الدردار وتمثال العذراء ، كنا قد تعبنا فجلسنا على المقعد المعهود ٠٠ وهناك جرى بيننا أعجب حديث ! بدأنا بالكلام فى موضوعات عامة ، ثم صمتنا ونحن نتأمل النهر الشفاف ٠٠ وفجأة بادرنى جاجين وهو يبتسم ابتسامته المألوفة :

ـ ما رأيك فى آسيا ؟٠٠ ألا تبدو لك غريبة الاطوار ؟

فأجبته وقد فاجأنى سؤاله : « بلى ٠٠ » واذ ذاك استطرد :

ـ يجب لكى تحكم عليها أن تعرفها ٠٠ ان لها قلبا طيبا ، ولو عرفت قصتها لالتمست لها عذرا !

فقاطعته متسائلا : « قصتها ؟٠٠ أليست هى ؟ »

ـ أختى ؟٠٠ نعم هى أختى ، ابنة أبى ! اصغ الى ٠٠ ان لى ثقة فيك ، وسأروى لك كل شىء :

◆ «كان ابى رجلا طيبا ، ذكيا ، مثقفا .. وتعسا ايضا ! لم يكن حظه من الحياة أقسى وأشد صرامة من حظ غيره ، لكنه لم يستطع تحمل الصدمة الاولى التى امتحنته بها الاقدار .. كان قد عقد فى شبابه زواج حب ، ولكن زوجته ـ أمى ـ ماتت بعد ولادتى بستة أشهر . واذ ذاك اخذنى ابى الى الريف حيث عاش بقية حياته لا يفارقه .. ومضت علينا هناك اثنتا عشر عاما عنى فيها والدى بتعليمى وتربيتى بنفسه . وما كان لينفصل عنى لو لم يزرنا اخوه ـ عمى ـ ذات يوم ويقنع ابى بضرر تنشئة صبى فى سنى فى عزلة تامة موحشة، وفى كنف أب حزين صموت وجو مقبض خانق .. ثم ألح عمى على أبى فى ضرورة انتقالى معه الى حيث كان يشغل منصبا هاما فى «سان بطرسبرج» ، كى يشرف على تثقيفى فى الجو الملائم ، فقبل أبى اخر الامر مضطرا بعد مقاومة عنيفة . وحين ودعته كى أرحل مع عمى بكيت بكاء مرا ، فقد كنت احبه .. برغم انى لم أر الابتسامة على شفتيه طيلة عهدى معه !

«وفى بطرسبرج التحقت بمدرسة صف الضباط من ابناء النبلاء ، ثم تخرجت منها فعينت فى فرقة الحرس .. وكنت أزور ابى فى «منفاه» الريفى كل عام فأجده فى كل مرة أشد حزنا وانطواء على نفسه من العام الذى قبله ! .. وفى احدى زياراتى ، وكنت فى العشرين ، رأيت لاول مرة فى بيته طفلة نحيلة فى نحو العاشرة ، ذات عينين سوداوين ، هى آسيا !.. وقال لى ابى انها يتيمة تعهدها برعايته ، فلم أولها انتباها خاصا فى أول الامر ، سيما

وانها كانت نفورة مستوحشة بطبعها .. حتى لقد كانت تجرى لتختبىء خلف مقعد والدى أو خلف مكتبته كلما دخلت انا غرفته المظلمة التى كانت تضاء بالشموع فى رابعة النهار !

◆ «ثم اقتضتنى وظيفتى أن أعجز عن زيارة أبى فى السنوات الثلاث أو الاربع التالية ، وكنت اتلقى منه كل شهر خطابا وجيزا لا يشير فيه الى آسيا فى أغلب الاحيان ، واذا أشار فبكلمة عابرة . وكان وقتئذ قد جاوز الخمسين - وان بدا فى مظهره شابا ! - وهكذا يمكنك تصور مبلغ جزعى حين تلقيت يوما رسالة من وكيله ، على غير انتظار ، ينبئنى فيها بأن أبى على فراش الموت ، ويرجونى أن اهرع اليه فورا اذا أردت أن أودعه .. الوداع الاخير !

« وأسرعت بالطبع .. فوجدت أبى ما يزال حيا ، وان كان فى النفس الاخير . ففرح برؤيتى فرحا شديدا ، واحتضننى بين ذراعيه الهزيلتين ، ثم نظر الى طويلا نظرة فاحصة متوسلة وهو يرجونى أن أعده بتنفيذ وصيته الاخيرة . فلما وعدته طلب الى خادمه الخاص المسن أن يذهب فيحضر .. آسيا !

« جاءت الصبية ترتجف ، ولا تقوى على الوقوف .. فقال ابى وهو ينازع لينطق بالكلمات : « اليك ابنتى .. أختك ! أتركها فى رعايتك ، وسوف يقص عليك خادمى (اياكوف) كل شىء » .. وهنا شهقت الصبية بالبكاء وارتمت على فراش ابى .. ولم تمض نصف ساعة حتى كان ابى قد فارق دنيا الاحياء !

« ◆ والآن اليك ما عرفته من «أياكوف» : كانت آسيا ابنة ابى من وصيفة أمى القديمة «تاتيانا» ، التى ما ازال اذكر قامتها الطويلة المشوقة ، ووجهها الجميل - الذى يحمل مسحة الجد والذكاء - وعينيها القاتمتين .. وكانت قد عرفت بانها فتاة معتدة بنفسها ، منيعة على الطامعين فى حسنها .. لكنها - طبقا لما عرفته من الخادم المسن - لم تلبث أن اشتبكت فى صلة خاصة مع ابى ، بعد وفاة أمى بسنوات ، وكانت قد تركت البيت وعاشت مع أختها المتزوجة فى ضيعة قريبة .. وقد بلغ من تعلق ابى بها بعد رحيلى مع عمى حدا دفعه الى محاولة الزواج منها ، لكنها أبت ذلك عليه اباء شديدا رغم توسلاته المتكررة !.. بل انها رفضت - محافظة على المظاهر - ان تنتقل لتعيش فى بيته كمدبرة لشؤونه ، وظلت تقطن عند اختها ، ومعها ابنتها .. آسيا .. وانى لاذكر اننى فى طفولتى لم اكن أرى «تاتيانا» الا فى أيام الاعياد ، فى الكنيسة ، وقد اتشحت بغطاء لرأسها وكتفيها وركعت بين الجماهير قرب النافذة تتعبد بوجه صارم ، فى ضراعة ، وتذلل ، وخشوع .. !

«وحين ماتت تاتيانا ، كانت آسيا فى التاسعة .. فأخذها ابى لتعيش معه ، وكان قد اعرب عن رغبته فى ذلك من قبل فأبته عليه أمها ! ولك أن تتصور ما أحست به الصبية حين ألبسوها - لاول مرة - ثوبا من الحرير وأخذوها لتقيم فى بيت «السيد» ، حيث صار الخدم يقبلون يدها ! وحيث منحها ابوها حريتها الكاملة - بعد أن نشأتها أمها نشأة صارمة - فقد أحبها بكل عاطفته ، واعتبر نفسه - فى اعماقه - المسؤول عن مأساتها !

« وسرعان ما أدركت آسيا انها الشخصية الاولى فى البيت ، وان (السيد) هو أبوها !.. لكنها أدركت ايضا بنفس السرعة مبلغ ما فى مركزها من زيف ، فنما اعتدادها بكرامتها وتشككها فى مستقبلها بصورة مبالغ فيها . ورسخت عاداتها السيئة فى نفسيتها بقدر ما تبخرت بساطتها الطبيعية وتلاشت .. وقد اعترفت لى مرة بانها تريد أن ترغم الناس جميعا على نسيان «أصلها».. فقد تملكها الخجل من عار أمها، ثم الخجل - فى نفس الوقت - من خجلها هذا ، لانها فى قرارة نفسها كانت فخورة بهذه الأم !

« وهكذا ترى انها وقفت على أشياء كان يجب أن تجهلها فى سنها هذه ! .. ولكن ، ترى هل كان ذلك خطأها ؟ انها قد وجدت نفسها فى ظرف يعصف فيه شبابها بها وما من يد الى جوارها تأخذ بيدها وترشدها !.. وفى حمى استقلالها الكامل بعد ذلك أرادت ألا تكون أقل من لداتها وزميلاتها فى مستواها، فعكفت على القراءة تنفق فيها وقتها . وعصمها ذلك من الانحدار ، فظل قلبها نقيا وروحها بخير .. وعندما وكل أمرها الى كنت فى العشرين وهى فى العاشرة . وفى الايام الاولى التالية لوفاة ابى كان مجرد سماع صوتى يثيرها وقبلاتى تورثها الدوار !.. ولم تعتد الحياة معى الا تدريجا وببطء شديد .. وان تكن قد تعلقت بى فيما بعد - حين ادركت انى اعاملها واحبها فعلا كأخت - وكان تعلقها بى مفرطا ، فهى فى عواطفها لا تعرف الاعتدال قط !

«واخذتها معى الى بطرسبرج ، وكم تألمت وأنا أودعها القسم الداخلى بالمدرسة التى اخترتها لها .. وادركت هى أن الظروف تحتم علينا الانفصال، فاستسلمت .. لكن ألمها وأساها اسلماها لفراش المرض الذى كاد يسلمها بدوره للموت !.. على أنها لم تلبث أن اعتادت مع مرور الايام حياتها الجديدة فانفقت فيها أربع سنوات . وحين استرددتها اخيرا ادهشنى - وضايقنى - ان وجدتها كما تركتها فى البداية ، لم تتغير طباعها فى شىء !.. وشكتها الى مديرة المدرسة بقولها : «ان من المستحيل تقويمها بالعقاب ، كما أن اللين بدوره لا يجدى معها !» .. وفهمت من اساتذتها انـها تستوعب دروسها بسهولة وذكاء حاد تفوق فيهما زميلاتها ، لكن داءها الاكبر انها ترفض الخضوع

لنظام أيا كان ، وبأى ثمن ، بل تعاند وتجادل فى كل مناسبة !.. وكانت قد اصطفت لنفسها من بين تلميذات المدرسة جميعا صديقة واحدة ، فقيرة وقبيحة ومضطهدة .. أما بقية زميلاتها — واكثرهن من بنات الاشراف والخاصة — فقد ناصبن آسيا العداء ، وكن يسئن اليها ويسخرن منها ويجرحن احساسها كلما وجدن الى ذلك سبيلا !.. وبرغم ذلك فانها لم تكن تبادلهن الاساءة بالاساءة ..

« واخيرا بلغت السابعة عشرة ، وكان من غير الممكن تركها فى القسم الداخلى بعد هذه السن ، وكنت قد أنهيت مدة خدمتى العسكرية ، فطرأت لى فكرة الرحيل الى الخارج لمدة عام أو عامين ، وأخذ آسيا معى .. ونفذت فكرتى فعلا ، وها نحن على ضفاف الرين ، أنا أمارس الرسم ، وهى تمارس الحماقات والتصرفات الخرقاء ، كعادتها !.. لكنى ارجو — بعد أن عرفت قصتها — الا تقسو فى الحكم عليها بعد الآن ، فبينما يبدو انها تسخر من كل شىء ، أعلم انا جيدا انها تقدر لكل انسان رأيه ، وتقدر رأيك انت على وجه الخصوص .. »

وابتسم جاجين ابتسامته الهادئة .. وفيما انا أصافحه مقدرا له صراحته واخلاصه ، استطرد قائلا : «ولكن كل هذا يهون الى جانب ما هو أشد خطرا، وأجلب للمتاعب .. فحتى الساعة لم يعجبها رجل ! لكن الطامة الكبرى ستقع يوم تحب احدا.. وقد جاءتنى منذ أيام تعاتبنى بدعوى أن محبتى لها قد فترت، واكدت لى انها لا ولن تحب سواى ، طيلة حياتها !.. وفيما هى تكرر لى ذلك شهقت بالبكاء فى انفعال شديد ..»

◆ **وعند** هذا كدت أصيح بمحدثي : « اذن فتلك كانت حقيقة المشهد الذى رأيته وأنا أعبر الحديقة !؟ » لكنى اعتقلت لسانى فى آخر لحظة ، وقلت لجاجين :

— ولكن هل من الممكن ألا تكون قد وجدت رجلا يعجبها حتى الآن ، وقد أتيحت لها فرصة التعرف بكثير من الشبان فى بطرسبرج ؟

— هذا ما حدث ·· فهى تحلم ببطل من الابطال ، برجل غير عادى ·· والا فسوف تعشق راعى غنم متواضع تتعرف به على سفح أحد الجبال · فهى كما قلت لك لا تعرف فى عواطفها الاعتدال ! لكنى قد أسرفت فى الثرثرة وضايقتك ، فلأنصرف ··

ـ هيا بنا الى منزلك ، فليس بى ميل الى العودة الى غرفتى ٠٠

ـ وعملك الذى قلت انك تريد انجازه ؟

ولم أجب ٠٠ فابتسم جاجين ابتسامة ودية ، ومضيت معه ٠٠ وعندما شارفنا حقول الكروم وطالعنى البيت الصغير الابيض فوق التل ، أحسست بعذوبة غريبة ٠٠ عذوبة أثملت روحى ، كما لو ان شخصا سكب فيها ـ سرا ـ قنينة من عسل النحل !

ـ ٧ ـ

◆ **واستقبلتنا** آسيا على عتبة الدار ، شـاحبة ، صامتة ، مخفوضة العينين ٠٠ فقال لها جاجين ، مشيرا الى :

ـ هذا هو مرة أخرى ، واعلمى انه هو الذى أراد أن يعود٠٠

فرمقتنى بنظرة تساؤل ، ومددت لها يدى مصافحا ٠٠ وفى هذه المرة شددت الضغط على أصابعها الصغيرة الباردة ، وقد أخذتنى الشفقة عليها بعد أن وجدت فى قصة أخيها تفسيرا لكثير من أطوارها التى طالما حيرتنى : قلقها الداخلى ، وتصرفاتها غير اللائقة ، وميلها الى التكلف والتمثيل !٠٠ **ان حملا خفيا ثقيلا يجثم على صدرها ، وان سحرها الذى جذبنى لينبع من روحها أيضا وليس فقط من الجمال نصف المتوحش الذى يتسم به جسدها الدقيق ٠٠!**

وانصرف جاجين الى رسومه ، فاقترحت على آسيا أن نتمشى قليلا فى حقول الكروم ٠٠ وقبلت هى على الفور ، بترحيب وغبطة وانقياد ٠٠ ولم تلبث أن ابتدرتنى قائلة : « أو لم تحس بالمضايقة أثناء رحلتك ٠٠ وأنت بعيد عنا ؟ »

ـ وهل لم تحسى أنت أيضا بالمضايقة فى فترة غيابى ؟

ـ بلى ٠٠ وهل استمتعت بتسلق الجبال ؟ ترى أهى أعلى من السحاب ؟ قص على كل ما شاهدته ، ما رويته لاخى فى غير حضورى ٠٠

ـ انك أنت التى بادرت بالانسحاب من المكان !

ـ انسحبت لان ٠٠ لان ٠٠ لكننى لن أنسحب الآن ، أكنت غاضبا مني اليوم ؟

ـ وفيم الغضب ؟

ـ لست أدرى، لكنك غضبت وذهبت غاضبا ، وقد آلمنى هذا ٠٠ أما الآن فانى مغتبطة بعودتك !٠

ـ وأنا مغتبط بعودتى أيضا ٠٠

فهزت آسيا كتفيها ، كما يفعل الاطفال فى أوقات السرور ، واستطردت :

ـ أستطيع أن أرى ذلك ٠٠ لقد اعتدت أن أعرف ما اذا كان أبى راضيا عنى ، أم غير راض ، من مجرد سماع سعاله من الغرفة المجاورة !

ولم تكن حتى هذه اللحظة قد أشارت يوما الى أبيها فى حديثها، فسألتها فى ارتباك :

ـ هل كنت تحبين أباك ؟

فاحمر وجهها ولم تجب ، صمت كلانا !٠٠ ومن بعيد كانت سفينة بخارية تشق عباب الراين ، فتطلعنا نحوها ٠٠ وفجأة غمغمت آسيا :

ـ لم لا تتكلم ؟

ـ ولم ضحكت أنت اليوم لمجرد رؤيتك اياى ؟

ـ لست أعلم ٠٠ أحيانا أحس بميل الى البكاء ، فأضحك ٠ لا تحكم على حسب تصرفاتى ٠٠

ورفعت آسيا رأسها وأرخت خصلات شعرها٠٠ ثم استطردت بعد صمت قصير غام خلاله محياها الشاحب بظلال غامضة :

ـ قل لى ٠٠ الى أى حد أنت معجب بـ « مالكة فؤادك » التى شرب أخي نخبها ونحن في الاطلال ؟

ـ انه كان يمزح ٠٠ ما من امرأة أعجبتنى ، أعنى ٠٠ تعجبنى الآن

ـ وما هو نموذج المرأة التى تعجبك اذن ؟

ـ يا له من سؤال ٠٠ !

اضطربت آسيا قليلا ، فقالت كالمعتذرة :

ـ ما كان يجب أن أوجه اليك سؤالا كهذا ٠٠ اغفر لى ، فلقد اعتدت أن أقول كل ما يجول برأسى ٠ لهذا تجدنى أخشى أن أتكلم فى أكثر الاحيان ٠٠

ـ بل تكلمى ، أرجوك ، ولا تخشى شيئا ٠٠ فانه ليسرنى أن أراك آخر الامر تتخلصين من شعورك بالضيق

خفضت آسيا عينيها ، وضحكت ضحكة خفيفة ٠٠ ثم أردفت وهى تصلح طيات ثوبها كمن تتأهب لجلسة طويلة : « تكلم ٠٠ قص على شيئا ، أو اتل بضع أبيات من الشعر المحفوظ ٠٠ » ٠٠ قالت هذا وراحت تترنم ببعض أشـــعار « بوشكين » بصوت خفيض ٠٠ فتأملتها وقد بدت غارقة فى أشعة الشمس ، وكل ما حوالينا ـ السماء ، والارض ، والماء ، والهواء ذاته ! ـ يبرق بوميض فاتن ٠٠ فلم أملك أن قلت كالهامس ، برغمى :

ـ أترين الدنيا ٠٠ كم هى جميلة !؟

ـ نعم ، انها جميلة ٠٠ آه لو كنا ـ أنت وأنا ـ من الطير ، اذن لوثبنا فى الهواء وحلقنا فى الفضاء ، وغرقنا فى هذا الشفق ٠٠ لكننا لسنا من الطير !

ـ لكن هناك أجنحة تستطيع أن تدفعنا ٠٠

ـ وكيف ذلك ؟

ـ سترين ، حين تتقدمين فى السن ٠٠ انها العواطف التى ترفعنا عن الارض ٠ لا تخشى شيئا ، فسيأتى يوم تكون لك فيه أجنحة !

ـ وأنت ؟ ألم تكن لك ؟

ـ ماذا أقول ٠٠ يخيل الى انى لم أحلق قط فوق الارض ، حتى الآن !

استغرقت آسيا فى التفكير من جديد ، فملت نحوها فى خفة ٠٠ وفجأة سألتنى :

ـ أترقص « الفالس » ؟

ـ نعم أرقصه ٠٠

ـ اذن هيا بنا نرقص ٠٠ سأطلب من أخى أن يعزف لنا « فالسا » ٠٠ ولنتخيل انه قد نبتت لنا أجنحة ، واننا نطير ٠٠

وركضت نحو البيت ، فتبعتها ركضا بدورى ٠٠ وبعد دقائق كنا ندور على أنغام الفالس الحالم فى ردهة الدار الضيقة ٠٠ ورقصت آسيا ببراعة وحرارة وجذل ، وقد رق مظهرها الجاد على حين غرة وأفعم أنوثة ونعومة ٠٠ وبعد أن فرغنا من الرقص احتفظت يدى طويلا باحساسها بملمس ظهر الفتاة الناعم ٠٠ واحتفظ حسى طويلا بنشوته بأنفاسها اللاهثة القريبة ٠٠ وخلتنى ما أزال أرى عينيها السمراوين الساكنتين ، وسط محياها الشاحب المنفعل ، يحيط به اطار من خصلات شعرها الثائرة المجنونة ٠٠

وقضينا ذلك النهار كله نلهو كالاطفال ٠٠ وكانت آسيا لطيفة معى ، بسيطة بلا تكلف ٠٠ وحين أقبل الليل انصرفت عائدا الى بيتى ، **ولم يكد الزورق يتوسط بى النهر حتى رجوت الملاح أن يكف عن التجديف ويتركنا لهوى الامواج والريح ٠٠ فجعلت أتلفت حولى ، وأصغى ، وأتذكر ، وقد أحسست فجأة فى قلبى بنوع من القلق الغامض !٠٠ رفعت عينى الى السماء ، لكن السماء لم تكن أقل قلقا منى ، كانت النجوم التى رشقت فى جوانبها فى حركة دائمة ، تهتز ، وترتعش ٠٠ فانحنيت على النهر تحتى ، فاذا هو الآخر بلجته العميقة السوداء يضطرب ويختلج ٠٠ بدا لى كل شىء كأنما يعانى انفعالا وقلقا ، فتزايد القلق فى أعماقى** ٠ صارت غمغمة الهواء فى أذنى ، واصطفاق الامواج وهى تلطم مؤخر الزورق تثير أعصابى !٠٠ وبدأ

بلبل يغرد على الضفة الاخرى ، فنقل الى النسيم لحنه العذب ، واذا الدموع تترقرق من عينى ٠٠ وأحس ظمأ شـــديدا الى السعادة ، وشوقا الى أن أشفى غليلى منها حتى الثمالة !٠٠ والزورق ماض يتأرجح بى على صدر الامواج ، ويقترب من الشاطىء ٠٠

— ٨ —

◆ **وفى** الصباح مضيت كعادتى نحو « البيت الابيض » يستخفنى مرح بهيج ، وفرحة طاغية بالتقارب الجديد المفاجىء بين آسيا وبينى ٠٠ شعرت انى لم أعرفها الا منذ أمس ، أما قبل ذلك فكانت غريبة عنى ، ينقصها هذا السحر النورانى الذى أضاء محياها بغتة ، فى يوم وليلة !

واحمر وجهها حين دخلت ٠٠ لكننى لحظت انها مكتئبة ، على غير ما كنت أتوقع ، حتى لقد خيل الى انها تنوى أن تنتهز أول فرصة فتفر من المكان ــ كما اعتادت أن تفعل فى الماضى ! ــ لكنها فيما يبدو قد تحاملت على نفسها هذه المرة وبقيت ٠٠

وكان جاجين منشغلا بالرسم فجلست قريبا منها ، واذ ذاك أدارت نحوى عينيها القاتمتين فى بطء ٠٠ وبعد أن بذلت محاولات عقيمة لاعادة الابتسامة الى شفتيها ، قلت لها :

ــ انك اليوم غيرك بالامس ٠٠

ــ هذا صحيح ، فانى لم أنم الليلة ٠ لبثت طيلة الليل أفكر ٠٠

ــ فيــــم ؟

ــ أوه ، فى أشياء كثيرة ٠٠ انها عادة قديمة عندى ، منذ طفولتى ٠٠ منذ كنت أعيش مع أمى

نطقت الفقرة الاخيرة بصعوبة ٠٠ ثم كررتها ، واستطردت :

« كنت أفكر وأقول لنفسى : لم لا يستطيع الانسان أن يعرف ما سوف يحدث له فى المستقبل ٠٠ ومع ذلك ، أى جدوى فى

أن يعرف المكروه الذى سيصيبه ولا يملك دفعه أو منعه ؟٠٠ ثم فكرت فى أنى جاهلة ، لم أتلق التعليم الكافى ، ولا التربية والتهذيب اللازمين ٠٠ فأنا لا أعزف على البيانو ، ولا أرسم ، ولا أخيط حتى ثيابى ٠٠ اننى محرومة من كل الهبات والمؤهلات، ولا بد أن عشرتى تجلب الضيق

ـ انك تظلمين نفسك ، فأنت قد قرأت كثيرا وتثقفت ، وبذكائك تستطيعين ٠٠٠

ـ هل أنا ذكية ؟

قالتها بلهجة فضول صبيانى لم أملك معه غير أن أضحك ٠٠ أما هى فلم تضحك أو حتى تبتسم ، وانما التفتت الى أخيها وسألته : « جاجين ٠٠ هل أنا حقا ذكية ؟ » ٠٠ لكنه لم يجبها، بل استمر فى عمله ، فمضت تقول وهى تمعن الفكر : « لست أدرى أنا نفسى أحيانا ما فى رأسى ٠٠ وأؤكد لك انه تمر بى أوقات أحس فيها بالخوف من نفسى ٠ فهل حقا يجب على النساء ألا يقرأن كثيرا ؟٠٠ قل لى ماذا يجب أن أقرأ ٠ قل لى ماذا يجب أن أفعل ٠ سوف أفعل كل ما تشير به على ٠٠ »

قالتها وهى تتوجه الى فى ثقة ساذجة ، فلم أجد ما أجيبها به فورا، واذ ذاك أردفت: « أحقا انك لا تحس بمضايقة وأنت معى؟»

ـ أوه ، بلا شك ٠٠

ـ شكرا ، هذا يكفى ٠٠ فلقد طالما ظننت اننى أجلب لك السأم !

ومدت يدها الصغيرة الساخنة فشدت على يدى بقوة ٠٠ وفى تلك اللحظة هتف بى جاجين : « ألست ترى هذا اللون قاتما ؟ » ٠٠ فاقتربت منه ، بينما نهضت آسيا وابتعدت ٠٠

ولم تعد الا بعد ساعة ، حين ظهرت على عتبة الباب وأشارت لى بيدها كى أذهب اليها ٠٠

ـ قل لى ٠٠ لو مت أنا ، هل تحزن على ؟

فصحت بها مستنكرا : « أية أفكار تدور في رأسك اليوم ؟ »
ــ يخيل الى انى سأموت قريبا ٠٠ فانى أحس أحيانا أن كل شيء من الاشياء التى حولى يودعنى ! أو ليس الموت أفضل من حياة كهذه ؟٠٠ آه ، لا تنظر الى ، فلست أمزح ٠٠ ولئن بدوت لك متغيرة فليس هذا خطأى ، فما عدت أستطيع الضحك !

◆ **ولبثت آسيا مكتئبة مهمومة حتى المساء ٠٠ كان بها شيء لم أستطع تفسيره ٠ كنت أفاجيء عينيها أحيــانا ترمقاننى ، فينقبض قلبى تحت وقر نظرتها الغامضة٠٠ وان كان قد أعجبنى هدوؤها ، وراقتنى مسحة الجلال المؤثر فى قسماتها الشاحبة ، وحركاتها البطيئة المترددة ٠٠ وقبل أن أنصرف بقليل جاءتنى تقول** : « اسمع ٠٠ أعلم انك تعتقد انى طائشـــة نزقة ، وهذا ما يؤلمنى ٠٠ ولكن ثق انى سوف أكون صريحة معك منذ الآن ، ولكن بشرط أن تكون أنت بدورك صريحا معى٠٠ وأعدك بشرفى انى لن أقول لك غير الصدق ٠ لا تضحك ٠٠ أتذكر حديثك معى أمس عن الاجنحة ؟ انى أحسها تدفعنى٠٠ لكنى لا أجد مكانا أطير فيه وأحلق !

ــ كيف ذلك ؟ ان كل السبل مفتوحة أمامك ٠٠
فنظرت الىنظرة مباشرة فىعينى، وقالت وهىتقطبحاجبيها :
ــ انك اليوم تسيء بى الظن ٠٠
ــ أنا ؟٠٠ أسيء الظن بك أنت ؟

وهنا قاطعنا جاجين وهو يقترب : « ما بالكما هكذا حيارى ؟ أتريدان أن أعزف لكما «فالسا» كأمس؟ »٠٠ فأجابته آسيا وهى تقلص يديها : « كلا ، كلا ٠٠ لن أرقص اليوم مهما حدث ! »

— ٩ —

◆ « **ترى أهى تحبنى ؟** » ٠٠ هكذا رحت أسائل نفسى ، وأنا أقترب من النهر الذى كانت أمواجه السمراء تتدافع مسرعة ، لا تلوى على شيء ٠٠٠

« أمن الممكن انها تحبنى ؟ » ٠٠ ومرة أخرى وجدت نفسى أتساءل حين صحوت من نومى فى الصباح التالى ، ولم أشأ أن أمعن النظر فى أعماقى ٠ أحسست أن صورتها ، صورة الفتاة ذات الضحكة المغتصبة ، قد تغلغلت الى نفسى ٠٠ وانه لن يسهل على الخلاص منها !

وتوجهت الى بيتها ، وقضيت فيه النهار كله ، لكننى لم أر آسيا الا لماما ، فقد كانت تشكو من صداع فى رأسها ٠٠ فلم تبرح غرفتها الا برهة وهى معصوبة الجبين ، شاحبة الوجه ، مغمضة العينين تقريبا٠٠ وحينئذ ضحكت ضحكة واهنة وقالت: « انه لا شيء، وسينقضى٠٠ كل شيء ينقضى، أليس كذلك ؟ » ثم عادت الى غرفتها ٠٠ فانتابنى ضيق خانق ، وكآبة ، وخواء !٠٠ ورغم انى أخرت ساعة انصرافى عامدا ، فانى لم أرها مرة أخرى فى تلك الليلة ٠٠

ولم أذهب فى الصباح التالى ، أردت أن أشغل نفسى بالعمل فلم أستطع ٠٠ فحاولت ألا أعمل شيئا ، أو أفكر فى شيء ، ولكن بلا جدوى ٠٠ فمضيت أتسكع فى البلدة ، ثم عدت الى غرفتى ، ثم خرجت مرة أخرى ٠٠٠ وفجأة سمعت خلفى صوت صبى ينادينى ، ليقدم لى « رسالة من المدموازيل آسيا » !

فضضت الظرف ، فتبينت على الفور خط آسيا السريع غير المنتظم ٠٠ وقرأت هذه العبارات : « **يجب أن أراك بأى ثمن ، فتعال عصر اليوم فى الساعة الرابعة الى الكنيسة التى تقع فى طريق الاطلال ٠٠ لقد ارتكبت اليوم حماقة كبرى ٠٠ تعال بربك وستعرف كل شيء ٠ قل للصبى انك ستحضر ٠٠** »

وفعلت ٠٠ وحين عدت الى غرفتى جلست أفكر ، وقد أخذ قلبى ينبض بشدة ٠٠ وأعدت قراءة الرسالة مرات ، ونظرت فى ساعتى ٠٠ لم تكن الساعة قد بلغت الثانية عشرة بعد ٠٠ وفجأة فتح الباب ، ودخل ٠٠ جاجين !

كان وجهه محتقنا ، وصافحنى بقوة وقد بدا عليه الاضطراب

٠٠ ثم تناول مقعدا وجلس فى مواجهتى ٠٠ قلت له : « ماذا بك ؟ » ٠٠ فأجاب بعد تردد : « منذ ثلاثة أيام أدهشتك بالقصة التى رويتها لك عن آسيا ٠٠ واليوم سأدهشك بقصة أغرب ، ما كنت لاصارحك بها لولا ثقتى فى صداقتك وشرفك ٠٠ اصغ الى : ان أختى آسيا ، تحبك ! »

قلت وجسدى كله ينتفض : « تقول ٠٠ تحبنى ؟ »

ــ نعم ٠٠ لقد قضت نهــار أمس كله ــ كما تعلم ــ فى فراشها ، بغير أن تأكل ٠٠ لكن ذلك لم يقلقنى ، برغم الحمى الخفيفة التى أصابتها فى المساء ٠٠ لكنى فوجئت فى الساعة الثانية صباحا بربة البيت توقظنى قائلة : « اذهب الى أختك ، فانها ليست بخير » ٠٠ وأسرعت اليها ، فوجدتها بكامل ثيابها وزينتها ، تجهش بالبكاء وأسنانها تصطك ورأسها يشــتعل بالحمى ٠٠ ولم تكد ترانى حتى ارتمت على رقبتى وراحت تتوسل الى أن أخرج معها حالا ، اذا أردت لها أن تظل على قيد الحياة !

« **لم أفهم شيئا ٠٠ فحاولت تهدئتها ، لكن بكاءها ازداد حدة وعنفا ٠٠ ومن خلال دموعها سمعتها تغمغم بأنها تحبك !٠٠ وأستطيع أن أقول لك انى ــ برغم تجاربى السابقة ــ لم أر من قبل مثيلا لعمق عاطفتها ٠٠ وقد اعترفت لى انها أحبتك منــذ النظرة الاولى** ، وهذا ما جعلها فى ذلك اليوم تبكى وتقول لى انها لا تريد أن تحب أحدا سواى ٠٠ فهى تعتقد انك تحتقرها ، وتعرف أصلها !٠٠ وقد سألتنى عما اذا كنت قد رويت لك قصتها فأجبت طبعا بالنفى، لكن حساسيتها تبلغ حدا مفزعا ٠٠ وقد بقيت معها حتى الصباح ، ولم تنم الا بعد أن وعدتها بأن نسافر غدا ٠٠ وبعد تفكير طويل انتهيت الى وجوب الحضور اليك ومصارحتك بالامر كله ٠ وقد فكرت فى الرحيل اليوم بدل الغد ، لولا أن وثب الى ذهنى خاطر احتمالى ٠٠ قلت لنفسى: « من يدرى ، لعل أختى ٠٠ تعجبك ! » ومن ثم قهرت فى نفسى كل خجل زائف واعتزمت أن آتى لأسألك ؟ »

واضطرب المسكين ، وتلعثم ٠٠ ثم أردف : « اعذرنى ، فأنا لم أعتد مثل هذه المواقف ! »

٠٠ وأخذت بيده ، وقلت له بصوت جاد : « تريد أن تعرف اذا كانت أختك تعجبنى ؟ نعم ، انها تعجبنى » ٠٠ فرمقنى بنظرة حائرة ، وقال بعد تردد : « ولكن ٠٠ انك لن تتزوجها ؟» ٠٠ فقلت له بدورى : « كيف تريدنى أن أجيب على سؤالك ؟ أحكم أنت : هل أستطيع ذلك الآن ٠٠؟ »

فقاطعنى قائلا : « أعلم ، أعلم ٠٠ ليس من حقى أن أطالبك بجواب ، وقد كان سؤالى ذاته غير لائق ، ولكن ماذا تريدنى أن أفعل ؟٠٠ لا أستطيع أن ألعب بالنار ٠٠ **انك لا تعرف طبيعة آسيا ٠٠ فقد يحتمل أن تمرض ، وأن تفر هاربة ، وأن تطلب منك موعدا غراميا ٠٠ ولو كانت فتاة غيرها لكتمت عنى كل شىء ، لكنها لم تستطع ، انها أول مرة يحدث لها فيها هذا الحادث ، وهنا موضع الخطر !٠٠ ولو رأيتها وهى تتمرغ عند قدمى وتبللهما بدموعها هذا الصباح ٠٠ لقدرت مخاوفى ! »**

ووخزتنى اشارته الى « الموعد الغرامى » ٠٠ فشعرت بأن من العار ألا أقابل صراحته واخلاصه بمثلهما ، فقلت له بعد تردد قصير : « أنت محق ٠٠ فقد تلقيت منذ ساعة واحدة رسالة من أختك ، هى هذه ٠٠ »

وتناولها جاجين ، ومر ببصره على سطورها بسرعة ٠٠ ثم ترك راحتيه تسقطان على ركبتيه فى حركة يأس وحيرة ٠٠ وما لبث أن قال : « أكرر لك اعجابى بنبل خلقك ، ولكن ماذا بوسعنا أن نفعل الآن ؟ وكيف تفسر هذه المتناقضات ٠ انها تريد السفر ، ثم تكتب اليك نادمة على حماقتها ٠٠ فماذا ترى تريد منك ؟ »

حاولت تهدئته ، ولبثنا نقلب الامر على شتى وجوهه بكل ماوسعنا من أناة وتبصر ، فانتهينا الى أن من الحكمة أن أذهب اليها فى الموعد الذى حددته ــ تجنبا لاى احتمال سىء ــ وأن يتظاهر

جاجين بجهله التام بموعدها ، ويكتم عنها حديثه معى ·· ثم يلتقى بى فى المساء لنرى ما يكون ؟

ولم يكد يرحل حتى استلقيت على فراشى وقد دار رأسى : « كيف أتزوج صبية فى السابعة عشرة ، وفى مثل طبعها ؟ » ·· وكان أشد ما أفزعني اننى يجب أن أنتهى الى قرار حاسم فى هذا الشأن ·· الليلة !

— ١٠ —

◆ وفى الموعد المحدد خرجت الى مكان اللقاء، فوجدت الصبى الذى سلمنى رسالة آسيا ينتظرنى برسالة جديدة ، ترجونى فيها أن ألقاها فى منزل « فراو لويز » بعد ساعة ونصف ·· فقلت للصبى انى سأذهب ، وقررت قضاء الوقت الباقى على الموعد الجديد فى حانة قريبة ·· فلما حان الموعد نهضت من الحانة وأنا أقول لنفسى : « انها لا تعلم انى بدورى أحبها ·· ومع ذلك فلن أستطيع الزواج منها ! » ·· وألقيت بالنقود فى يد الساقية ، ثم يممت شطر بيت مدام لويز وظلال الغروب تصبغ الكون بألوانها ··

وطرقت على الباب بخفة ، فانفتح ، ودخلت ·· واذا أنا فى ظلام دامس ، وسمعت صوت العجوز تقول لى : « تعال من هنا ·· نحن فى انتظارك » ، فخطوت فى الظلام خطوتين أو ثلاثا حتى تلقتنى يد نحيلة معروقة ، وصعدت بى السلالم فى حذر حتى بلغنا الطابق الثانى ·· وعلى ضوء شعاع هزيل مارق من داخل الشقة لمحت وجه مرافقتى · كانت تضىء وجهها المجعد وشفتيها اليابستين وعينيها الضئيلتين ابتسامة خبيثة !·· وقد فتحت لى الباب ، ثم أغلقته خلفى بغير أن تدخل ··

كانت الغرفة التي دخلتها معتمة الى درجة لم أتبين معها آسيا الا بصعوبة · واذا هى جالسة على مقعد كبير بجوار النافذة ، وقد تدثرت بشال عريض على كتفيها ، وراحت أنفاسها تتتابع

وجسدها ينتفض كطير نافر مذعور٠٠ فلما اقتربت منها اعتدلت وحاولت أن تواجهنى بعينيها ، لكنها لم تستطع ٠٠ وتناولت يدها فاذا هى باردة ، هامدة ، كيد جثة ميتة !

وابتدرتنى وهى تحاول الابتسام جاهدة فلا تطاوعها شفتاها الشاحبتان : « لقد أردت ٠٠ أردت أن ٠٠ كلا ، لا أستطيع !» ٠٠ وصمتت ، وكان صوتها يخذلها بعد كل كلمة ، فجلست قربها وقلت هامسا : « آسيا ! ٠٠ »

٠٠ ثم عجزت بدورى عن الكلام ، فساد بيننا الصمت ، واكتفيت بالنظر اليها والاحتفاظ بيدها بين راحتى !٠٠ كانت تعض شفتها السفلى كى تمنع نفسها من البكاء ، وتقمع دموعها فى حلقها قبل أن تصعد الى عينيها ٠٠ وغاص قلبى ، فهتفت بها بصوت محتبس : « آسيا ! » ٠٠ **واذ ذاك رفعت عينيها ببطء الى ٠ كانت فيهما نظرة امرأة تحب ! كانتا تتوسلان ، وتتحدثان ٠٠ تسألان ، وتعطيان ٠٠ فلم أستطع مقاومة ندائهما ، وسرت من أطرافها الملتهبة الى جسدى جذوة نار ٠٠ فانحنيت وقبلت يدها ، قبلة طويلة ، وسمعتها تتنهد ، ثم أحسستها تضع على شعرى يدا واهنة ، ترتعش كالريشة ٠٠ فرفعت وجهى وتأملت وجهها** ٠٠ كان قد تبدل فى لحظة ، اختفى منه تعبير الخوف وسبحت نظرتها نحو بعيد، وأخذتنى معها٠٠ وانفرجت شفتاها، وشحب جبينها كالرخام ، وتباعدت خصلات شعرها كما لو كان قد نثرها الهواء الى وراء ٠٠

ونسيت كل شىء فجذبتها نحوى ٠٠ وطاوعتنى يدها فلم تقاوم ، ثم لان جسدها وانقاد لحركتى ، وانزلق الشال عن كتفيها ٠٠ فاستراح رأسها على صدرى فى رفق ، ثم ٠٠ اختلج فمها تحت شفتى الساخنتين كالنار !

وسمعتها تغمغم بصوت لا يكاد يبين : « انى لك ! » ٠٠ وكانت يداى قد انزلقتا على جسدها ٠٠ ولكن فجأة تذكرت جاجين ، فهتفت وأنا أتراجع بحركة غير ارادية : « ماذا نحن

فاعلان ؟ ٠٠ ان أخاك يعلم كل شيء ، يعلم انى هنا الآن ٠٠ نعم ، أخوك يعرف كل شيء ٠٠ فقد اضطررت لان أصارحه !

فقالت وهى تتهالك على مقعـــد : « اضطررت ؟ وما الذى اضطرك ؟ »

ــ أنت !٠٠ لماذا اعترفت له بسرك ؟ من الذى أرغمك على البوح له بقصتك ؟٠٠ لقد جاءنى بنفسه صباح اليوم وحكى لى تفصيلات المناقشة التى جرت بينكما أمس

ــ لقد ضاع كل شيء ٠٠ كل شيء !

ــ بربك ما الذى أزعجك فجعلك تفضين اليه بذات نفسك ؟ هل لحظت انى تغيرت ؟٠٠ أما من ناحيتى فلم أستطع أن أخدع أخاك حين جاءنى هذا الصباح ٠٠

ــ لم أكن أنا التى استدعيت أخى فى الليلة الماضية ، لقد جاء من تلقاء نفسه !

ــ أنظرى اذن ما فعلت ٠٠ والآن تريدين الرحيل ؟

ــ نعم ، أنا مضطرة للسفر ٠٠ ولئن طلبت اليك الحضور الليلة فلكى أودعك فقط ٠٠

ــ أو تحسبين انه سيسهل على فراقك ؟

ــ اذن فلماذا أخبرت أخى بموعدنا هذا ؟

ــ قلت لك انى لم أستطع غير ذلك ٠ ولو لم تفضحى نفسك باختيارك لما ٠٠٠

ــ لقد أقفلت غرفتى على بالمفتاح، ولم أكن أعلم أن لدى صاحبة البيت مفتاح آخر ٠٠ حتى فوجئت بدخول أخى على !

وكاد هذا الاعتذار الساذج يثيرنى وقتئذ ٠٠ أما الآن فلا أذكره حتى يرق قلبى لها ٠٠ يا للطفلة المسكينة ، المخلصة ، البريئة !

وعدت أقول وأنا أذرع الغرفة وأصيح كالمحموم ، وبين لحظة وأخرى أختلس نظرة اليها :

ــ وهـــا نحن الآن ، وقد انتهى كل شيء ٠٠ كل شيء ٠٠

ووجب أن نفترق !٠٠ انك لم تتركى العاطفة التى كانت قد بدأت تنضج حتى تختمر ٠٠ بل حطمت بنفسك الرباط الذى كان يقرب بيننا ٠٠ وما ذلك الا لانك كانت تعوزك الثقة فى !

لم أكد أصل الى هذا الحد من كلامى حتى ارتمت آسيا على ركبتيها وراحت تشهق بالبكاء ورأسها بين يديها ٠٠ فهرعت اليها وحاولت رفعها ، لكنها قاومت ٠٠ وأنا بطبعى أعجز ما أكون عن تحمل دموع النساء ، لا أكاد أراها حتى أفقد ثباتى ٠٠ ومن ثم جعلت أهتف بها ضارعا فى لهفة :

ـ آسيا !٠٠ آسيا !٠٠ أتوسل اليك ، بحق السماء كفى ٠٠

وتناولت يدها ٠٠ لكنها ، لدهشتى ، وثبت فجأة على قدميها واندفعت نحو الباب بسرعة البرق ٠٠ ثم اختفت !

وحين دخلت « فراو لويز » الغرفة بعد لحظات ، وجدتنى واقفا حيث كنت ، كالمصعوق !٠٠ لم أدر كيف انتهى اللقاء هكذا فجأة ، وبهذه السرعة ٠٠ انتهى وأنا لم أفرغ من عشر ما كنت أريد أن أقول ، وما كان يجب أن أقول ٠٠!

وسألتنى العجوز مدهوشة : « ماذا ؟ هل رحلت الآنسة ؟ »

فنظرت اليها بغباء ٠٠ وخرجت !

— ١١ —

◆ **وتركت** البلدة ورائي ورحت أعدو فى الخقول كالمجنون ، وقد تولانى نكد قاتل ، وندم شديد ٠٠ وانهلت على نفسى باللوم والتقريع : كيف طاوعنى قلبى على أن أصد المسكينة ، بل أقسو فى تأنيبها ؟٠٠ وخلت صورتها تتبعنى وتطاردنى ، بوجهها الشاحب ، وعينيها المبللتين المذعورتين ، وشعرها المرسل على عنقها ٠٠ وخلتنى أسألها الصفح ، ورأسها نائم على صدرى ٠٠ وأحسست بجوفى يحترق ٠٠ **وسمعتها تغمغم من جديد : « انى لك ! » ٠٠ فساءلت نفسى : أحقا كنت أتمنى الخلاص منها ؟ أحقا أستطيع الافتراق عنها ؟ أحقا أستطيع صبرا على فقدها ؟**

٠٠ فأجابتنى نفسى فى غضب وغيظ : « غبى !٠٠ غبى ! » ٠٠ ووجدتنى أوسع الخطى فى الطريق الى بيتها ٠٠!

واستقبلنى جاجين على الباب صائحا فى انزعاج :

ـ هل رأيت أختى ؟

ـ ألم تعد الى البيت ؟

ـ كلا ٠٠٠ اغفر لى تطفلى ، لم أستطع منع نفسى من الذهاب الى مكان لقائكما ـ خلافا لاتفاقنا ـ لكنى لم أرها هناك ٠٠ أو لم تلقك ؟

ـ بل التقينا ٠٠

ـ أين ؟

ـ عند فراو لويز ٠٠ وقد تركتها منذ ساعة ، وكنت أعتقد أنها عادت ٠٠

ـ فلننتظر ٠٠

وجلسنا ننتظرها ، صامتين ، قلقين ٠٠ نتطلع الى الباب ، ونرهف سمعنا الى الطريق ٠٠ وأخيرا نهض جاجين :

ـ هذا فوق ما أحتمل ٠٠ لم يعد قلبى فى مكانه ٠٠ انها سوف تقتلنى ، أؤكد لك ٠٠ هيا نبحث عنها ٠٠ ولكن فيم تحدثتما ؟

ـ انها لم تبق معى غير خمس دقائق ، تحدثنا فيها حسب اتفاقى معك ٠٠

وخرجنا الى الظلام نبحث عنها ، ومضى كلانا فى طريق ، على أن نلتقى فى البيت بعد ساعة ٠٠!

وهبطت أنا حقول الكروم عدوا ، ورحت أذرع شوارع البلدة ، وأدور بعينى فى كل مكان ، وركضت على ضفة النهر ، وصادفت بعض النساء ٠٠ لكنى لم أقف لآسيا على أثر !

واستولى على رعب قاتل ، وندم يلهب الاحشاء ٠٠ وحب يفوق الوصف ٠٠ نعم « حب » !٠٠ فرحت ألوح بذراعى وأنادى آسيا فى ظلام الليل المتكاثف ، بصوت يزداد علوا ، حتى يبلغ

درجة الصياح ٠٠ كررت لها مائة مرة انى أحبها ، وأقسمت لها ألا أتركها أبد الدهر ٠ **وأحسست برغبة فى التخلى عن كل ما أملك فى نظير أن أتناول من جديد يدها الباردة بين راحتى، وأسمع صوتها الناعم ، وأراها أمامى ٠٠ هى التى كانت أقرب ما تكون منى، حين جاءتنى تحدوها براءة العاطفة والعزم المطلق، كى تضع ملك يمينى شبابها الغض ، الذى لم يمس ٠٠ فحرمت نفسى بنفسى من لذة رؤية وجهها الحبيب يطفر هناء ونشوة !**

وكدت أجن ٠٠ أين ذهبت ، وماذا جرى لها ؟٠٠ أخذت أصيح فى لوعة ويأس لا يوصفان٠ وفجأة لمحت شبحا أبيض يمر مسرعا عند ضفة النهر ، قرب صليب حجرى مقام على قبر شهيد غرق منذ نصف قرن ٠٠ فسقط قلبى ، وركضت فى اتجاه القبر ، لكن الشبح الابيض اختفى٠٠ وصحت بأعلى صوتى : « آسيا ! » ٠٠ فأفزعنى صوتى ، ولم يجب أحد !

وعدت أدراجى ٠٠

وفيمـــا أنا أصعد طريق الكروم ، لمحت ضـــوءا ينبعث من نافذة غرفة آسيا ٠٠ فأفرخ ذلك من روعى بعض الشىء ٠٠ لكننى وجدت باب البيت مغلقا ، فطرقته ٠٠ واذا نافذة غرفة مظلمة فى الطابق الارضى تفتح فى حذر ويطل منها رأس جاجين، هامسا :

ـ لقد عادت ، وهى الآن فى غرفتها تخلع ثيابها ٠٠ وكل شىء على ما يرام

فصحت صيحة فرح لا توصف : « حمدا لله ٠٠ حمدا لله ٠٠ لكن لى معك حديثا » ٠٠ فقال وهو يغلق النـــافذة فى رفق : « ليس الآن ٠٠ فى فرصة أخرى ٠٠ وداعا »

عندئذ خطر لى أن أنقر على النافذة مرة أخرى ، كى أقول له بلا ابطاء انى أطلب يد أخته ٠٠ لكن طلبا كهذا ، فى ساعة كهذه ، يكون مضحكا ولا شك ! حسنا ٠٠ الى غد ! غدا أظفر بالسعادة !

لست أذكر كيف عدت الى مسكنى ·· لم تكن قدماى اللتان حملتانى ، ولا الزورق هو الذى أقلنى ، وانما أجنحـــة كبيرة قوية قد حلقت بى فى الهواء !·· ومررت بدغل فيه بلبل يغرد، فوقفت وأصغيت له وهو يغرد انشودة حبى وهنائى ··!

— ١٢ —

◆ **عند** ما اقتربت من البيت الصغير الابيض فى الصباح التالى أدهشنى أن أرى نوافذه كلها مفتوحة ، وأمام بابه أوراق متناثرة ·· وخادم بيدها مكنسة ! وما أن رأتنى حتى قالت :

ـ لقد رحلوا ··

ـ رحلوا ؟ كيف ؟ متى ؟

ـ هذا الصباح ، الساعة السادسة ، ولم يتركوا عنوانهم·· ولكن انتظر ، فلعلك مسيو (···) ؟

ـ أنا هو بالفعل ··

ـ مع سيدتى خطاب لك ··

وصعدت ثم عادت به ·· ففضضته ، كان من جاجين ، يقول لى فيه انه يعتذر عن هذا السفر الفجائى ، الذى سوف أقره عليه لو فكرت فى الامر مليا ، فانه لم يجد حلا آخر للموقف المعقد الذى بات ينذر بالخطر ·· فقد قصت عليه آسيا تفاصيل لقائنا، وأدرك انه يستحيل على الزواج منها ، فاضطر لاجابة توسلاتها الحارة المتكررة فى طلب الرحيل !·· ثم يختم خطابه بالتعبير عن أسفه علىهذه النهاية السريعة لصداقتنا ، ويتمنى لى السعادة التى أستحقها ·· وأخيرا يناشدنى ألا أحاول البحث عنهما أو اللحاق بهما !

« يا للحماقة ·· يا للسخف ! » ·· صحت بلا وعى كأنه يستطيع أن يسمعنى : « من أعطاك الحق فى أنتسلبنى اياها ؟!» وتناولت رأسى بين يدى ، كى لا ينفجر ، وقد امتلأ فجأة بخاطر واحد كشعلة من نار : « أن أجدهما ·· أن أجدهما بأى ثمن ! »

وقالت لى ربة البيت انهما سافرا بطريق النهر ، فاستفسرت من مكتب الملاحة عن وجهتهما ٠٠ فقيل لى انهما أخذا تذكرتين الى « كولونى » ٠٠ فهرعت الى البيت لاحمل حقيبتى وأبحر فى اثرهما ٠٠ وفى الطريق سمعت صوتا ينادينى ، كانت « فراو لويز » تطل من شرفة بيتها ٠ وقالت ان عندها رسالة لى ، فصعدت السلم ركضا ، وسلمتنى الرسالة ٠٠ قصاصة صغيرة من الورق مكتوب عليها بالقلم الرصاص بخط سريع هذه الكلمات:

« الوداع ٠٠ فلن نلتقى بعد الآن ٠٠ لا تحسب انى أرحل بدافع من كبريائى ، وانما لانى لم أجد سبيلا آخر ٠٠ لو انك قلت كلمة واحدة عندما بكيت بين يديك ليلة أمس ، لبقيت ٠٠ لكنك لم تقل هذه الكلمة ٠٠ ولعل ذلك للخير ٠ فوداعا ، الى الابد ! »

كلمة واحدة !٠٠ يا لى من غبى !٠٠ لقد عدت فنطقت بهذه الكلمة عشرات المرات وأنا أنتحب بالامس ، قلتهـــا للريح ٠٠ وقذفت بها الى الهواء ٠٠ وكررتها وسط الحقول الموحشة ٠٠ لكنى لم أقلها لها! لم أقل لها انى أحبها !٠٠ عندما اجتمعت بها فى تلك الغرفة المشؤومة لم يكن حبى قد وضح فى عينى ٠٠ لم ينبثق فى قلبى بعنف لا يقاوم الا بعد ساعات ، حين رحت أبحث عنها وأناديها ، مدفوعا بجزعى من احتمالات السوء ٠٠ ولكن كان ذلك بعد فوات الاوان !٠٠ أهذا معقول ؟ قد لا يكون معقولا ، ولكنه الواقع !٠٠ الواقع الذى ألجمنى وشل الاعتراف على لسانى أمام نافذة جاجين فى الليلة السابقة ، فأفلت من يدى آخر خيط كنت أستطيع التشبث به !

وأبحرت الى « كولونى » ٠٠ في اليوم نفسه ٠ وقبل أن تقلع بى السفينة وقفت أودع البلدة الهادئة التى ولد فيها حبى العظيم ، وحانت منى نظرة الى الضفة الاخرى من « الراين » : كان تمثال العذراء ما يزال يرسل نظراتها الحزينة من خلال أغصان شجرة الدردار العتيقة !

❖

◆ وفى كولونى اهتديت الى آثار الاخوين ، علمت انهما سافرا الى لندن ٠٠٠ فتبعتهما من فورى الى هناك ٠ لكنى عبثا بحثت عنهما فى العاصمة الكبيرة ، برغم انى ظللت زمنا أرفض الاعتراف بالفشل ، وأواصل السعى ٠٠ فى مكابرة ، وعناد !

وأخيرا ٠٠ سلمت بالهزيمة !

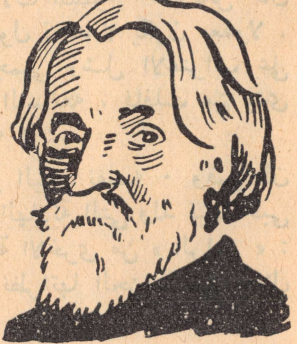
ولم أرهما بعد ذلك قط ٠٠ لم أر آسيا ، بل لست أعلم اذا كانت على قيد الحياة أم لا !؟

كل ما بقى منها فى حياتى : قصاصة من ورق ٠٠ وزهرة جافة فى درج مكتبى ، زهرة « الجيرينيام » التى قذفتها لى يوما من النافذة ، والتى ما يزال يفوح منها شذى خفيف !٠٠ بينما اليد التى قذفتها قد تكون تحللت منذ زمن بعيد فى القبر ٠٠ أو قد تكون الآن ملتفة حول عنق رجل ٠٠ آخر !

من يدرى !؟

المـؤلف

(١٨١٨ – ١٨٨٣)



◆ والآن ، فلنحاول أن نجفف معا دموع الاسى على مصير هذا الحب الطاهر العظيم، ولنضع على ذكراه باقة من سيرة خالقه المبدع ..

انه «ايفان سرجيفتش تورجنيف» ، ولد فى مدينة (أوريل) بروسيا من اسرة من سراة الريف ، وفرض عليه استبداد أمه أن يتلقى علومه الاولى فى البيت.. ثم أكملها فيما بعد فى جامعتى موسكو وسانت بطرسبرج ، واخيرا فى جامعة برلين (١٨٣٩ – ١٨٤٠)

وفى سنة ١٨٤٣ نشر قصته الاولى «الشعرية» (باراشا) ، التى ظفرت باعجاب النقاد . ثم هجر الوظيفة ليحترف الادب .

وفى تلك الآونة شغف بالمغنية المشهورة بولين جارسيا (مدام فياردو) ، الامر الذى أغضب عليه امه فقطعت عنه عونها المالى !.. وهكذا عاش حياة بوهيمية غير مستقرة ، حتى ماتت «الطاغية» سنة ١٨٥٠ فورث ثروتها التى جعلت منه رجلا غنيا !.. وقد عاش طيلة حياته وفيا لولعه بمدام فياردو ، وان كانت هى لم تبادله عاطفته ، الامر الذى ترك فى ادبه طابعا من الاسى العميق .

وقد هجر تورجنيف الشعر الى التأليف المسرحى ، ثم هجره بدوره الى القصص النثرى الطويل ، فأصدر فيه هذه الروائع : الحب الاول ، آسيا ، اعاصير الربيع، آباء وأبناء .. وقد نحا فى بعضها منحى اجتماعيا أثار عليه حملة بعض النقاد ، فدفعته حساسيته الى هجر وطنه وقضاء بقية حياته فى مدينة النور والحرية (باريس) . وفى سنة ١٨٨٠ زار وطنه زيارة اخيرة فاستقبل فيه بترحيب كبير . وبعد ٣ سنوات غربت شمس حـياته فى (بوجيفال) بقرب باريس .

وقد كان تورجنيف أول كاتب روسى تقرأ قصصه على نطاق واسع فى اوربا بأسرها ، وقد قضى سنواته الاخيرة على اتصال وصداقة وثيقة مع الاوساط الادبية الفرنسية ، ولاسيما مع «فلوبير» ـ مؤلف (مدام بوفارى) ـ وكان الجيل الناشىء من الادباء الفرنسيين ينظرون اليه نظرتهم الى «استاذ» .. لكنه بقدر ما كان محبوبا من هؤلاء كان مكروها من زملائه الروس ، أمثال تولستوى ودستوفسكى !

وهو يعد اكثر الكتاب الواقعيين الروس نزوعا الى الرومانتيكية فى أدبه ، وقد تأثر فى هذا الصدد الى حد كبير باسلوب (بوشكين) و(جورج صاند) .. ورسمه للشخصيات لا يعتمد على التحليل النفسى بقدر اعتماده على الجـو «الشاعرى» الذى يصاحب أشخاص القصة كالهالة !.. وأكثر ما يظهر ذلك فى شخصياته النسائية ، التى هى أقوى واكثر جاذبية من ابطاله الرجال .. ويكفى ان من بينهن : آسيا !

عزيزى القارىء ...

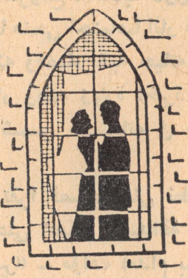
فى الاعداد الاولى من كتابى قدمت لك فى هذا الباب قصة الحياة الخاصة لفيكتور هوجو ، مستقاة من كتاب الاديب « ليون دوديه » ، الذى فضح فيه نفسية هوجو على حقيقتها برغم كونه من أفراد اسرته وذوى قرباه !

على انك اذا استغربت أن يعمد كاتب الى افشاء اسرار الحياة الخاصة لعبقرى يمت اليه بالقرابة ، فانت حرى أن تستغرب اكثر ، أن يعمد العبقرى الى نبش طوايا نفسه هو ، والافضاء بها الى الانسانية جمعاء ، راضيا مختارا ، غير مبال بما قد تصدر عليه الاجيال التالية من أحكام .. وما قد يشوب ذكراه نتيجة لذلك من شوائب !

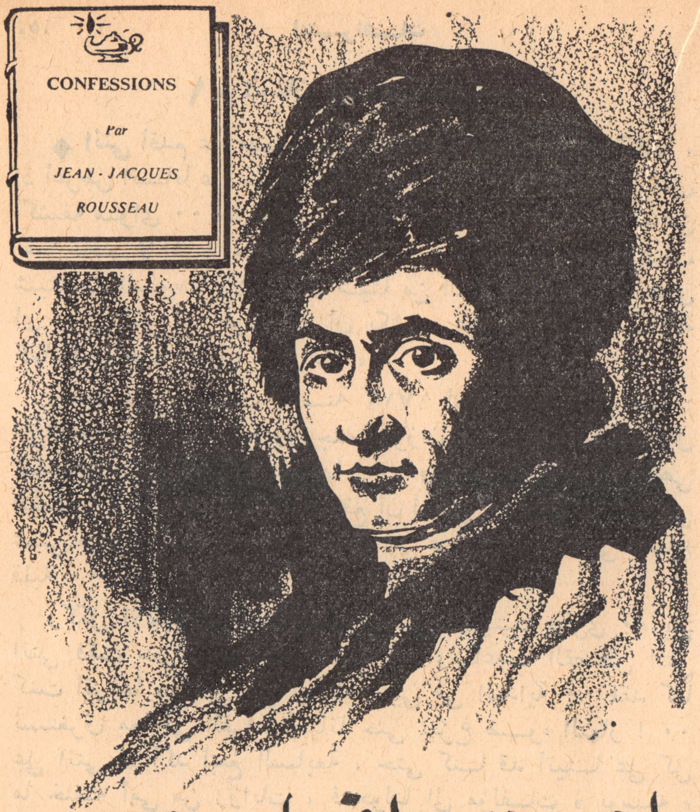
و«اعترافات روسو» من الكتب الشوامخ ، التى كان وما يزال لها فى تاريخ الاداب العالمية مكانة باقية على الزمان ، سواء بحكم المكانة التى لصاحبها بين العباقرة الخالدين ، أو نظرا لما تتسم به «الاعترافات» ذاتها من صراحة وجرأة ، و«أمانة» خارقة فى سرد معايب صاحبها قبل فضائله !

وسوف يتلو اعترافات روسو فى هذا الباب بأذن الله ، قصص الحياة الخاصة لكل من : ديكنز ، بايرون ، فاجنر ، شيللى ، تولستوى ، روبرت براوننج واليزابيث باريت ، اخوات برونتى .. الخ

خلف النوافذ المغلقة



عباقرة الإنسانية
فى حياتهم الخاصة



اعترافات

جان جاك روسو

١ - انسان يكشف نفسه ! ٠٠

◆ **انني** أقدم على مهمة لا مثيل لها ، ولا سبيل الى محاكاتها ، اذ أعرض انسانا على حقيقته وطبيعته ٠٠ وما ذلك الانسان الذى أكشفه سواى ٠٠ أنا نفسى ! ٠٠ وأنا وحدى ! ٠٠ اذ أعتقد عن يقين بأننى لا أشبه أحدا من الاحياء ٠٠ وما كتمت فى هذاالكتاب شيئا من السوء ، ولا أضفت شيئا من الخير ٠٠ وانى لاتحدى أى رجل آخر أن يقول بعد أن يكشف عن قلبه بأمانة صادقة كما أفعل هنا : « أنا خير منه » !

ولدت فى « جنيف » سنة ١٧١٢ لوالدين تعسين هما : ايزاك روسو الساعاتى وزوجته سوزان ٠٠ وكان مولدى أول تعاساتى ، اذ كلف أمى حياتها ! ٠٠ وهبطت الى الدنيا متناهى الضعف ، حتى ان أحدا لم يتوقع أن أعيش ٠٠ ومن ثم غمرتنى عمتى برعاية بالغة الحنان ، ووجد أبى عزاء فى أن يحبنى بجماع قلبه ٠٠

وككل الاطفال ، تيقظ شعورى قبل أن يتنبه فكرى ٠٠ بل اننى فقت سواى فى هذا الصدد٠٠ وساعدت القصص التى كنت أقرأها مع أبى على ايقاظ وعيى فى البداية ٠٠ فقد كنا نستغرق معا فى القراءة أحيانا حتى يبزغ ضوء النهار ! ٠٠ على اننى لم أكد أبلغ السابعة ، حتى كنا قد أتينا على كل ما خلفته أمى من روايات ، فتحولنا الى مؤلفات « بوسيه » و « موليير » و « بلوتارك » و « أوفيد » ومن اليهم ٠٠ وكان «بلوتارك» أبلغهم أثرا فى صرفى عن الروايات٠٠ بل ان «تراجمه» كانت فى الواقع مقومات تلك الروح الحرة ، الجمهورية ، التى تأبى الضيم ، والتى طالما أشقتنى ٠٠ كما اننى أدين بولعى بالموسيقى الى عمتى التى كانت تعرف من الاغانى ما لا حصر له ، وكانت تغنيها بصوت عذب ، رفيع ٠٠

هذه اذن كانت أولى مشاعرى وميولى ، وقد شكلت هذا القلب الذى أوتيت ، قلبا متكبرا كثير الزهو ، ولكنه مفرط الرقة أيضا٠٠ وصاغت فى كيانى تلك الشخصية، شخصية فيها تخنث٠ وفيها تمرد لا يمكن من ترويضها ولا تذليلها ، مما جعلها مذبذبة دائما بين الضعف والفضيلة ٠٠ وهكذا كنت متناقضا مع نفسى، مما فوت على الزهد والمتعة ، واللهو والحكمة ٠٠ على السواء !

واذ اضطر أبى الى الفرار من « جنيف » بعد اشتباكه فى نزاع مع سلطاتها الحاكمة ، بقيت فى رعاية زوج عمتى «برنار»، وألحقت مع ابنه ـ الذى كان يضاهينى سنا ـ بدار المسيو «لامبرسيبيه» ـ وكان قسا بروتستانتيا فى «بوسى» ـ كى أتعلم كل القشور التى يسمونها علما ٠٠ وهناك ، اكتسبت ذلك الحب المشبوب لمباهج الريف ، وتذوقت مع ابن عمتى متع الصداقة الخالصة ٠٠ الى أن أدى عقاب صارم سلط على لذنب لم أرتكبه، الى وضع حد لبساطة طفولتى وسذاجتها ، فسرعان ما رحلت عن « بوسى » غير آسف ٠٠ وأعقب ذلك سنوات قضيتها فى « جنيف » متكاسلا خمولا ٠٠

تعلمت الكذب والسرقة !

وبعد محاولة قصيرة غير موفقة فى العمل بمكتب أحد مسجلى العقود ، تتلمذت على حفار ، كان طاغية زنيما ، فعلمنى ظلمه الكذب والسرقة ٠٠ وبلغت السادسة عشرة من عمرى ، وأنا أعيش فى غمرة الاستياء والخوف الطاغى من وحشية معلمى ٠٠ الى أن حدث ذات يوم ان عدت من نزهة خلوية متأخرا فألفيت أبواب المدينة قد أغلقت ـ كالعادة فى المدن فى تلك الايام ـ فآثرت أن أجرب حظى فى العالم الذى كنت أجهله ، على التعرض لما كان محتوما أن ينصب علي من سياط المعلم الطاغية!

٢ ـ لقائى الاول مع مدام « دوفارن »

♦ **وما كان** أجمل أحلام الحرية والمستقبل ! ٠٠ لم أكن أطمع فى أكثر من ضيعة أكون أثيرا لدى مولاها ، وحبيبا لابنته، وصديقا لاخيها ، وحاميا لاهل الجيرة جميعا !

ورحت أهيم فى الريف ، آوى فى الليالى الى ضيافة أصحاب الاكواخ ، حتى اذا بلغت « كونفينون » ، دعانى الفضول الى ان أسعى الى قس « أبرشيتها » المسيو « بونتفار » ، فاذا به يمنحنى عشاء أرضانى أكثر مما أرضتنى حججه التى راح يدلل بها على ميزات المذهب الكاثوليكى ٠٠ ثم أعطانى خطاب تقدمة وتوصية، حفزنى على المبادرة الى الرحيل الى « أنيسى » ، حيث كان على أن أسعى للقاء « مدام دوفارن » ، بعد أن أكد لى القس أن كرمها كفيل بأن يعيننى فى الظروف التى كنت فيها ٠٠

وان هى الا ثلاثة أيام حتى كنت فى « أنيسى » ٠٠ وكانت التقدمة التى حظيت بها من القس سببا فى تقرير شخصيتى ومصيرى ! **كنت اذ ذاك فى السادسة عشرة من عمرى ، ذا مظهر يروق للاعين، وان لم يكن فتانا ٠٠ وكنت خجولا ، ولكنه خجل ينم عن فطرة أنيسة وطبع ودود ٠٠ اذ كنت أخشى دائما أن يكون فى قولى أو تصرفى ما يسىء ٠٠ وكنت جهولا بالدنيا وآداب السلوك ٠٠**

وصادف وصولى يوم « أحد السعف » من عام ١٧٢٨ ٠٠ وكانت « مدام دو فارن » قد غادرت دارها الى الكنيسة ، فهرعت وراءها، ورأيتها ، وتحدثت اليها ٠٠ وكم أذكر ذلك المكان الذى طالما بللته فيما بعد بدموعى ، وغمرته بقبلاتى ، وتمنيت أن يحاط بسياج ذهبى ، وأن تقام فيه لوحة يكتب عليها : « هنا التقى جان جاك روسو بمدام دوفارن » !

ألفيتها ذات شكل ساحر ، وملامح تفيض جلالا ، وبياضا يبهر البصر ، وعينين زرقاوين يسيل منهما الحنان ٠٠ ويحق

لك أن تتصور اننى من تلك اللحظة تحولت مخلوقا آخر غير الذى كنته !

وابتسمت المرأة اذ قرأت خطاب القس الطيب ، ثم ردتنى الى دارها لاتناول الفطور ..

مأساة زوجة ..

◆ **كانت** « لويز الينور دو فارن » سليلة أسرة نبيلة من « فيفى » - بالريف - وقد قدر لها أن تتزوج فى سن مبكرة من المسيو « دوفارن » ، أحد أبناء « لوزان » .. لكنه كان زواجا غير موفق ، ولم يثمر نسلا .. حتى اذا أرهق الخلاف أعصاب الزوجة الشابة عمدت الى هجر زوجها ، ووطنها ، وعبرت البحيرة لتلقى بنفسها عند قدمى ملك فرنسا ، الذى أسبغ عليها حمايته ، وخصها بمعاش لا بأس به ، ثم أعادها الى « أنيسى » خشية الفضيحة .. وهناك ، كفرت عن خطاياها بالانزواء فترة من الزمن فى دير !

وكانت قد قضت ست سنوات فى « أنيسى » حين التقيت بها ، وقد صارت فى الثامنة والعشرين من عمرها.. واحتفظ جمالها - رغم الاحداث - بسناه الخلاب ، وابتسامتها ببهائها الملائكى .. ومع انها كانت قصيرة القامة ، الا أن جمال قسماتها ويديها كان يجل عن كل خيال !

وكانت ثقافتها غير منتظمة ولا منسقة ، اذ تلقت عن عشاقها أكثر مما تلقت عن مدرسيها ! .. وكانت شديدة الميل الى طب الدجل ، والى الكيمياء ، حتى لقد كانت تركب بعض الادوية المقوية والاصباغ والبلاسم والعطور ، وتعتبر بعضها من الاسرار الغالية .. وهكذا استطاع الدجالون أن يستغلوا هذا الضعف فيها ، فيحملوها على أن تضيع بين العقاقير والبواتق ذكاء نابغا كان كفيلا بأن يجعل نجمها يتألق فى أرقى المجتمعات ..

ومع ذلك ، فان هذا لم ينل قط من حلو طبعها ، ولا من عطفها على المتعوسين ، ولا من طيبتها التى لا ينضب معينها ، وروحها الصريحة المرحة الطروب ٠٠ وقد ظل صفاء نفسها يصون مرح شبابها الساحر ، حتى حين زحفت عليها الشيخوخة وسط الفقر والنكبات المتباينة ٠٠ وكانت كل أخطائها تنبعث عن نشاطها الذى كان لا يفتأ يستحثها على أن تشغل نفسها دون توان أو هوادة ٠٠ كانت تتعطش الى المشروعات العظيمة ، لا الى الدسائس غير المشروعة !

وكيفما كان الحال ، فان أول نظرة حظيت بها من « مدام دوفارن » أوحت الى ـ لا بأننى مقدم على خير معاشرة مستطابة فحسب ـ بل بأننى وجدت من أستطيع أن أودعه ثقتى المطلقة ٠٠ وقط لم يخب ظنى فيها بعد ذلك ! بل لقد صار وجودها يملأ كيانى طمأنينة وثقة !

سوء الطالع يلازمنى !

◆ **وتحدثت** « مدام دوفارن » مع الاسقف بصددى ، ثم انتهى الرأى الى ايفادى الى « تورين » لابقى زمنا فى معهد خاص لتلقينى أصول الدين ٠٠

وهكذا رحلت وأنا أعتبر نفسى تلميذا ، وصديقا ، بل وحبيبا لمدام دوفارن ! ٠٠ ولكن هناك حالت أبواب المعهد بينى وبين العالم ، فقضيت بضعة أسابيع مع رفاق لم أعلق بواحد منهم ٠٠ وأخيرا انتهت مدة دراستى فى المعهد ، فلم ألبث أن وجدت نفسى فى عرض الطريق وفى جيبى عشرون فرنكا ٠٠ وفى رأسى أصداء النصائح التى قدمت لى لاكون مسيحيا طيبا ٠٠

وبات على أن أشق لنفسى مستقبلا ٠٠ فاتخذت لى مسكنا بسيطا فى (تورين) ، وبفضل ما بذلته لى صاحبة النزل من معونة لم ألبث أن التحقت بخدمة احدى « الكونتات » ٠٠ ولكن



السيدة توفيت بعد قليل ، فغادرت دارها وفى نفسى ندم مقيم من جراء ذنب بشع اقترفته .. اذ كنت قد اتهمت أحد زملائى الذين كانوا فى خدمتها بسرقة كنت أنا مرتكبها .. ولعلنى بهذا قضيت على مستقبل المسكين !

وكررت راجعا الى النزل القديم الذى كنت أقيم فيه .. وعدت أقضى أيامى متسكعا في المدينة، أؤذى مشاعر القوم بنقائصى ومثالبى .. غير اننى ظللت أحتفظ بصلاتى ببعض من تعرفت بهم أثناء مقامى مع « الكونتيسة » التى سرقتها ! .. وكنت أتردد فى بعض الاحيان على واحد منهم يدعى « المسيو جايم » ، فأزجى الى أثمن التعاليم فى مبادىء الاخلاق .. اذ كان قسا ، وكان من أشرف من عرفت من الناس ، فى حين اننى كنت قد اعتنقت أفكارا فاسدة عن الحياة ، فاذا به يرسم لى أصدق الصور عنها ، ويبين لى أن السعادة انما تتوقف على الحكمة فحسب ، وان الحكمة ليست وقفا على طبقة دون أخرى ..

وحصلت بعد ذلك على عمل جديد ، فى دار « الكونت دو جوفون » ، حيث كنت خادما خاصا ، اسميا ، اذ ما لبثت أن عوملت كتلميذ ، بل كمقرب أثير لدى الكونت ! .. وكان له ابن من القساوسة بذل قصارى وسعه ليعلمنى اللغة اللاتينية.. وقد أدركت فيما بعد أن تلك الاسرة النبيلة كانت ذات مطامع سياسية عظيمة ، وان حرصها على تعليمى وايثارى كان يرمى الى غرض .. فقد كانت تسعى الى تدريب تابع موهوب ، يمكنها

أن تستخدمه فى بعثات عظيمة التبعات ٠٠ ولكن عدم استقرارى أفسد هذا الحظ الطيب ، اذ كان من جراء تكرر خروجى على طاعة الاسرة فى قحة مستقبحة ، ان فصلت من خدمتها ٠٠ وان وجدت نفسى فى الطريق الى « جنيف » بصحبة فتى مرح من أهلها ، صادفنى فى « تورين » ٠٠ وبعد تسكع ومغامرات متنوعة وجدتنى بالقرب من « أنيسى » حيث تقيم راعيتى وكفيلتى مدام دو فارن ، فنازعتنى نفسى الى لقائها ٠٠ وسعيت الى بابها مرتجف الاوصال ! ـ خجلا من تعطلى عن العمل بعد أن حسبت هى اننى وطدت قدمى فى معترك الحياة ! ـ على ان المرأة الحبيبة لم تبد كثير عجب ، لا ولم تظهر شيئا من الاسى أو الاسف ٠٠ وما ان رويت لها قصتى حتى منحتنى صفحها ٠٠ ومن ذاك الوقت غدت دارها دارى !

أمى الصغيرة !

◆ **كانت** الدار قديمة ، ولكنها فسيحة ، توفرت فيها أسباب الراحة ٠٠ وكانت نافذة غرفتى تطل على الحديقة ، وعلى جدول مائى ، وعلى الريف والفضاء ٠٠ ومع ان الطعام لم يكن من أرقى الاصناف ، الا أنه كان وفيرا ، وكان يقدم بسخاء ٠٠ فقد كانت « مدام دو فارن » أبعد الناس عن الشح والاقتصاد ، حتى انها كانت تنحدر سريعا الى هوة الديون ، بسبب افراطها فى الكرم والمجازفة بأموالها فى المشروعات الخيالية ٠٠ وكان يعمر البيت عداها واياى ، خادم ، وطاه ، ووصيف يدعى « كلود آنيه » ٠٠

وسادتنا منذ أول يوم روح من الالفة المستعذبة ٠٠ كانت المرأة تدعونى ب « الصغير » وكنت أناديها ب « الام الصغيرة » ، وكان هذان اللقبان خير مايبين العلاقة التى وصلت بين قلبينا ٠٠ كانت تسعى دائما لما فيه الخير لى ، ولم تفكر قط فى متعتها الخاصة ٠٠ كانت شديدة التعلق بى ، وكانت تسبغ على فيضا من حنانها الاموى ! ـ **وكنت اذ ذاك قد بلغت التاسعة عشرة ـ**

وكانت كل مهمتي في البيت أن أكتب لمدام دوفارن رسائلها ، وأن أساعدها في تجاربها لتركيب العقاقير ٠٠ ولكنها كانت لا تفتأ تفكر في مستقبلي ، فلم تلبث أن ابتكرت سببا أرسلتني من أجله الى قريب لها يدعى المسيو « دوبون » ليتعرف على ما أصلح له ٠٠ فكان تقريره عني انني مخلوق متداعى المعنوية ، ضيق العقل ، جاهل ، مهرج ، وان خير ما يرجى لي أن أصير قسا لاحدى القرى ! ومن ثم كان على أن أدرس اللغة اللاتينية في مدرسة الدير مرة أخرى !

٠٠ ونفذا الفكرة في ، وأنا صاغر ، على انني لم ألبث أن عدت بعد شهور وقد قرر الاسقف وعميد المدرسة انني لا أصلح للدراسة !

باريس تخيب أملي ؟

وعملت بعد ذلك مترجما لاسقف يوناني يشـغل منصب « ارشمندريت » في بيت المقدس ، التقيت به أثناء تناولي الطعام في مطعم صغير ٠٠ وكان يطوف بأوروبا يجمع المـال لاصلاح مبنى الضريح المقدس ، فأديت له خدمات جليلة ، اذ صحبته في تنقله من مدينة الى أخرى ٠٠ وكان من سوء حظ مخدومي هذا ، أن تقدم يطلب تبرعا من « الماركيز دوبوناك » ، الذي كان سفيرا لدى الباب العالي (العثماني) ، وكان يعرف كل شيء عن «الضريح المقدس » ٠٠ ولست أدري ما الذي دار بينهما في هذا اللقاء ، ولكن الارشمنديت اختفى في اليوم التالي ٠٠ وبذلك فقدت عملي ! وفي غمرة أساي ومحنتي رويت للماركيز قصة حياتي ، فعطف على وأرسلني الى باريس ، بعد أن زودني ببعض المال ، لالتحق بخدمة صديق له من رجال الجيش ٠٠

وأحسست لاول نظرة ألقيتهـا على باريس بخيبـة أمـل ، لم أتخلص منها بعد ذلك قط ٠٠ فانصرفت عن العمل الذي كنت أتوقع أن ألتحق به ، حتى اذا نفذ ما كان معي من مال ، رحلت

الى « ليون » ، أسعى من جديد الى راعيتى « مدام دوفارن » التى كانت تقيم فى « شامبيرى » فى تلك الاثناء ..

وبلغت دارها ، فألفيت المعتمد العام لديها .. فقالت له دون أن توجه الى عبارة ما : ها هو ذا ياسيدى .. احمه طالما كان يستحق الحماية ، ففى ذلك ضمان مستقبله » .. ثم تحولت الى قائلة : « انك الآن فى خدمة الملك يا صغيرى » ..

وهكذا غدوت سكرتيرا فى ادارة عمل الخرائط بالمساحة !

تستقبلنى فى مخدعها !

◆ **كنت** فى الحادية والعشرين من عمرى تقريبا حين بدأت حياة الوظيفة فى سنة ١٧٣٢ .. وكنت أعيش مع « أمى الصغيرة » ـ كما صرت أدعو مدام دوفارن ـ فى منزل موحش استأجرته لانه كان ملكا لسكرتيرها المالى الذى كان يشرف على معاشها ، وأعنى به « كلود آنيه » الوفى الذى كان لا يزال فى خدمتها ..

وأخذ ولعى بالموسيقى يزداد فى ذلك العام ، حتى اذا اشتد عناء العمل فى الوظيفة ، عقدت العزم على أن أستقيل منها ، وأن أتفرغ لتدريس الموسيقى .. وسرعان ما توفر لدى من التلميذات ما يفى بحاجتى .. وكان اتصالى بهن مبعث متعة عظيمة لى ! .. كانت «مدموازيل دوميلاريد » ـ مثلا ـ ذات العينين السوداوين المتألقتين ، تستقبلنى فى مخدعها وهى فى قميص النوم ، وقد زانت شعرها وردة جميلة ، وصففته بالشكل



الذى تعرف انه يروق لى !٠٠ وكانت « مدموازيل دومنتون » تلقانى هى الاخرى فى ثوب يكشف عن نحرها، وقد أرخت منديلا أزرق بين نحريها كى تخفى أثر حرق قديم ٠٠ وكانت هناك « مدموازيل دوشارلى» ذات الشعر الاحمر الجميل، و« مدموازيل لار » ابنة البدال التى تبدو كتماثيل الاغريق الفاتنة ، و « الكونتيسة دو ٠٠٠ » ، تلك الغانية التى اتخذت الغواية فنا تتقنه !

تعرض على جسدها !

وكان من الطبيعى أن أتحدث الى « أمى الصغيرة » عند عودتى من دار كل « تلميذة » من هؤلاء عما فعلت بى ! وكان حريا بها أن تشعر بالخطر المحدق بى ٠٠ ولكن الخطة التى لجأت اليها كانت فريدة فى نوعها : اذ كانت قد استأجرت دارا ريفية خارج المدينة ، فدعتنى الى قضاء يوم فيها ٠٠ **وهناك ، راحت تتحدث فى صراحة ٠٠ وبدأت أفهم : أو تراها رعتنى وعنيت باتخاذى «صغيرها العزيز» لأتهالك على العذارى الحسان ؟ ٠٠ واستطعت أن أدرك مدى طيبتها نحوى حين بصرتنى بالضرر الذى قد يصيبنى من فتنة تلميذاتى ، فى حين انها كانت ترانى جديرا بحب امرأة تعمل لخيرى وتعيننى على تحقيق أحلامى ٠٠ ثم انتهت الى أن عرضت على أن تجعل من نفسها عشيقة لى، لتنقذنى من الفساد الذى خشيت أن أنحدر اليه فى صحبة الاخريات !٠٠ وأمهلتنى اسبوعا أتدبر فيه قرارى الاخير ٠٠**

وهزت عواطفى طيبتها وعنايتها بأمرى ، فارتميت على صدرها وأنا أبكى تأثرا !

وأكبرت فيها انها كانت تحب بدافع من الشفقة والعطف ، فلم تتخذ يوما من عواطفها تجارة ، أو تطلب لمآثرها ثمنا٠٠ وانما كانت تجود بها فى سخاء دون ثمن ٠٠ وقد أصبت من حبها هذا نفعا كبيرا ، فانها كانت من قبل تعاملنى معاملة الاطفال، ولكنها غدت تعدنى لاكون رجلا خبيرا بالدنيا والحياة ، فأخذت تلقننى

أصول الظهور وآداب السلوك ، وتؤهلنى لحياة ناجحة موفقة ..

وعشت واياها و «كلود آنيه» ، فتألفت منا أسرة ما أظن لها شبيها .. كانت كل رغباتنا ، وأمانينا ، وميولنا ، ومصالحنا ، مشتركة .. ولكن هذه الرابطة تصدعت بوفاة « كلود آنيه » ، رغم كل ما بذلته « المدام » لانقاذ حياته ـ فقد كان أحرص خبير على معاشها ، وأقدر النـــاس على ردعها عن الانسياق وراء المشروعات التى كانت تبدد من أجلهـــا مالها .. ولم يقتصر شعورنا بفداحة فقده على فراغ مكانه بيننا ، وانما تجلى أيضا فى نضوب موارد مدام دوفارن .. فقد أخذت حالتها المـــالية تنحدر من سىء الى أسوأ خلال السنوات الثلاث التى تلت ذلك .. وزاد من لوعتنا وهمومنا أن وقعت أنا بدورى صريع مرض أشرف بى على الهلاك ، فلم ينقذنى منه سوى رعايتها وانقطاعها للحنو على والعناية بى .. ومن ذلك الحين ارتبط وجودى بوجودها ارتباطا تاما ..

جنة الحب

ونصح الطب لى بالانتقال الى الريف ، فعثرنا بالقرب من « شامبرى » على دار صغيرة ، تقبع وسط حديقة تحف بهـــا الاشجار من كل جانب ، وتكاد تفصلها عن البلدة ، فكأنها فى عزلة تامة .. تلك هى « ليه شارميت » التى انتقلنا اليها ، وبدأنا فيها حياة جديدة ، فى خريف سنة ١٧٣٦ ..

وكانت « ليه شارميت » جنة الحب المثالية ... فيها وقف كل منا حياته وكيانه وعواطفه ومشاعره على الآخر ، فكان كل لصاحبه ، ولصاحبه فقط .. فكنا نهيم فى الريف معا ، أو نعمل فى الحديقة فنجمع الزهور ونقطف الفواكه معا ، ونستلقى فى ظلال الاشجار نصغى الى تغريد الطيور .. فما كان أجملها من ساعات ذهبية تعتبر ذكراها أغلى ذخيرة من تذكارات حياتى !

وكنت أستيقظ قبل شروق الشمس ، فأجوس خلال الحديقة التى كساها الندى ، وأنفذ الى طريق « شامبيرى » ، أملى العين بجمال الطبيعة ومفاتنها ٠٠ حتى اذا عدت الى « ليه شارميت » تطلعت الى نافذة « المدام » ، فان وجدتها مفتوحة ، هرعت صاعدا لاحييها ٠٠ وما كان ألذ القهوة الدافئة بعد هذه الرياضة المبكرة !٠٠ وأحيانا كان يحلو لنا تناول القهوة فى خميلة تحف بها الكروم فى أقصى الحديقة٠٠حتى اذا فرغنا من الافطار خلا كل الى صاحبه ، يسامره ، ويجاذبه أطراف الحديث ٠٠ وكم كان ذلك الحديث زاخرا بالعلم والمعرفة والتبصير بشئون الحياة !

عندما يكون المرض نعمة !

ثم أصبت ذات يوم بمرض فجائى أثر على قلبى ، وأورثنى أرقا مستمرا ، لم يلبث أن استحال الى نعمة جزيلة: فقد خيل الى أن منيتى اقتربت ، فأقبلت على القراءة والدراسة بنهم شديد٠٠ والواقع اننى بهذا بدأت الحياة الحقيقية !٠٠ وقامت « أمي الصغيرة ! » بدور « المعلمة » ، وخاصة حين شرعت فى دراسة الدين٠ وعندما فرغت منه أقبلت على قراءة كتب الفلسفة، فقرأت مؤلفات « لوك » وليبنتز وديكارت ٠٠ وتذوقت أشعار «فيرجل» ٠٠ وأتقنت اللاتينية ٠٠ وألممت بالجبر والهندسة ٠٠ ودرست علم التشريح ، فكنت أخال اننى مريض بكل داء أقرأ عنه ! ٠٠ وابتعت للحديقة خريطة مجسمة للاجرام السماوية ، تضاء فى الليل بشمعة داخل « فانوس » ، فكنت أسترشد بها فى دراسة النجوم والتطلع اليها خلال المنظار !

وكنت أينما ذهبت أتأبط كتبا ٠٠ وكانت مجلداتى تتناثر فى كل مكان ٠٠ فى برج الحمام ، وفى الحديقة ، وفى الخميلة، وتحت الاشجار ٠٠ وهكذا كنت أحظى بالطبيعة ، والعلم ، والفراغ ، وتلك الصحبة العذبة التى لا قبل لى بوصفها ٠٠ وكم كنت غبيا حين خيل لى أن تلك المتع ستبقى لى حتى النهاية !٠٠

فقد كان مقدورا لى غير ذلك ، اذ ساءت حالى الصحية ، حتى تحتم أن أقصد الى « مونبلييه » لاستشير طبيبا فيهـا يدعى « فيز » ..

فى أحضان « مدام دولارناج » !

◆ **وفى** الطريق الى « مونبلييـــه » التقيت فى المركبة التى استقللتها من « جرينوبل » بشابة ذات جمال فاتن ، كانت تعانى الوحدة الممضة ، فآليت على نفسى أن أرافقها .. وحدث بعد أن تناولنا العشاء فى فندق صغير نزلنا به فى الطريق، أن رافقتها فى نزهة فى ظلال أسوار البلدة ، فاذا بها تفاجئنى بغتة بأن أحاطت عنقى بذراعيها وقبلتنى .. وكانت ساحرة .. كانت نظراتها كفيلة بأن تغوى تمثالا جامدا ، فما بالك بانسان !.. وعلى الرغم من ضعفى واعتلال صحتى ، فاننى لم أقو على مقاومة فتنتهـا !

وكان يرافقنا فى المركبة «الماركيز دوتوريتان» ، فراح – حين استأنفنا الرحيل – يسخر منى ويلذعنى بعبارات التعريض .. حتى اذا اقتربنا من المحط التالى ، أوفد خادمه يسبقنا ليحجز له غرفة الى جوار الفاتنة ، ويقصينى الى غرفة فى نهاية النزل .. ولكنه مع ذلك لم يوفق فى حرماننا من اللقاء !

وتدلهت في هوى « مدام دولارناج » – فهكذا كان اسمها – فظللت فى رفقتها بعد أن بلغ المـــاركيز ورفاقه مقصدهم .. وقضيت معها خمسة أيام ، نسيت خلالها « مدام دوفارن » !.. والحق اننى مدين لها ، اذ أذاقتنى طعم المتعة الحقة ، فقد كنت فى علاقتى بمدام « دوفارن » أستشعر حياء وحرجا بسبب ماكان يطغى على من «أمومتها» الغامرة !

وقضيت شهرين فى «مونبلييه» أتداوى من مرض القلب ، وأغترف الملاذ !.. وعندما حان أوان رحيلى عن المدينة وجدتنى أثناء العودة في مفترق طريقين: أحدهما يقود الى «مدام دولارناج»

والآخر الى « ليه شارميت » !٠٠ وتريثت برهة أوازن بين الحب والمتعة ، فلما وجدت الكفتين متعادلتين ، آثرت حكم العقل ٠٠ ويممت شطر « أمى الصغيرة » !

وكتبت لها أحدد ساعة وصولى ، ولكننى بلغت حديقة الدار دون أن أجد أحدا فى انتظارى !٠٠ وولجت البيت، فاستقبلنى الخدم فى دهشة ٠٠ وهرعت أصعد السلم اليها، ففوجئت بها تستقبلنى فى فتور وتراخ ، قائلة : « آه !٠٠ أهـذا أنت يا صغيرى ؟٠٠ هل نعمت برحلة ممتعة ؟ » فسألتها : « ألم تتلقى خطابى ؟ » ٠٠ فأجابت فى غير احتفال : « بلى ! »

واسترعى انتباهى وجود « فينتزنريد » ٠٠ وهو حلاق أفاق ، تولى ادارة مزرعة « المدام » أخيرا ٠٠ وكان يبدو مزهوا بنفسه، متعاظما ، لا يكف عن الحديث عن غزواته لقلوب «المركيزات» وسيدات الطبقة الراقية ٠٠ ولا يفتأ يسخر من كتبى ، ويهزأ من الشعر والادب !

وتفتقت فى ذهنى الحقيقة الرهيبة : لقد شغل مكانى لدى « المدام » !

وقالت « أمى الصغيرة » ان ذلك لا ينال من صداقتنا، ولكننى كنت لا أقوى على أن أقبل شريكا يشاطرنى حبهـا ٠٠ فآثرت الرحيل !

ومع اننى سرعان ما حصلت على عمل كمدرس ومرب فى احدى الاسر الراقية ، الا أن بالى ظل مشغولا بمدام دوفارن ٠٠ و «ليه شارميت» ٠٠ وبحياتنا البريئة التى ذهبت وانقضت ٠٠ الى الابد !٠٠

٠٠ ومن ذلك الحين وأنا أعيش بأحاسيس انسان « نصف حى » ، غمر الظلام نفسه ٠٠ وطمس مشاعره !

نحن وأكبادنا



البيت والعائلة والطفل

عزيزى القارىء ...

رغم سمو مكانة «العائلة» فى الوعى الغربى ، وفى المجتمع الاوربى والامريكى، بل وفى آداب تلك البلاد وصحافتها وسائر « مرافقها الذهنية » وقيمها الروحية .. فان اكثر هذه المعانى ما يزال يلقى منا فى بلاد الشرق اهمالا وجحودا ، بل «نكرانا» يأبى أن يفسح لكل هذه الحوافز الانسانية مكانا فى كتاب ، أو يفرد لها ركنا من صحيفة !

ولو تأملت الاهمية التى يعطيها البيت الغربى «الركن المدفأة» ، ولجلسة أفراد العائلة حولها فى الامسيات ، يسمرون أو يقرأون أو ينصتون لموسيقى هادئة .. لاقتنعت معى بان الرجل الغربى قد يتفانى فى حب وطنه ويقاتل فى سبيله بحافز متوثب ، دفاعا عن سلامة الوطن الذى يتيح له هذا البيت، وهذه الجلسة السعيدة حول المدفأة ، وهذا الفراغ ، وهذا الرباط العائلى..

وبقدر ما يعنى المجتمع فى أى بلد بتوفير «ركن المدفأة» لمواطنيه ، تعنى صحافة ذلك البلد بان توفر لقرائها «ركن الاسرة» ، و«ركن الطفل» .. الخ وبقدر ما تهمل صحافتنا غالبا هذا العمود القوى من أعمدة المجتمع .. وسأحاول فى هذا الباب الناشىء من (كتابك) أن اقدم لافراد الاسرة جميعا غذاء ذهنيا منوعا أرجو أن أتلقى اقتراحاتك بشأن تحسينه شهرا بعد شهر .



قصص "شكسبير" للأطفال

حلم ليلة صيف !

اعزائى الصغار ..

◆ انتم سمعتم طبعا عن الشاعر الانجليزى المشهور «شكسبير» ، الذى ألف لنا الكثير من القصص العظيمة .. ولاشك انكم كنتم تحسون بشىء من الغيرة والحسرة كلما سمعتم والديكم يتحدثون معا أو مع ضيوفهم عن قصة من قصص شكسبير طالعوها فى كتاب أو رأوها فى السينما . لذلك فكرت أن اعطيكم فكرة عن هذه القصص الكبيرة التى لا تستطيعون قراءتها ، وارجو أن تهتموا بمطالعتها بأكملها حين تكبرون .. وسوف أقص عليكم فى كل شهر قصة من هذه القصص المشهورة التى كتبها شكسبير أو ديكنز أو غيرهما من الكتاب الكبار .. كذلك سأروى لكم قصصا اخرى ظريفة كتبها خصيصا من أجلكم أصدقاؤكم من المؤلفين ، وهم «هانز أندرسن» و«جريم» و«جوناثان سويفت» وغيرهم .

فالى اللقاء فى هذا المكان اول كل شهر باذن الله

حلم ليلة صيف !

◆ **كان** يعيش فى مدينة « أثينا » فى الزمان الخالى فتى اسمه « ليسندر » وفتاة اسمها « هرميا » . وكان الفتى والفتاة متحابين .. غير أن والد هرميا كان يرغب فى تزويجها من شاب آخر اسمه « ديمتريوس » .

وكان القانون فى أثينا القديمة قانونا جائرا ظالما ، يعطى الوالد الحق فى أن يرغم ابنته على الزواج ممن يختاره هو لها ، فاذا رفضت جاز له أن يطلب الى الحاكم قتلها عقابا لها على الخروج عن طاعته !

ومع ذلك فقد رفضت هرميا فعلا أن تطيع والدها وتتزوج ديمتريوس ، لانها كانت تحب « ليسندر » .. فغضب أبوها لذلك غضبا شديدا ، وشكاها الى دوق « أثينا » ـ (حاكم المدينة) ـ فأمهلها الدوق أربعة أيام تفكر فيها وتراجع نفسها ،



«ميلوراد ميسكوفتش» فى دور الامير، بباليه «جيزيل» (اقرأ القصة ص ٦٢)





فاذا لم تطع بعدها والدها وتتزوج ممن اختاره لها ، حكم عليها بالاعدام ونفذ فيها الحكم!

وطبيعي أن ليسندر حزن واغتم لهذا القرار ، فاتفق مع حبيبته هرميا على أن تهرب الى بيت عمة له خارج أسوار أثينا ، حيث يلحق بها هناك ، ويتزوجان فى ظل قانون آخر غير قانون أثينا الظالم ..

ولكن هرميا لم تكتم السر ، فذكرته لصديقتها هيلانه ! ..

وكانت هيلانه تحب ديمتريوس ـ الذى اختاره والد هرميا زوجا لها ـ وتحقد على هرميا من أجل تفكير ديمتريوس فى الزواج منها ، لاعتقادها انها هى ـ هرميا ـ التي أغوته حتى انصرف عنها هى !.. وهكذا دفع الحقد هيلانة فأفشت الى ديمتريوس سر تفكير هرميا فى الفرار مع حبيبها ليسندر .. وكان غرضها من افشاء السر أن يلحق ديمتريوس بها فى الغابة التى ستمر بها ويمنعها من الفرار ، وبذلك تكون هيلانة قد انتقمت منها شر انتقام !.. ومن ناحية أخرى كانت هذه تعتزم اللحاق بمحبوبها فى الغابة كى تسنح لها فرصة الاستمتاع بلقائه !

صورة الصفحة المقابلة : راقصة تتعبد !

◆ انها الراقصة الاسبانية «اسبانيتا كورتيز» ، نجمة مسرح الاوبرا كوميك بباريس .. تعبر بأعصاب أصابعها الحالمة اكثر مما تعبر باجفانها المرخاة !

وكانت تلك الغابة مسحورة ، يسكنها الجن ، وعلى رأسهم ملك وملكة : أما ملك الجن فاسمه « أوبرون » وأما ملكتهم فاسمها « تيتانيا » ، وكان بينهما خصام شديد ، بحيث لا يلتقيان حتى يتقاذفا بالشتائم والسباب ! وكان سبب هذا الخلاف طفل هندى اختطفته تيتانيا الملكة من أمه لتربيه فى حضانتها ·· فأرادها زوجها على أن تعطيه ذلك الطفل ، فرفضت، فاغتاظ ·· وكان هذا بداية التشاجر والعداوة بينهما !

الزهرة السحرية !

◆ **وفى** تلك الليلة تجدد بينهما الكلام والجدل فى هذا الموضوع ، وكان القمر ساطعا ، فقوى أمل الملك فى أن يكون لجمال نوره تأثير على الملكة تيتانيا فتلين !·· ولكنها أبت ، وصاحت فى وجهه متحدية :

ـ اعلم ان مملكتك كلها لا تساوى فى نظرى هذا الغلام ، ولن أعطيك اياه ولو وهبتنى كل ما تملك !

ثم أخذت حاشيتها واعتزلت الملك وحاشيته · فأقسم الملك أوبرون أن يرغمها على اعطائه ذلك الغلام فى تلك الليلة ! فدعا تابعه الشيطان « باك » وطلب معونته · وكان « باك » أمكر الشياطين وأخبثهم · فهو الذى يسطو على معامل الالبان فيسرق القشدة وزبد اللبن ، ويفسد الاطعمة والاشربة بأصابعه الشريرة ·· ويضلل السائرين فى الظلام بأنوار خادعة يخيلها لهم ، ويجذب المقاعد من تحت الناس حين يهمون بالجلوس ، فيقعون على الارض ·· ويسكب اللبن على صدور الاطفال وهم يشربونه ·· الخ

وقال الملك أوبرون لذلك الشيطان :

ـ هات لى زهرة الحب !

ولهذه الزهرة عصير اذا وضع فى عين انسان وهو

نائم ، أحب أول شخص من الجنس الآخر يقع عليه بصره حين يصحو ··· مهما كان ذلك الشخص !

وكان غرض الملك أن يضع من عصير هذه الزهرة فى عينى الملكة تيتانيا وهى نائمة ، حتى اذا فتحتهما أحبت أول من تراه، ولو كان أسدا ،أو دبا ، أو نسناسا !

ومضى الشيطان « باك » ليحضر زهرة الحب ·· وفى هذه الاثناء حضر الى الغابة « ديمتريوس » بحثا عن هرميا ، ومن خلفه هيلانه تريد أن تلحق به وتغريه بحبها ! ·· وبالفعل لحقت به وراحت تحدثه عن مبلغ حبها له وهيامها به ، وتذكره بما كان بينهما فى سالف العهد من هوى متبادل وحب عنيف ··!؟

لكن هذا أجابها بأنه لا يحبها ، ولن يحبها مهما صنعت ! ·· وان وعوده القديمة لها قد تبخرت كما تتبخر الغيوم وتتبدد أمام أشعة الشمس ، شمس حبه لهرميا الفاتنة ·· !

وسمع الملك وهو فى مخبأه السحرى هذا الحوار القاسى بين الاثنين ·· فأخذته الشفقة على هيلانه ، وقرر أن يساعدها فى ورطتها ·· فلما عاد الشيطان « باك » ومعه « زهرة الحب » أمره أن يقتفى أثر ديمتريوس ، حتى اذا غلبة النوم من شدة التعب عصر فى عينيه جانبا من رحيق الزهرة ، فاذا فتح عينيه أحب هيلانه ، لانها ستكون حتما بقربه ، تكرر محاولاتها لاقناعه بأن يحبها !

غلطة الشيطان !

◆ **ولكن** شاءت ارادة الله أن يضل الشيطان « باك » طريقة فى الغابة ، فيجد شابا نائما ـ هو ليسندر وليس ديمتريوس ـ فيعصر فى عينيه رحيق الزهرة ! ·· فلما فتح هذا عينيه وأخذ يبحث عن خطيبته «هرميا» لم يجدها، وانما وجد بدلا منها « هيلانة » ·· فأحبها أعمق الحب ، وراح يطاردها ليحدثها عن هواه ، وقد نسي هرميا كل النسيان !



واكتشف الملك أوبرون خطأ « باك » فأمره بأن يعود ويعصر الرحيق فى عين ديمتريوس ! ففعل ذلك.. **وصحا ديمتريوس من نومه فكانت هيلانه أول من رآها ، فهام بها بدوره ، وتجدد هواه القديم لها .. أما هرميا فقد نسيها كل النسيان !**

فى هذه الاثناء راحت هرميا تبحث عن حبيبها ليسندر ، كى يفرا معا ليتزوجا بعيدا حسب اتفاقهمـــا السابق ، لكنها ـ لدهشتها ـ وجدته يطارح غريمتها هيلانة الغرام ! .. فغضبت وغارت وتشاجرت معها .. كما اشتبك ليسندر وديمتريوس فى عراك من أجل هيلانه ، حبيبتهما المشتركة ، كى يفوز بها من يغلب منهما !

ورأى الملك أوبرون ذلك فغضب ، وأمر « باك » بأن ينشر الضباب فى الجو ، كى لا يرى ليسندر خصمه ديمتريوس ، ولا يرى ديمتريوس خصمه ليسندر ، فتبطل المبارزة بينهما .. الى أن يحل الليل ويدركهما التعب فيناما .. وعندئذ يستطيع « باك » أن يصلح ما أفسده !

الملكة تحب جحشا !

◆ **وفعل** الشيطان باك ذلك ، ونام الشابان ، وعندئذ عصر باك شيئا من عصير الاعشاب فى عين ليسندر وحده ، فعاد اليه نظره الاول ، ومعه حبه لهرميا ! أما ديمتريوس فبقى على حبه الاخير لهيلانه ، نتيجة للعصير الذى سكبه « باك » فى عينيه.. وبذلك نال كل محب منهما حبيبته وانصرف راضيا..

أما الملك أوبرون فقد ظفر بالملكة تيتانيا نائمة على شاطىء نهر ، ومن حولها البنفسج وأزهار المسك ، فعصر فى عينيها من الزهرة السحرية ! ولكن صادف حين استيقظت ان كان أول من وقع بصرها عليه مهرج ، ألبسه « باك » رأس حمار .. فأحبته الملكة ، وقالت تداعبه بهيام شديد :

ـ أيها الملاك الجميل ! ما أجملك ! وما أذكاك !

فقال المهرج الذى كان قد ضل فى الغابة طريقه :

ـ آه لو كان لى من الذكاء ما يعيننى على الخروج من هـذه الغابة !

ـ آه يا حبيبى ! لا تفكر فى هجرى ! تعال معى ، وسأجعل حاشيتى عبيدك ، يخدمونك ويدللونك .

وراحت تطعمه الجوز واللوز والشهد فى راحة يدها ، وتقبل أذنيه الطويلتين ورأسه القبيح ! .. فلما حضر زوجها الملك أوبرون رآها على هذا الحال ، فضحك منها ساخرا ، وأقنعها بأن تعطيه الطفل الهندى فى سبيل رفع هذا السحر عنها ، والا بقيت أضحوكة وسخرية لجميع الجن ! .. فأذعنت ، وأعطته الطفل ، وعندئذ وضع فى عينيها الترياق السحرى ، فارتد اليها نظرها السليم ، ورأت بشاعة الجحش !

وهكذا انتهت فى تلك الليلة جميع المشاكل ، بين الملك والملكة ، وبين هرميا وليسندر ، وهيلانه وديمتريوس ...

وطلع النهار ، وكأن كل ما كان : « حلم ليلة صيف ! »



احصاءات لا تكذب !

◆ **أثبتت** الاحصاءات ان الزواج من الضمانات الناجعة ضد الموت ٠٠ كما أثبتت انه اذا ما حل الموت فى بيت الزوجية ، فانه يستأثر بالرجل قبل المرأة ، فى أغلب الاحوال !

والاحصاءات لا تدع مجالا للشك ، لانها أرقام تنطق بالحقائق ٠٠ ولعل أهم ما يعنى المرأة منها ، هو ذلك السبق الذى يحرزه الرجل دونها فى الوصول الى القبر ، **فى حين انه قد يكون من مصلحتها أن تكون هى السباقة الى الموت ٠٠ ولو لكى لا تنتظر حتى يهرم الزوج ويغدو فريسة للعلل ، فتضطر أن تعمل ما بقى من عمره ـ أو عمرها ـ ممرضة له !**

على أن طول عمر الزوج رهن بمشيئة المرأة الى حد ما ٠٠ فان هى ودت أن يعيش زوجها حتى يترمل بدلا من أن تعانى هى مرارة الترمل ، فلابد لها من أن تتحمل التزامات خاصة ، نورد فيما يلى أهمها :

حذار من أن يسمن زوجك !

◆ **احرصى** ما استطعت على تجنيب زوجك السمنة والبدانة ، فان الاحصاءات تؤكد أن النحاف المتوسطى الوزن ، أطول عمرا من السمان ذوى الاوزان الثقيلة ٠٠ وهناك قاعدة عامة لمعدلات الاوزان المتوسطة ، وتتمثل فى أن عدد السنتيمترات التى تزيد علي المتر في طول الرجل ، يمثل عدد الكيلو جرامات التي يجب

أن لا يزيد وزنه عنها ليتم التوازن بين وزنه وطوله ٠٠ فالرجل الذى يبلغ طوله ١٧٨ سنتيمترا ، يكون خير وزن مناسب له هو ٧٨ كيلو جراما ٠٠

راقبى طعامه وشرابه ٠٠٠

واذا لاحظت أن حزام زوجك لم يعد يكفى ليحيط بوسطه ، أو ان ياقة قميصه أصبحت تضيق بعنقه ، فاعرفى أن هذه نذر الخطر تدعوك الى أن تعيدى النظر فيما تقدمينه له من أنواع الطعام وكمياته ٠٠ **ولا يغرنك ما كان القدامى يقولونه من ان الشهية المتفتحة عنوان الصحة ٠٠ فانها فى عصرنا ، عنوان المرض ، والترهل ٠٠ ذلك لان الاكل الذى لا يهضم يتحول الى شحم ٠٠ وهناك قواعد عامة ينبغى أن تسيرى بمقتضاها :** قدمى له من اللحوم والجبن أكثر مما تقدمين من الخبز والفطائر والنشويات ٠٠ وأعدى له من الخضر الطازجة أكثر مما تعدين من الخضر الجافة ٠٠ ومن السلطة الخضراء أكثر مما تقدمين من البطاطس ٠٠ ومن الفاكهة أكثر من الحلوى و « الجاتوه » ٠٠ ونظمى له مواعيد الاكل بحيث تغدو ثابتة ٠٠ واحرصى على أن تحمليه على تناول العشاء قبل موعد النوم بساعتين على الاقل ٠٠

القيلولة قبل الغداء ٠٠ لا بعده

◆ **ولابد** للزوج من أن ينال قسطا وافرا من الراحة ٠٠ وخير راحة ــ فيما عدا نوم الليل ــ أن ينام قليلا « قبل » الاكل لا بعده كما جرت العادة ٠٠ **دعيه يستلقى على فراشه ويغفى ولو لربع ساعة قبل الغداء ، فان هذا يساعد على تيسير الهضم ، بعكس النوم بعد الغداء ٠٠**

والرياضة البدنية عنصر لازم لا غنى عنه ٠٠ وليس معنى ذلك أن يتدرب زوجك على المصارعة مثلا ، اذ يكفيه صراعه مع الحياة ٠٠ انما خير رياضة هي السير على القدمين ، ولو لمشوار واحد من « مشاويره » اليومية ٠٠ وشجعيه على الخروج للنزهة ــ على القدمين بقدر المستطاع ــ فى يوم عطلته الاسبوعية ٠٠

هوايات مفيدة للازواج ..

◆ **على** ان حياة الزوج يجب أن لا تقتصر على العمل ، والاكل والراحة . بل يجب أن تكون له هواية تشغله فى أوقات الفراغ .. ولو عن « المناكفة » و «جر الشكل» .. وخير هواية له هى العناية ببعض الاعمال المنزلية .. كالمساهمة فى تصليح قفل الباب ، أو تثبيت أرجل أحد المقاعد ، أو صنع حظيرة للدجاج.. ان اقتضى الامر ! .. وكل هذه هوايات مفيدة .. له ، ولك ، و.. لميزانية الاسرة !

حنان الزوجة .. قبل كل شيء

غير أن هناك ما هو أهم من كل هذا : حنانك !.. اشعريه بأنك تعنين به ، وتوفرين له مطالبه وأسباب راحته .. وأذكرى أنه يعود مرهقا من عمله ، فاذا وجد فرشاة أسنانه فى غير موضعها ـ مثلا ـ كانت أعصابه من التوتر بحيث لا يتمالك من أن يثير ضجة وشجارا .. ومثل هذه التوافه تقصر العمر .. عمر الرجل ، ان لم يكن عمر الحياة الزوجية !

امتحن زواجك

اى نوع من الازواج ، او الزوجات ، انت ؟

◆ **الزواج اكثر من شركة .. انه اتحاد تعاونى ، أو هو على الاصح شخصية تعاونية ، نصفها الرجل والنصف الاخر المرأة .. ومالم يكن التعاون ، والتفاهم ، والانسجام ، متوفرة كلها بين النصفين ، كانت الحياة الزوجية ((غير موفقة)) !**

وهذا الاختبار الذى وضعه احد علماء النفس يساعدك على تفهم موقفك .. فجرب أن تستعين به : أجب ((بنعم)) أو ((لا)) ـ كتابة ـ على كل سؤال من الاسئلة العشرة التالية ، بصدق وصراحة كاملين ، فاذا فرغت من تأدية ((الامتحان)) انظر نتيجته فى آخر قائمة الاسئلة

١ ـ قد يكون التعاون بينكما سهلا اذا لم ينطو على شىء من المضايقة ، ولكن، هل تتجشم ـ أو تتجشمين ـ العناء عادة عن طيب خاطر لارضاء رغبات النصف الاخر ومطالبه ؟

٢ ـ هل تتجنب عادة ـ أو تتجنبين ـ انتقاد النصف الاخر ، او التدخل فيما لا تحسنه انت من عمله ، أو محاولة فرض أوامرك عليه ، أو مضايقته بلا مبرر ؟

٣ ـ هل تنتابك احيانا نوبات من الضيق ، والتبرم ، والسخط ، والانفعال ؟

٤ ـ هل فى مثل هذه الحالات تتجنب ـ او تتجنبين ـ التفريج عن نفسك بصب السخط او الغضب على النصف الاخر ؟

٥ ـ هل تحتفظ ـ او تحتفظين ـ عادة بالرأى والنصيحة الى ان يسألك اياها النصف الآخر ؟

٦ ـ هل لم تقل ـ أو تقولي ـ للنصف الاخر ان زواجه منـك ليس أول اخطائه ولا اكبرها ، وانما هو أخف هذه الاخطاء ؟

٧ ـ هل تجنبت أية محاولة سافرة لتحسين او تغيير عادات نصفك الآخر ؟

٨ ـ هل تؤثر ان تطلب ـ أو تطلبى ـ من شريكك المساعدة ، عند شعورك بالعجز عن اتمام عمل بدأته ؟

٩ ـ هل أنت قادر ـ أو قادرة ـ على كبح جماح غضبك عادة ؟

١٠ـ هل يسهل عليك فى أغلب الاوقات اظهار شعورك نحو نصفك الآخر ؟

نتيجة الامتحان

◆ اذا كانت الاجابة «نعم» عن الاسئلة العشرة ، فانت زوج ـ أو زوجة ـ مثالى، وانت موفق ـأو موفقةـ فى التعاون الذى تتطلبه الحياة الزوجية.. واذا كان عدد الاجابات بـ «نعم» ثمانية ، فانت زوج ـ أو زوجة ـ صالح وناجح.. اما اذا كان العدد ستة فقط فان حياتك الزوجية معرضة لان تكون حياة متعبة .. وأقل من ذلك معناه أن حياتك الزوجية متعبة فعلا ، وان الواجب يدعوك الى اصلاح نفسك لانقاذ سفينة زواجك من الغرق ..

سهرات العائلة

شجرة الحياة تنبئك بحظك !..

◆ محاولة كشف ما فى الغيب ، غريزة فى الانسان ، يذكيها الفضول ، والقلق ، وتعجل الحوادث .. ومن ثم كان استقراء الطالع ومعرفة الحظ من انواع التسلية التى تحلو فى السهرات العائلية ..



و « شجرة الحياة » من الحيل التى ابتكرت لكشف الحظ ·· وهى لا تكلفك أكثر من أن تمسك بقلم رصاص ، وتجعل سنه فوق الرسم دون أن يمسه ، ثم أغمض عينيك ، واطلب من أحد الحضور أن يدير الصورة ثلاث مرات على المنضدة تحت سن القلم ، ثم يضع الرسم بحيث يشير السن الى منتصف الشجرة تقريبا ··

وبينما تظل عيناك مغمضتين ، حرك القلم الى الامام والى الخلف مرتين ببطء ، ثم اركز بسنه على الرسم . فاذا مس احدى أوراق الشجرة ، فتتبع عنقها حتى تصل الى الفرع الذى خرجت منه ، ثم تتبع الفرع الى غصن ، والغصن الى احدى الدوائر التى تحمل الارقام .. ومن ثم فابحث عن الرسالة المنشورة أمام الرقم فى الدليل الذى تحت هذه السطور ··

الحظ يتغير كل ٣٧ يوما !

أما اذا لم يمس سن القلم ورقة من أوراق الشجرة ، فكرر التجربة .. ولا يسمح لك بالتكرار لاكثر من مرتين .. فاذا لم توفق فى المرة الثالثة ، كان ذلك نذيرا بأن الوقت لم يحن بعد لتعرف الحظ · ومن ثم فعليك أن تنتظر يوما قبل أن تحاول مرة اخرى .. اما اذا وفقت فى معرفة حظك ، فلا ينبغى ان تكرر التجربة قبل مضى ٣٧ يوما ..

دليل شجرة الحياة

١ ـ ستتفادى مرضا يهددك ـ ٢ ـ احترس لنفسك اذا سافرت ـ ٣ ـ ستتحسن صحتك فى القريب العاجل ـ ٤ ـ ستقوم برحلة على أثر شجار ـ ٥ ـ اتئد خشية أن تخطىء بالتسرع ـ ٦ ـ سيصاب أحد المقربين اليك من الاسرة بمرض بسيط ـ ٧ ـ ستتحسن صحتك اذا احترست من الاشياء التى تؤدى الى مضاعفات ونكسات ـ ٨ ـ اقتصد فى غذائك ، والزم « رجيم » خاصا دقيقا طيلة الثلاثة عشر يوما التالية ـ ٩ ـ سيشفى عاجلا صديق لك يشكو مرضا ـ ١٠ ـ ستصدم فى بعض أحلامك لافراطك فى التساهل والتسامح ـ ١١ ـ ستحظى بحياة طويلة تمتاز بصحة موفورة ٠

اعرف نفسك

أجب بصراحة !

◆ «اعرف نفسك» مفتاح كل شىء فى حياة الانسان .. مفتاح النجاح ، ومفتاح التفوق والرقى ، ومفتاح الاستعداد لجلائل الاعمال ، ومفتاح السعادة .. وسنوافيك بين الحين والآخر بمجموعة من الاسئلة التى تساعدك فى التعرف على نفسك .. ولكن هناك امران رئيسيان ينبغى أن تعرفهما ، قبل أن تحاول الافادة من هذه الاسئلة :

أولهما : ان هذه الاسئلة لم توضع اعتباطا ، وانما هى نتيجة دراسات لعلماء النفس ، راعوا فيها المقومات التى تؤثر فى نفس الانسان ومشاعره وحوافزه ، والتى تساهم فى خلق شخصيته . فلا تظنها مجرد وسيلة للتسلية وقطع الوقت . هى تسلية ولكن وراءها نفعا مؤكدا ..

وثانى الامرين : ان أحدا لن يطلع على اجاباتك عن هذه الاسئلة، ولن يناقشك فيها ، لذلك فمن واجبك ، ان شئت ان تعرف نفسك على حقيقتها ، ان تجيب فى صراحة وامانه ودقة !

◆ والآن عليك ان تجيب بـ «نعم» او «لا» عن كل سؤال من الاسئلة التالية .. ثم انظر النتيجة فى نهاية الاختبار (ولا تقرأها الآن) :

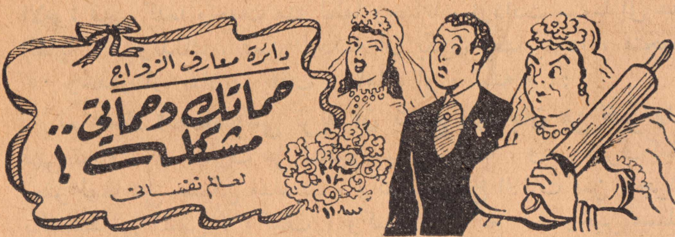
١ ـ هل يتهمك معارفك بانك متكبر ومغرور ؟
٢ ـ هل تتعمد ان تخرج على ما يجمع عليه الآخرون من آراء ؟
٣ ـ هل تحاول التأثير على سواك برفع صوتك أو بالاحتداد ؟
٤ ـ هل تشعر بخجل اذا قدمت الى اغراب لا تعرفهم ؟
٥ ـ هل تضايقك انباء نجاح الغير ؟
٦ ـ هل من عادتك مقاطعة المتكلم او تسفيهه ؟
٧ ـ هل تشعر بسخط أو عدم رضى عن المجتمع بوضعه الحالى ؟
٨ ـ هل تذهب فى محاولة اشعار الحضور بوجودك ـ فى أية حفلة أو اجتماع ـ الى عمل اى شىء ولو أضحكهم منك ؟
٩ ـ هل تغضب اذا جعلك أحد محور نكتة يقولها ؟
١٠ ـ هل تعدل موقفك لتتمشى مع الامور اذا لم تسر حسب هواك ؟
١١ ـ هل تحب أن تقول ما يجرح شعور سواك ؟
١٢ ـ هل تسعى جاهدا لتبرز على كل الآخرين من معارفك ؟
١٣ ـ هل تسرك المجاملة ولو لم يستحقها عملك ؟
١٤ ـ هل يشقيك طموحك الى النجاح ؟
١٥ ـ هل تضيق بأى اقتراح يقدم لمعونتك ؟
١٦ ـ هل تشك فى قدرتك على اجتذاب احد افراد الجنس الآخر ؟

نتيجة الاختبار

◆ لم نشأ أن نذكر لك أن هذا اختبار لمركب النقص ، حتى لا يؤثر ذلك فى استعدادك للاجابة بصراحة . على أن وجود النقص المركب فى أية نفس أمر نادر ، وأن كان كل منا يشعر بنقص معين يؤثر فى تصرفاته ، أو بعدد من نواحى النقص .

فاذا بلغ عدد اجاباتك بـ «نعم» اثنتى عشرة اجابة ، فمعنى ذلك انك غير واقعى فى سياستك فى الحياة ، وانه خليق بك أن تروض نفسك على الاعتراف بالواقع .. فاذا كان يسوؤك نجاح الغير أو يضايقك ، فاعترف أولا انه لولا انه كان يستحق النجاح ما نجح . ثم اعمل انت على أن تنجح حتى لا تشعر بالغيرة منه . واذا كنت تأنف أن يساعدك سواك ، فاعترف أولا بانهم حسنو النية وبانهم خليقون بشكرك ، وبانك محتاج الى هذه المساعدة . وأعمل على أن تتدارك فى ظروفك ما يجعلك بحاجة الى المساعدة ، وان كان المجتمع مبنى على التعاون وتبادل المعونة .. وهكذا ، الخ

وبالاختصار فانه كلما قلت اجاباتك بنعم وزادت اجاباتك بلا ، كنت اقل اصابة بمركب النقص ..



◆ **لعل** مشكلة « الحماة » أحق من جميع المشكلات الاخرى بلقب « مشكلة الازل » ٠٠ أو « المشكلة الخالدة » ! وأسوأ ما فيها انها مشكلة ثلاثية : مشكلة لزوج البنت ٠٠ ومشكلة لزوجة الابن ٠٠ ومشكلة للحماة نفسها ، سواء كانت أما للزوجة ، أو أما للزوج !٠٠ وأدعى ما فيها للاسى واليأس انها تحيل حياة أبطالها الثلاثة ، أو الاربعة ـ فى حالة وجود والدتى الزوجين ـ الى هم قائم ، دائم ٠٠ بالليل والنهار !

واذا كان الجنس البشرى قد أخفق حتى اليوم فى علاج هذه المشكلة ، فانما يرجع اخفاقه الى أنه يتهرب دائما من أن يواجهها، ويقنع باللف والدوران حولها !٠٠

والحموات أنواع ، سندرس حالة كل منهن فيما يلى :

١ ـ الحماة ٠٠ بالنسبة الى زوج الابنة

◆ **من** أهم الضرورات للشاب أن يبادر الى تدبر مشكلة الحماة منذ بدء الخطوبة ٠٠ فان علاقاته المستقبلة بحماته تتوقف الى حد كبير على علاقاته بها خلال الخطوبة ، ومن ثم فعليه أن يحرص على أن يكون الود هو أهم دعائم هذه العلاقة ٠٠ ود خالص صادق ٠٠ ولكنه فى الوقت ذاته حازم !

وليتعرف خلال الخطوبة على شخصية حماته ٠٠ فالحموات ستة أنواع : **الحماة التى ترجو أن تغدو من زوج ابنتها بمثابة**

الام : فهى كلما وجدت منه لطفا وحنانا ، ازدادت سعيا الى هذه الغاية ٠٠ ولذلك ، فمن الحكمة أن يكون معها باردا ، متحفظا ٠٠ وحذار أن يناديها بلقب « ماما » أو « نينه » !٠٠

ثم هناك الحماة التى تريد أن ينتفع الزوجان من خبرتها : فهى تحاول أن تشرف على تنظيم حياتهما لهما ، وهى تعرف كيف تعثر لهما على مسكن مناسب ، وكيف توزع الاثاث بين حجراته بالقسطاس المبين ، وكيف ، وكيف ٠٠ الخ ٠٠ وخير مسلك مع هذه الحماة ، أن يشمر الشاب بنفسه عن ساعد الجد ، فينظم الامور بنفسه ، ويقنع خطيبته بها ، متفاديا جهد طاقته أن يترك منفذا لحماته أن تتدخل ٠٠ بحيث يبرم الامر قبل أن تشعر هى بحاجتهما اليها !

والحماة التي تسعى للانتقام : تلك التى تشعر انها غبنت فى حياتها الزوجية ، فلم يقم زوجها لرأيها يوما أى اعتبار ٠٠ لذلك نشأت على اساءة الظن وفقدان الثقة بالرجال ٠ وهى تسعى دائبة الى أن تجنب ابنتها المصير الذى عانته ٠٠ مثل هذه الحماة ، اجتهد أن لا تدع لها سبيلا الى التدخل فيما بينك وبين زوجتك من شئون ٠

والحماة التى تنشد العزاء والرثاء : هذه التى لا تكف عن الشكوى والتفجع ٠٠ تقول انها ستفقد عطف ابنتها بعد زواجها ٠٠ ولن تقوى على الحياة بدونها ٠٠ انها تنشد بذلك الرثاء والمواساة ٠٠ لا بأس من أن ترثى لها ، ولكن ٠٠ لمرة واحدة ٠٠ حاسمة !٠٠ أفهمها ان الرثاء الذى تناله منك لن يملأ حياتها ، وان عليها أن ترضى بالامر الواقع !

والحماة المتصابية المعجبة بنفسها : وهذه تهوى الظهور بمظهر الاخت الكبرى لابنتها ٠٠ فلا تحاول أن تحملها على الاقلاع عن فتونها ، أو مقاومة اعجابها بنفسها ٠٠ انما أعمل على اقناعها بأنك تقدر تضحيتها فى سبيل تربية ابنتها ، وبأن زواجك من

هذه الابنة سيفسح لها الطريق والمجال لتفرغ الى نفسها، ولتبدأ الحياة من جديد ..

ثم .. الحماة المزهوة بابنتها : انهـــا قد لا تتورع عن أن تحدثك - فى غير مسمع من الفتاة - عن شبان الحى الذين كانوا يجرون وراء ابنتها فلا تعيرهم الفتاة اهتماما .. وعن مواهبها، وخصالها .. ولو انك استمعت اليها وجاريتها، فثق انها لن تلبث أن تفاجئك وزوجتك - بعد الزواج - بزيارات مباغتة، تصحب فيها معارفها ومعارف معارفها، لتريهم - فى زهو وافتخار - « عش الزوجية الهانىء » !.. لذلك فخير ما تحاوله أثناء الخطوبة، هو أن تقنعها بأنك تفضل أن تكتشف بنفسك « شطارة » ابنتها بعد زواجكما !

◆ **ودراسة** الحماة أثناء الخطوبة تساعد الشاب على أمرين: أولهما رسم علاقاته المقبلة بأم زوجته، وثانيتهما تحديد النقطة التى يحسن أن يجرى فيها مبضعه عند اجراء « عمليـــة » بتر الخلافات التى منشؤها الحماة !

ويجب أن تبدأ عملية البتر فورا فى اليوم التالى للزفاف .. وهنا ينبغى على الشاب أن يراعى أمرين :

أولهما : أن لا يدع سبيلا لحل وسط .. كأن يحدد يوما من كل اسبوع يقضيه مع زوجته فى ضيافة حماته .. هذا اليوم كفيل بأن ينمى جراثيم المأساة .. وأن يغدو الكابوس الذى يقضى الاسبوع كله يترقبه فى ضيق و « عكننة » !.. لذلك يجب أن يكون الشاب كالجراح الماهر .. دقيقا فى بتره، دقيقا فى تطهير موضع العملية !..

وثانيهما : أن لا يغتر بما قد يصيبه وزوجتـــه من معونة وتسهيلات على يدى حماته .. قد تلوح له الحياة معها أقل تكلفة وأكثر راحة، أو قد يرتاح الى مساعدتها فى اختيار المسكن وتوزيع أثاثه، أو .. أو .. فى حين انه جدير بأن يوقن أن الحياة الوعرة، فى ظلال الاستقلال عن الحماة، خير وأبقى ...

٢ ـ الحماة ٠٠ بالنسبة لزوجة الابن

◆ **معظم** النصائح المقدمة لزوج الابنة تصلح لزوجة الابن ٠٠ وقد دلت التجارب على أن خير الامهات هن أسوأ الحموات !٠٠ وهذا أمر طبيعى، فكلما تفانت المرأة فى حب ابنها، كلما ساورها الحقد نحو أية امرأة أخرى تحرمها اياه ٠٠ **ولعل خير تعبير لمأساة الحماة ، هى انها تشعر فجأة بأنها غدت « متعطلة » ٠٠ فالعمل الذى كانت تملأ به حياتها ، وهو رعاية ابنها ومبادلته الحب ، ينتقل بالزواج الى سواها ٠٠ ومن ثم فهى تحاول التشبث بمكانتها ومركزها وعملها ، ومن هنا تنشأ المشكلة ٠٠!**

لذلك كان لزاما أن تعوض الام عن رعاية ابنها بعمل آخر ٠٠ فاذا كان زوجها على قيد الحياة ، تولى الدور الرئيسى فى عملية التحويل ، وعلى هذا كان جديرا بالزوجين الشابين أن يساعداه فى جهوده كى يشغل زوجته ويتيح لها معنى جديدا للحياة ٠٠

ولتذكر زوجة الابن دائما أن الروابط الزوجية بين الشباب، تثير غيرة الكهول ٠٠ لذلك لا يحسن أن تشجع زوجها على أن يداعبها أمام أمه ، ولا ينبغى أن تحدث حماتها عما تلقاه من عطف زوجها ولطفه ٠٠ بل يجب أن تظهر أمامها بمظهر الصديقة الوفية المعجبة بابنها ، فهى تستدرجها الى الحديث عنه ، أو تكلمها عما تعجب به من طباعه ٠٠ ولكنها يجب أن تحرص ـ كزوج الابنة ـ على استقلال حياتها الزوجية عن حياة الحماة ٠٠ فلها أن تستشيرها ولكن دون أن تدعها تتدخل في الشئون الخاصة بالزوجين ٠٠ ولها أن تجاملها ، ولكن فى نطاق لا يجعل لها سلطانا تفرضه على حياتهما ٠٠

٣ ـ الحماة ٠٠ بالنسبة للحماة نفسها !

◆ **وهذا** أصعب الادوار فى المسرحية ٠٠ مسرحية الحماة ! ولكن صعوبته ليست عذرا يخول لك أيتها الحماة أن تفسدى الحياة الزوجية على ابنك أو ابنتك ٠٠

والمبدأ الاول الذى يتحتم على الحماة أن تراعيه ، هو تجنب

اللوم ما استطاعت ، وأن تتحاشى املاء توجيهاتها ٠٠ فمهما كان حسن نيتها فان اللوم مجلبة للاستياء ٠٠ ومهما كان قصدها ، **فالتوجيه الذى يصدر فى شكل املاء ، مدعاة للامتعاض ٠٠ ولتذكر أن ابنها - أو ابنتها - لم يعد بعد الزواج طفلا تتعهده ، بل أصبح مسئولا ، ولذا يجب أن تدعه يشق طريقه للاضطلاع بمسئوليته ٠٠ وقد يكون غير سعيد ، ولكن تدخلها يزيد من شقائه ، ويورثه الحيرة ، والتخبط ، والارتباك**

وكما قلنا من قبل ٠٠ المسألة كلها أشبه الاشياء بعملية جراحية، فمن واجب الام أن تواجهها فى شجاعة٠٠ وأن تجتازها فى ثبات ٠٠ ولتذكر أن أمها وجدتها قد اجتازتاها من قبلها ، كل بدورها ٠٠ فالزواج كالموت ، لا بد منه ٠٠ وكما أن الحماة عند زواجها قد انتزعت زوجها من أحضان أمه ، فمن حق زوجة ابنها أن تنتزعه منها ٠٠ واذا كانت الحماة هى أم الزوجة ، فلتذكر انه اذا كانت ستحرم من ابنتها بالزواج ، فان حماة ابنتها ستحرم من ابنها ٠٠ بالشىء ذاته !

وجدير بكل حماة أن تدرك أن دورها كأم ينتهى بزفاف ابنها ٠٠ وما أصدق الطبيب الفرنسى الذى قال : « ان الحماة أجدر برحلة شهر العسل من العروسين » !٠٠ فهى مقدمة على حياة جديدة ، ولا بد لها من فترة تأهب تروض فيها نفسها على وضعها الجديد ٠٠ بل ان واجب الحماة فعلا ، أن تذهب فى رحلة قصيرة ، اذا كان زوجها على قيد الحياة ٠٠ لقد شغل الابن - أو الابنة - كلا من الوالدين عن الآخر، دهرا طويلا٠٠ وها قد خرج هذا الابن من حياتهما ، فخليق بهما أن يبدءا حياة جديدة ٠٠ حياة تجد « الحماة » فيها هدفا جديدا يشغلها ويستأثر باهتمامها وجهودها ٠٠ ويصرفها عن التدخل فى شئون العروسين !٠٠ بهذه الطريقة يغدو الابن وزوجته ، والابنة وزوجها ، أصدقاء للام ٠٠

و ٠٠ يسود السلام والهناء !!

عندما ترفع الستار..



روائع المسرح العالمى

(التمثيلى.. والغنائى)

عزيزى القارىء ...

قدمت لك فى هذا الباب فى أعداد السنة الاولى من (كتابى) المسرحيات العالمية الاتية ، على التوالى :

خطايا الحب : لاوسكار وايلد
الحب الآثم : تولستوى
نزاهة الحكم : جوجول
سلاح المرأة : اريستوفان
فولبون : بن جونسون
جيوكندا : دانو نزيو
كلام الناس : جوزيه اشيجاراى
مدرسة الفضائح : شريدان
سيرانو دى برجراك : روستان
لعبة الحب والموت: رومان رولان

واليوم أقدم لك فيما يلى هذه المسرحية الخالدة لاوسكار وايلد (مروحة الليدى وندرمير) ، يليها فى الاعداد القادمة باذن الله :

فاوست : جوته
هرنانى : فيكتور هوجو
قافلة الزمان : نويل كوارد
البخيل : موليير
أوديب الملك : سوفوكل
ترويض النمرة : شكسبير
عطيل : شكسبير
الخطاب : سومرست موم
هيدا جابلر : ابسن
الخ .. الخ


LADY WINDERMERE'S FAN
By
OSCAR WILDE
مروحة الليدي وندرمير
(توبة خاطئة)
قصة تمثيلية كبرى
لأوسكار وايلد

هذه المسرحيــة ..

◆ اذا غوى الزوج وضل ، هل يصبح من حق الزوجة أن تضل بدورها .. اقتداء به ، أو انتقاما منه وأخذا بالثأر ؟

◆ هل جميع الرجال أشرار حقا ، وأنذال .. بالنسبة للزوجة الساذجة الغريرة على الاقل ؟

◆ هل يتحمل الزوج البرىء ، صاغرا ، اتهام زوجته له بالخيانة، كي يحميها من الالم النفسي المرير الذي يسببه لها علمها بعار أمها ؟

◆ هل تنخدع الزوجة الغريرة بوشـــايات النسوة الثرثارات النمامات اللواتي يحترفن تحريض الزوجات ضد أزواجهن ؟

◆ كيف تحمي الزوجة المهجورة نفسها من الوقوع في شراك الهوى الحرام التي ينصبها لها « أصدقاء » الزوج الانذال ، الذين يحذقون انتهاز الفرص للصيد في الماء العكر ؟

◆ من هي المرأة الفاضلة الجديرة بالاحترام ، والمرأة الساقطة الخليقة بالنبذ والازدراء ، في عرف المجتمع .. وعرف الحقيقة ؟ وبأي مقياس من « الرياء الاجتماعي » يقيس الناس الفضيلة والرذيلة ؟

.. هذه ، وغيرها ، بعض المشكلات الخطيرة التي يعالجها « اوسكار وايلد » في هذه المسرحية بطريقته الخاصة ، الجريئة ، الساخرة ، السافرة !.. وهي مشكلات « واقعية » متغلغلة في كل مجتمع ، وفي كل زمان ومكان .. ومن هنا كان خلود هــذه المسرحية ، وخلود اوسكار وايلد !

— ١ —

◆ نحن في دار شاب من سراة لندن ذوي السمعة الطيبة والاخلاق الفاضلة ، هو ((اللورد وندرمير)) .. الوقت عصر ، ساعة الشاي التقليدية في البيوت الانجليزية .. وقد جلست الزوجة الحسناء « الليدي وندرمير » الى منضدة في ((غرفة الصباح)) بقصرهما ، تنسق بعض الازهار في آنية زرقاء .. (يدخل الخادم معلنا قدوم ضيف يدعى اللورد دارلنجتون ، فتأذن له ربة البيت بادخاله)

لورد دارلنجتون (يلمح مروحة على المنضـدة) : يا لها من مروحة رائعة ! هل لي أن أتأملها ؟

ليدى وندرمير : بلا شك . جميلة ، أليس كذلك ؟ ان اسمى محفور عليها ، فهى هدية زوجى لى بمناسبة عيد ميلادى .. انه اليوم كما قد تعلم

لورد دارلنجتون : حقا ؟

ليدى وندرمير : نعم ، لقد بلغت سن الرشد ، ولهذا أقمت هذه الحفلة الليلة ..

لورد دارلنجتون : ليتنى عرفت انه عيد ميلادك . اذن لفرشت لك الشارع كله بالورد كى تخطرى عليه .

◆ ويمضى فى لهجته فيمطرها بباقة فاخرة من التحيات .. وحين تقابل مغالاته بالاحتجاج ، يذكرها ضاحكا بأنه يغدق عليها كل تلك التحيات لانها الشيء الوحيد الذى يملك اليوم أن يغدقه !.. ثم تبدو فى لهجته مسحة الجد وهو ينصح لها بأن تفتح أذنيها وقلبها لغير زوجها من الرجال :

دارلنجتون : فحين يبدأ الزوج فى العبث ، ألا تعتقدين انه يكون من حق الزوجة أن .. تتعزى !

ليدى وندرمير : هل كون الرجل وضيعا ، يبرر أن تصبح الزوجة أيضا وضيعة !؟

دارلنجتون : وصف « الضعة » وصف رهيب . وانه لمن السخف تقسيم الناس الى طبقتين : فضلاء وأنذال .. فالناس اما مملون ، يثيرون السأم ، أو جذابون .. وأنت لا تستطيعين يا ليدى وندرمير الا أن تنتسبى للفريق الجذاب !

ليدى وندرمير : أرجوك ، لا تتفوه أمامى بهذه الاقوال المضحكة .. فأنا امرأة محافظة نشأت فى بيئة فاضلة . وقد ماتت أمى وأنا بعد طفلة صغيرة ، فعشت بعد ذلك مع عمتى « ليدى جوليا » ، أكبر شقيقات أبى .. وقد علمتنى الفرق بين الخير والشر ، والصواب والخطأ .. وهكذا تعودت منذ طفولتى أن أقاوم الاغراء !

دارلنجتون : أما أنا ففى استطاعتى مقاومة كل شيء .. الا الاغراء !

◆ وفى هذه اللحظة يقبل الخادم معلنا قدوم « دوقة بيرويك » - وهى صديقة قديمة لاسرة وندرمير - وبصحبتها ابنتها اليافعة « الليدى أجاثا » ‥ فيستأذن اللورد دارلنجتون فى الانصراف ، بينما تتطرق الزائرة الى مصارحة مضيفتها بأن عندها شيئا هاما تود الافضاء به اليها ٠ لكنها تمهد له أولا بأن تطلب الى ابنتها أن تخرج الى خارج الحجرة بحجة التفرج على « ألبوم » الصور

ليدى أجاثا : سمعا وطاعة يا أماه ‥

الدوقة : وحين تفرغين من رؤية الصور يا ابنتى يمكنك الخروج الى الشرفة لامتاع بصرك بمنظر غروب الشمس ٠

ليدى أجاثا : سمعا وطاعة يا أماه ‥

◆ واذ تخلصت الزائرة من ابنتها على هذا النحو ، تدخل فى موضوع « حديثها الهام » رأسا :

الدوقة : آنى فى الحق شديدة الاسف لمصيرك يا مرجريت !

الليدى : ماذا تعنين ؟

الدوقة : أوه ، أعنى بسبب تلك المرأة اللعينة

الليدى : عمن تتحدثين يا دوقة ؟

الدوقة : عن مسز ارلين بالطبع !

الليدى : مسز ارلين ؟! ولكنى لم أسمع بهذا الاسم من قبل يا دوقة !

الدوقة : لكن أهل لندن جميعا سمعوا بهـا يا عزيزتى ، وبشغف زوجك بها !

الليدى : أوه ، لا أصدق !

الدوقة : لكنها حقيقة واقعة مع ذلك يا عزيزتى ‥ وأسوأ ما فى الامر ان هذه المرأة تحصل على مبالغ طائلة من المال من شخص ما ‥ فالمعروف انها قدمت الى لندن منذ ستة آشهر خاوية الوفاض ، وهى الآن تقطن تلك الدار الانيقة فى «مايفير» وتخرج بعربتها المطهمة للنزهة كل عصر ‥ وكل ذلك ، منذ ‥ منذ عرفت عزيزنا المسكين وندرمير !

الليدى : مستحيل ، مستحيل يا دوقة !‥ فنحن لم ينقض على زواجنا غير عامين ، وطفلنا ما يزال فى شهره السادس !

الدوقة : آه ، يا للطفل الجميل التعس ! من دواعى الحسرة أن ينحرف أبوه الى هذه الطريق ٠٠ ولكن ، هكذا حال الرجال جميعا !

الليدى : هل جميع الرجال أنذال ؟

الدوقة : أوه ، كلهم يا عزيزتى ، كلهـــم ٠٠ فالرجال قد يشيخون ، لكنهم لا ينصلحون قط !

◆ واذ أدت الدوقة العجوز الثرثارة مهمتها على هذا النحو ، تنهض فتنصرف، تاركة « مرجريت » فريسة لافكارها المريرة : « يا للفظاعة !٠٠ انها تتحدث عن مبالغ ضخمة من المال تنفق على مسز ارلين هذه ٠٠ فلالق نظرة على دفتر الشيكات الخاص بزوجى لاتبين حقيقة الامر ! »

وتمضى الى مكتبه ، وتفتح الدفتر ٠٠ ولدهشتها وفزعها تجد الدليل تلو الدليل على أن الدوقة كانت صادقة فى كل حرف نطقت به ٠٠ ففى مواضـــع متفرقة من الدفتر ما يثبت انفاق زوجها بسخاء على تلك المرأة : (مسز ارلين : ٦٠٠ جنيه) ٠٠ (مسز ارلين : ٧٠٠ جنيه) ٠٠ (مسز ارلين : ٤٠٠ جنيه !) ٠٠ « أوه ، يا للضعة !! »

ويزيد الامر تفاقما ان زوجها حين يعود يحاول أن يدافع عن مسز ارلين فى حديث له مع زوجته : « لا تتكلمى عنها بهذه اللهجة يا مرجريت ٠٠ انك لا تعلمين مبلغ ما فى أقوالك هذه من ظلم للمرأة ٠٠ فمسز ارلين امرأة تعسة سيئة الحظ ٠٠ ولو عرفت ٠٠ »

– لست أبغى معرفة أى شىء عن هذه المرأة !

– مرجريت، انك يجب أن تمدى يد المعونة لمسز ارلين٠ يجب أن تنقذيها ، فهى تبغى العودة الى أحضان المجتمع ، وتنتظر منك أن تساعديها ٠ فلترسلى اليها دعوة لسهرتنا الليلة ٠

– (فى اباء) لن أفعل شيئا من هذا القبيل !

– أو ترفضين ؟

– بلا شك !

– اذن فسأكتب الدعوة بنفسى (يمضى الى منضدة مكتبه فيكتب رقعة الدعوة ويرسلها مع خادم)

– أرثر ، اذا جاءت هذه المرأة الى بيتى ، فسوف أصفعها على

وجهها بمروحتى أمام الملأ ! (وتغادر الحجرة غاضبة ٠٠)

ـ يا الهى ! ماذا عساى أفعل ؟ لست أجرؤ أن أصارحها بحقيقة شخصية تلك المرأة ٠٠ فقد يقتلها العار لو فعلت !

ـ ٢ ـ

◆ فاذا كان الفصل الثانى رأينا اللورد والليدى وندرمير فى مدخل قصرهما يستقبلان ضيوفهما فى حفلة عيد ميلادها هذه ٠٠ واذا صفوة المجتمع اللندنى هناك ٠٠ مهرجان من الاناقة البليدة يخطف الابصار ٠٠ ويعلن الخادم وصول مسز ارلين ، فيمسك اللورد وندرمير بأنفاسه برهة حافلة بالقلق : ترى هل تجرؤ زوجته فتهين مسز ارلين علنا ؟ وتقترب مسز ارلين فى ثوب فاخر نحو مضيفتها الليدى وندرمير ، فتشدد الاخيرة قبضة أصابعها على مروحتها فى عصبية ، ثم تفلتها من يدها على الارض ، وتنحنى لزائرتها محيية فى فتور !

لورد دارلنجتون: لقد سقطت منك مروحتك يا ليدى وندرمير (يلتقطها ويمد يده بها اليها)

مسز ارلين (الى لورد وندرمير) : ما أجمل زوجتك العذبة ٠٠ انها صورة !

◆ ولا تلبث مسز ارلين أن تصبح محور حلقة من الرجال المعجبين ، بينما ترشقها النساء بنظراتهن الباردة ٠ وتقول احداهن معلقة : « لقد سمعت عنها أشياء فظيعة ٠٠ يقولون انها تقود وندرمير المسكين الى الخراب ٠٠ ومع ذلك ، فها هى الليدى وندرمير تدعوها الى عيد ميلادها ! يا للطرافة ! لا بد انها غاية فى الطيبة والسذاجة كى تفعل هذه الفعلة الناطقة بالغباء ! »

لكن مسز ارلين فيما يبدو غافلة عن النظرات العدائية والتعليقات الجارحة التى يخصها بها النساء ٠٠ فهى تمطر معجبيها الرجال بلفتاتها وتحياتها الى اليمين واليسار ! وهى تبدى اهتماما خاصا باللورد أوجستس ـ شقيق دوقة بيرويك ! ـ فنسمعها تقول له : « ما امتع مرافقتك فى رقصة الحياة يا لورد ! » ٠٠ فيجيبها الساذج وقد احمر وجهه غبطة وخجلا : « أوه ، شكرا لك ، شكرا لك ٠٠ لأنت اجمل النساء طرا ! »

وشيئا فشيئا تبدأ النساء الاخريات فى الاقتراب من مسز ارلين ٠٠ فما دامت الليدى وندرمير قد دعتها الى بيتها آخر الامر ، فلا يمكن أن تكون امرأة سيئة السلوك بقدر ما يزعمون !

الدوقة (الى ليدى وندرمير) : لقد تبادلت حديثا شائقا مع مسز ارلين منذ لحظة ٠٠ ولست أفهم كيف يتكلم الناس عنها



بمثل ما يتقولون .. ومع ذلك يا عـــزيزتى فلو كنت مكانك لاتخذت جانب الحذر البالغ .. ففيها فتنة لا تنكر !

◆ **تصغى ليدى وندرمير الى كل هذا وفى قلبها تعتمل ثورة مكبوتة !.. فلا يكاد مطاردهـا اللورد دارلنجتون ينفرد بها فى ركن بعيـــد عن الانظار حتى تعترف له بأنها .. لو أوتيت فقــط الشجاعة الكافية ؟!**

دارلنجتون : انى أحبك .. وأهبك حياتى .. فماذا يعطيك زوجك ؟.. لا شىء غير الخديعة! فلتغادرى هذا البيت الليلة . دعينا نفر معاً !

ليدى وندرمير : انى خائفة . دع لى فرصة كى أفكر !.. لعله يحسن أن أنتظر ، فقد يعود زوجى الى !

دارلنجتون : وتقبلينه اذا عاد ؟ انك اذن مثل سائر النساء .. لا شجاعة لك ، على الاطلاق !

ليدى وندرمير : اعطنى وقتا للتفكير فى الامر . لن أستطيع أن أجيبك الآن ..

دارلنجتون : اما الآن أو .. أبدا !

ليدى وندرمير : اذن .. أبدا !

دارلنجتون : انك تحطمين قلبى !

ليدى وندرمير : قلبى هو الذى تحطم !

◆ **وتدنو السهرة من نهايتها ، فيخرج بقية المدعوين ومن بينهم لورد دارلنجتون ! ـ لكن ليدى وندرمير أثناء عودتها من توديع بعض الخارجين الى الباب تلمح زوجها وتلك المرأة « مسز ارلين » يتحدثان همسا ، وقد بدت عليهما علائم الجد !.. كانت مسز ارلين تحدث مضيفها عن اعتزامها الزواج**

من لورد أوجستس . لكن ليدى وندرمير لا تسمع حديثهما ، وانما ترى فقط فى وجهيهما سيماء الالفة !.. واذ ذاك يستقر عزمها : « ان البقاء فى هذا البيت بعد الآن صار مستحيلا .. سألبى نداء لورد دارلنجتون ! » ـ تجلس الى منضدة وتكتب خطابا الى زوجها : « عندما يقرأ هذا الخطاب سوف يفهم .. انه ليس خطأى .. انه هو الذى فصم رباط الزوجية .. أما أنا فانما أتخلص من أغلالها ! »

تترك الخطاب على المنضدة وتخرج !

ولا تمضى دقائق حتى تمر مسز ارلين بالمكان مصادفة ، فتلمح الخطاب .. فتفضه بيد مرتجفة وتقرأه .. وعندئذ تتهاوى غائصة فى أحد المقاعد وهى تهتف فى لوعة : « أوه ، يا للفظاعة ! نفس الكلمات التى كتبتها منذ عشرين عاما الى « أبيها » ! وما كان أمر العقاب الذى حاق بى جزاء تلك السقطة ! كلا ، بل ان عقابى ، عقابى الحقيقى ، انما يبدأ الليلة .. الآن ! »

لكنها تعتزم انقاذ ابنتها !.. فلا تكاد تلمح صديقها لورد أوجستس قد جاء يبحث عنها ـ كى يطلب يدها ! ـ حتى تستدير اليه فى انفعال : « لورد أوجستس ، اصغ الى . عليك أن تأخذ لورد وندرمير الى ناديك . فورا ! واجتهد أن تعوقه هناك أطول مدة ممكنة !

لورد أوجستس : ومكافأتى على ذلك ؟

مسز ارلين : اطلبها منى غدا . أما الليلة فلا تدع وندرمير يغيب عن ناظريك دقيقة واحدة . ولتعقه عن العودة الى هنا حتى الصباح ! واعلم أنك اذا خذلتنى فى هذا الامر فلن يكون لى معك حديث بعد الآن !

لورد أوجستس (محدثا نفسه) : انها تعاملنى كما لو كنت قد تزوجتها فعلا !

— ٣ —

◆ فاذا كان الفصل الثالث ، فقد انتصف الليل .. وقد جاءت ليدى وندرمير الى مسكن ذلك الاعزب الماجن « لورد دارلنجتون » !.. وهو لم يعد من الخارج بعد ، لكن الزوجة المارقة قد ندمت بالفعل على الخطوة التى اتخذتها ! وان كانت تخشى أن يكون أوان التراجع قد فات ..

تدخل مسز ارلين ، فتبتدر « ابنتها » ضارعة : « ليدى وندرمير ، يجب أن تعودى الى بيت زوجك فورا ! »

ليدى وندرمير : أعلم لماذا جئت . ان زوجى يخشى الفضيحة، وقد أرسلك كى تستدرجينى لاعود !

مسز ارلين : ليدى وندرمير ٠٠ انك تظلميننى الى درجة رهيبة، وتظلمين زوجك ظلما أفظع ٠٠ انه لم ير خطابك الجنونى، فقد فضضته أنا ٠٠ وقرأته !

ليدى وندرمير : فضضت خطابا كتبته أنا الى زوجى ؟ كيف تجرؤين ؟

مسز ارلين : جرؤت على ذلك كى أنقذك ٠٠ لك أن تسيئى بى الظن كما تشائين ، ولكن فلتعودى الى زوجك ٠٠ أؤكد لك انه لا يحب سواك ٠٠ وان حبه لك الذى جعله يرضخ لى ، ويغدق على ماله ، ويحتمل الفضيحة والاكاذيب التى تنهال عليه !٠٠ لن أستطيع ايضاح الامر لك ، ولكن صدقينى انى أقول لك الحق ٠٠ حذار أن تقدمى على هذه الخطوة ٠٠ فأنت تجهلين الثمن الذى ستضطرين الى دفعه تكفيرا عنها !٠٠ أما أنا فانى أدفع الليلة ثمن سقطة مماثلة ٠ فانك الليلة قد بعثت قلبا فى امرأة لم يكن لها قلب ٠ بعثته ثم حطمته !٠٠ ولكن دعى ذلك الآن ، وعودى يا ليدى وندرمير الى الزوج الذى يحبك ٠ عودى الى طفلك ٠ انه ينتظر منك أن تتولى حمايته ٠٠ فان مكان الام لهو الى جانب طفلها !٠٠ ليدى وندرمير ، أناشدك أن تثوبى لرشدك !

ليدى وندرمير (تمد يديها الى مسز ارلين) : خذينى الى بيتى ٠٠ عودى بى الى بيتى !

◆ **لكنهما لن تستطيعا الخروج الآن ، فانهما تسمعان أصواتا !٠٠ ان لورد دارلنجتون ولورد أوجستس ولورد وندرمير وآخرين قد جاءوا ليقضوا بقية الليلة فى مسكن أولهم ، بعد أن اغلق ناديهم أبوابه ٠٠**

مسز ارلين (هامسة لليدى وندرمير) : صه ! (تشير الى ستارة تغطى بابا يفضى الى الشرفة) اختبئى هناك ، ثم انتهزى أول فرصة وتسللى هاربة !

◆ **تهرع ليدى وندرمير لتختبىء وراء الستارة، بينما تدلف مسز ارلين الى حجرة مجاورة ٠٠ ويدخل الرجال المسكن ليقضوا سهرتهم ٠٠ وأثناء حديثهم تحين من أحدهم نظرة فيلمح مروحة الليدى وندرمير ، وقد نسيتها من عجلتها فوق الكنبة ، فيعرضها على لورد وندرمير مازحا : « ان صديقنا دارلنجتون يخفى امرأة فى مسكنه ٠٠ هذه مروحتها ٠٠! »**



لورد وندرمير (مبهوتا ، وقد تعرف على مروحة زوجته!): يا الهى ! (يستدير الى دارلنجتون) ماذا بحق السماء تفعل مروحة زوجتى فى بيتك ؟ (يلحظ حركة اهتزاز خفيفة فى الستارة) ما الذى يحرك هذه الستارة (يندفع نحوها)

مسز ارلين (تدخل فى تلك اللحظة مقبلة من الحجرة المجاورة) : لورد وندرمير !

لورد وندرمير (مدهوشا) : مسز ارلين ! (يسود الحجرة الهرج والمرج ، فتنتهز ليدى وندرمير الفرصة وتتسلل خارجة من المسكن !)

مسز ارلين (تتدارك الموقف) : أخشى أن أكون قد أخذت مروحة زوجتك بدلا من مروحتى عند خروجى · لكم أنا آسفة (يحدجها صديقها لورد وندرمير بنظرة احتقار ··· بينما يستدير لورد أوجستس مبتعدا ·· ويبتسم الباقون أحدهم للآخر ابتسامة ماكرة !)

— ٤ —

◆ فاذا كان الفصل الرابع فنحن فى صباح اليوم التالى ، وقد عادت ليدى وندرمير الى بيتها ! ونراها تحدث نفسها متسائلة : « ما اغرب الحياة ! لقد كنت على وشك أن أهينها علانية فى بيتى ·· فاذا هى تقبل مختارة أن تجلل بالعار فى بيت رجل أعزب ، من أجلى !·· ما أمر السخرية التى تنطوى عليها مقاييس أحكامنا على النساء الفاضلات والساقطات ! »

ولكى تكتمل السخرية ، يقبل لورد وندرمير ليصارح زوجته بانه قد اكتشف فى النهاية حقيقة مسز ارلين ، وكيف انها امرأة ساقطة سيئة الخلق !

لورد وندرمير : لا تفكرى فى أمرها قط بعد الآن ٠٠ فانها وضيعة ٠٠ وضيعة كأحقر ما تكون الضعة !

ليدى وندرمير : أرثر ، لا تتحدث عن امرأة ـ أيا كانت ـ بهذه اللهجة ٠٠ فلست أعتقد أن مسز ارلين وضيعة ٠٠ بل انى أريد أن أراها ، أريدها أن تحضر الى هنا ٠٠

لورد وندرمير : البتة !٠٠ لو عرفت أين ذهبت ليلة أمس بعد خروجها من هنا مباشرة ، لاصررت على أنها ينبغى أن لا تطأ عتبة هذا البيت مرة أخرى !

◆ **ولكن فى هذه اللحظة بالذات يعلن الخادم قدوم مسز ارلين !٠٠ لقد جاءت لتعيد المروحة وتعتذر أحر اعتذار : « لكم أنا آسفة لما حدث بشأن المروحة يا صديقتى ٠ لست أستطيع أن أتصور كيف ارتكبت هذه الغلطة السخيفة !٠٠ كان غباء منى ٠٠ »**

وتصارحهما بأنها قررت مغادرة انجلترا : « فان قلبى هنا لا يسلم من الاذى ٠٠ وسوف أذهب لاعيش فى الجنوب ٠ »

ليدى وندرمير : ألن أراك اذن قط بعد الآن يا مسز ارلين ؟

مسز ارلين : أخشى ذلك ٠٠ فان حياة كل منا تسير فى طريق بعيد عن طريق الآخر ٠٠ لكن هناك شيئا واحدا بسيطا أود لو فعلته من أجلى : أريد منك صورة لك ولطفلك ، اذا أمكن !

◆ **وتصعد ليدى وندمير الى الطابق الثانى لتحضر الصورة ٠٠ فيبدأ زوجها فى توبيخ مسز ارلين من أجل زيارتها الشائنة لمسكن دارلنجتون : « انك تلوثين هواء هذا البيت ٠ لماذا جئت الآن ؟ »**

مسز ارلين : كى أودع ابنتى بلا شك ٠٠ لا تخف ، فليس فى نيتى البتة أن ألعب معها دور الام !٠٠ وبقدر ما يخصنى الامر أنصح بأن تبقى مرجريت على جهلها بحقيقتى ٠٠ لتظل تذكر أمها « المتوفاة » فى صورة القديسة التى لا تشوب نقاءها شائبة !

◆ **وهكذا ، حين تعود ليدى وندرمير بالصورة المطلوبة ، تستأذنها الزائرة فى الانصراف ، دون أن تفصح عن شخصيتها : « زوجك يقول انك شديدة التعلق بذكرى أمك يا ليدى وندرمير ! »**

ليدى وندرمير : لكل انسان مثله الاعلى فى الحياة · ومثلى الاعلى هو أمى !

مسز ارلين : المثل العليا أشياء خطيرة يا عزيزتى ، والحقائق أفضل منها · صحيح انها تجرح ، لكنها أفضل ··

◆ ومع ذلك فهى تترك ليدى وندرمير بصحبة « مثلها العليا » !·· فان قلبها لا يطاوعها على أن تجرح ابنتها التى وجدتها حديثا لتفقدها مرة أخرى·· الى الابد !

عزاء واحد بقى لمسز ارلين ، هو أن « لورد أوجستس » قرر - برغم كل شيء - أن يتزوجها !

ليدى وندرمير (الى أوجستس) : آه ، انك يا لورد تتزوج امرأة فاضلة حقا !

(ســـتار)



اشرب
بيبسى كولا
لذيذة كبيرة

محتويات الكتاب

الصور



((تامارا تومانوفا)) تؤدى احدى رقصات الباليه الرائعة فى شرفة قصر ((شايو)) ، بحدائق التروكاديرو



« جورج سكيبين » و « مارجورى تالشيف » نجما باليه البندقية

.. وسرى الجندول فى عرض القنال .. !

كتابي

الثالث عشر



لوحة الغلاف : توبة خاطئة

فى موكب الخاطئات التائبات اللواتى حدثنا عنهن التاريخ ، "تحتل مريم المجدلية" مكان الصدارة بغير نزاع .. كما تحتل اللوحات التى أوحت بها الى كبار الرسامين مكان الصدارة فى أعظم متاحف العالم ! .. وأشهر هذه اللوحات : لوحة الرسام "تيسيان" بمتحف نابولى ولوحة الرسام "كوريج" بمتحف درسدن ولوحات الرسامين "لوبرون" و "ناتييه" و "جيد" بمتحف اللوفر بباريس ، ولوحة الرسام "جيرشان" بمتحف نابولى .. عدا لوحات أخرى منوعة لرسامين آخرين فى متاحف ڤينا ، ومدريد ، و "ناشيونال جاليرى" بلندن .. الخ